

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

إشراف

د. عودة عبد الله

د. رسمية عبد القادر

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية
الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس — فلسطين
2009م

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

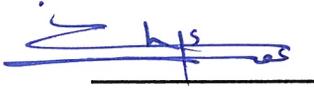
إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 1 / 4 / 2009 وأجيزت

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة



الدكتور عودة عبد الله (رئيساً)


د. محمد عبد القادر حبيب القادري

الدكتورة رسمية عبد القادر (مشرفة ثانية)



الدكتور إسماعيل نواهضة (مناقشا خارجياً)



الدكتور خالد علوان (مناقشاً داخلياً)

الإهداء

إلى روح والدتي الطاهرة...

والى والدي العزيز...

وإلى زوجتي الغالية...

إلى بناتي وأبنائي: رؤيا, أسماء, عبد الرحيم, أحمد

فلذات الأكياد, وقرة العيون...

أهدي نور هذا الإنتاج شاكرًا لله العلي القدير منه وفضله و إنعامه...

شكر وتقدير

بعد الشكر والثناء على المنعم الوهاب, صاحب المنّة والنعم والعطايا, الذي لولاه لما كَمُلَ هذا العمل, وتمّت هذه الرسالة. فله الحمد والثناء الحسن الجميل.

واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم, وأهل الإحسان بجودهم, وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع الراقى بشكر المحسن على إحسانه , فاني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى فضيلة الدكتور عودة عبد الله – حفظه الله – الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة, ولم يدخر وسعاً في إبداء توجيهاته القيّمة وملاحظاته السديدة, ومنحني من وقته الكثير, وكان مثالاً في الأدب واللين واللطف , فجزاه الله خير الجزاء, ونفع به ويعلمه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى الدكتورة رسمية عبد القادر – حفظها الله – على تكريمها بالإشراف على هذه الرسالة , والتي منحنتي من وقتها الكثير, ولم تدخر جهداً في إبداء توجيهاتها القيّمة وملاحظاتها السديدة , فجزاها الله خيراً. ونفع بها ويعلمها.

وأتقدم بخالص شكري للأستاذين الفاضلين الذين تكروا بقبول مناقشة الرسالة الدكتور إسماعيل نواهضة حفظه الله ونفع به, والدكتور خالد علوان حفظه الله ونفع به.

فجزاهم الله عنا كل خير

إقرار

أنا الموقع أدناه , مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص , باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد , وإن هذه الرسالة ككل , أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب: إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: 2009/4/I م

فهرست المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	ت
2	شكر وتقدير	ث
3	إقرار	ج
4	فهرست المحتويات	ح
5	الملخص	ز
6	مقدمة	1
7	أهمية الدراسة	4
8	أسباب اختبار الموضوع	5
9	مشكلة الدراسة	6
10	أهداف الدراسة	6
11	منهجية الدراسة	6
12	محاور الدراسة	7
13	الفصل الأول : الانفعالات النفسية وبشرية الأنبياء	10
14	المبحث الأول: التعريف بالانفعالات النفسية	11
15	أولاً: الانفعالات في اللغة والاصطلاح	11
16	ثانياً: الانفعالات عند علماء النفس	12
17	المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية	15
18	المبحث الثالث: بشرية الأنبياء عليهم السلام	18
19	الفصل الثاني : الانفعالات النفسية وعصمة الأنبياء	22
20	المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح	23
21	العصمة في اللغة	23
22	العصمة في الاصطلاح	25
23	المبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب	27
24	المبحث الثالث: الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة	30
25	الفصل الثالث : انفعال الخوف	33
26	المبحث الأول: مفهوم الخوف ودلالته النفسية	34

34	أولاً: الخوف في اللغة والاصطلاح	27
35	ثانياً: الخوف عند علماء النفس	28
36	ثالثاً: أقسام الخوف وموقف الأنبياء منها	29
39	المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام	30
39	المطلب الأول: مشهد الخوف عند موسى عليه السلام	33
39	أولاً: ملامح شخصية موسى عليه السلام	34
41	ثانياً: مشاهد انفعال الخوف عند موسى عليه السلام	35
41	المشهد الأول: خوف موسى عليه السلام من فرعون وزبانيته	36
42	المشهد الثاني: خوف موسى عليه السلام من الحيّة	37
44	المشهد الثالث: خوف موسى عليه السلام من فعل السحرة	38
46	ثالثاً: اللطائف والفوائد من هذه المشاهد	39
48	المطلب الثاني: مشهد الخوف عند إبراهيم عليه السلام	40
48	أولاً: ملامح شخصية إبراهيم عليه السلام	41
50	ثانياً: خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه	42
55	المطلب الثالث: مشهد الخوف عند لوط عليه السلام	43
55	أولاً: ملامح شخصية لوط عليه السلام	44
57	ثانياً: خوف لوط عليه السلام على ضيوفه	45
61	المطلب الرابع: مشهد الخوف عند داود عليه السلام	46
61	أولاً: ملامح شخصية داود عليه السلام	47
63	ثانياً: خوف داود عليه السلام من الخصمين	48
65	المطلب الخامس: مشهد الخوف عند يعقوب عليه السلام	49
65	أولاً: ملامح شخصية يعقوب عليه السلام	50
67	ثانياً: خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من إخوته	51
68	ثالثاً: خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من الذئب	52
71	المبحث الثالث : القيم الإيجابية من انفعال الخوف عند الأنبياء	53
79	الفصل الرابع : انفعال الغضب	54
80	المبحث الأول : مفهوم الغضب ودلالاته النفسية	55
80	أولاً : الغضب في اللغة والاصطلاح	56
81	ثانياً : الغضب عند علماء النفس	57

82	ثالثاً : أقسام الغضب وموقف الأنبياء عليهم السلام منه	58
85	المبحث الثاني : مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام	59
85	المطلب الأول : مشهد الغضب عند موسى عليه السلام	60
86	أولاً : السبب الذي أدى إلى انفعال الغضب عند موسى عليه السلام	61
87	ثانياً : حجم وشدة انفعال الغضب عند موسى عليه السلام	62
89	ثالثاً : الآثار التي نتجت عن انفعال الغضب عند موسى عليه السلام	63
92	المطلب الثاني : مشهد الغضب عند يونس عليه السلام	65
92	أولاً : ملامح شخصية يونس عليه السلام	66
93	ثانياً : غضب يونس عليه السلام من قومه	67
95	المطلب الثالث : مشهد الغضب عند سليمان عليه السلام	68
95	أولاً : ملامح شخصية سليمان عليه السلام	69
97	ثانياً : غضب سليمان عليه السلام من الهدد	70
99	المبحث الثالث : التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء	71
107	الفصل الخامس : انفعال الندم	72
108	المبحث الأول : مفهوم الندم ودلالاته النفسية	73
108	أولاً : الندم في اللغة والاصطلاح	74
110	ثانياً : الندم عند علماء النفس	75
112	المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام	76
112	المطلب الأول : مشهد الندم عند آدم عليه السلام	77
112	أولاً : ملامح شخصية آدم عليه السلام	78
114	ثانياً : ندم آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة وعصيان الله تعالى	79
119	المطلب الثاني : مشهد الندم عند موسى عليه السلام	80
121	المطلب الثالث : مشهد الندم عند نوح عليه السلام	81
121	أولاً : ملامح شخصية نوح عليه السلام	82
123	ثانياً : ندم نوح عليه السلام على استغفاره لولده الكافر	83
125	المطلب الرابع: مشهد الندم عند يونس عليه السلام	84
129	المبحث الثالث : القيم الايجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام	86
134	الفصل السادس : (انفعال اليأس)	87
135	المبحث الأول : مفهوم اليأس ودلالاته النفسية	88

135	أولاً : اليأس في اللغة والاصطلاح	89
139	المبحث الثاني : مشهد انفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام	90
148	المبحث الثالث :القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام	91
152	الفصل السابع : (انفعالي التبسم والعبوس)	92
153	المبحث الأول : مفهوم التبسم ودلالاته النفسية	93
153	أولاً : التبسم في اللغة والاصطلاح	94
153	ثانياً : التبسم عند علماء النفس	95
154	المبحث الثاني : مشهد التبسم عند سليمان عليه السلام	96
158	المبحث الثالث : مفهوم العبوس ودلالاته النفسية	97
158	أولاً : العبوس في اللغة والاصطلاح	98
159	ثانياً : العبوس عند علماء النفس	99
160	المبحث الرابع : مشهد العبوس عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام	100
160	عبوس النبي عليه الصلاة والسلام في وجه الأعمى	101
163	العبر المستفادة من هذا المشهد	102
165	الفصل الثامن: (انفعال الحزن)	103
166	المبحث الأول: مفهوم الحزن ودلالاته النفسية	104
166	أولاً: الحزن في اللغة والاصطلاح	105
167	ثانياً: الحزن عند علماء النفس	106
169	أقسام الحزن	107
169	المبحث الثاني: مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام	108
169	المطلب الأول: مشاهد الحزن عند يعقوب عليه السلام	109
169	أولاً:حزن يعقوب عليه السلام على فراق يوسف عليه السلام	110
171	ثانياً:حزن يعقوب عليه السلام على فقدان يوسف عليه السلام	111
173	ثالثاً:حزن وبكاء يعقوب عليه السلام على فاجعة يوسف وأخيه	112
178	المطلب الثاني: مشهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام	113
178	أولاً: حزنه عليه الصلاة والسلام على افتراءات وتقولات المكذّبين والجاحدين عليه	114
180	ثانياً: حزن النبي عليه الصلاة والسلام لعدم إيمان قومه بدعوته	115
183	المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام	116

188	الخاتمة	117
191	الفهارس الفنية	118
192	فهرس الآيات	119
203	فهرس الأحاديث	120
206	فهرس الأعلام	121
208	قائمة المراجع والمصادر	122
b	ملخص بالانجليزية	123

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

إشراف

الدكتور عودة عبد الله والدكتورة رسمية عبد القادر

المخلص

يعد الأنبياء عليهم السلام النماذج التي يقتدي ويتأسى بها الناس , فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى , جعل الله تعالى أقوالهم وأفعالهم محلاً للتأسي والاقتداء .

ولقد أصاب الأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم للأحداث والوقائع كثيرٌ من الانفعالات النفسية التي تركت أثراً في مسيرة دعوتهم, كالغضب, والخوف, والندم, واليأس, وغيرها من الانفعالات. فجاءت هذه الدراسة المتواضعة لتتناول هذه الانفعالات النفسية من منظور قرآني ودراسة شخصية الأنبياء من خلال هذه الانفعالات , ثم معرفة مدى تأثيرها على عصمتهم عليهم السلام , والقيم التربوية المستفادة منها.

فعرّفت أولاً الانفعالات عند علماء الشرع والنفس, وبيّنت أقسامها, ثم تكلمت عن بشرية الأنبياء عليهم السلام.

ثم تحدثت عن عصمة الأنبياء , وبيّنت أن الانفعالات التي حدثت لهم لم تؤثر على عصمتهم.

ثم بدأت الحديث بالتفصيل عن أبرز الانفعالات التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, فذكرت انفعال الخوف ودلالاته النفسية, والمشاهد التي ذكرها القرآن الكريم لهذا الانفعال عند الأنبياء, ثم تحدثت عن أهم القيم التربوية لهذا الانفعال.

وذكرت باقي الانفعالات التي حدثت للأنبياء في سبعة فصول وهي: انفعال الغضب والندم, واليأس, والتبسم والعبوس, والحزن, وذكرت دلالة هذه الانفعالات النفسية, والمشاهد القرآنية لها, وعرّجت على القيم التربوية والإيجابية لهذه الانفعالات.

المقدمة:

الحمد لله الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الذي غضب ورضي، وتبسم وضحك، وعبس وبكى، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سلك سبيلهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين وبعد:

فقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه عجائب قدرته، وأسرار خلقتة. أودع فيه الأحاسيس والمشاعر، والغرائز والانفعالات، ليكون بها شاهداً على عظيم قدرته جل جلاله قال تعالى: { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }¹، ولتكون همزة الوصل والتفاعل بينه وبين الآخرين فيتأثر أو يؤثر في الأحداث والوقائع، والمناسبات والمشاهد، فيضحك أو يبكي، ويفرح أو يحزن، ويرضى أو يغضب، ويأمن أو يخاف، ويتفاعل أو يبيأس.

ولما كان الأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، وأنموذج العنصر الإنساني فقد تفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها أو واجهتهم بهذه الانفعالات والأحاسيس.

ولقد قصَّ الله تعالى علينا في كتابه الكريم الكثير من الأحداث والصور والمشاهد التي واجهت الأنبياء عليهم السلام فتفاعلوا معها، وانعكست على سلوكهم وتصرفاتهم، أو على وجوههم وملامحهم.

فمن ذلك ما صورّه الله تعالى لحالة الغضب عند موسى ﷺ حين رجع إلى قومه فوجدهم عكوفاً على العجل قائلاً: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ^ط وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ }².

والغضب انفعال نفسيّ حادّ، قد ينتج عنه أمور لا تحمد عقباها. وقد بيّن القرآن الكريم أن غضب موسى ﷺ في هذا المشهد انعكس على تصرفاته بأن { أَلْقَى الْأَلْوَاخَ } وفيها شريعة الله مكتوبة، { وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ } هارون ﷺ { يَجُرُّهُ إِلَيْهِ }.

¹ سورة الذاريات: الآية 21 .

² سورة الأعراف: الآية 150 .

كما حدثنا القرآن الكريم عن انفعال نفسي آخر حصل لنبينا محمد ρ في مشهد وواقعة عوتب الرسول ρ بسببها، وهو العبوس في وجه الأعمى، قال تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى }¹.

والنماذج من هذه المشاهد والوقائع في القرآن الكريم كثيرة ومستفيضة .

وهذه الدراسة عبارة عن تتبع لهذه المشاهد والأحداث والوقائع من القرآن الكريم والتي برز فيها انفعال الأنبياء عليهم السلام نفسياً، وانعكاس هذا الانفعال عليهم، سواء على أقوالهم وأفعالهم، أو على سلوكهم وتصرفاتهم، أو حتى على قلوبهم أو ملامح وجوههم. ثم دراسة شخصية هذا النبي أو ذلك على ضوء هذا الانفعال ، وتحليل موقفه تجاه هذا الانفعال ، ومن ثم استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة منها .

وإني على يقين أن البحث في هذا المجال صعبٌ وخطير ، أما صعوبته فتكمن في تتبع الباحث لحياة الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم وقصصهم ، ودراسة شخصياتهم على ضوء الانفعالات التي حصلت لهم من خلال بعض المواقف والمشاهد التي واكبت مسيرة حياتهم. وأما خطورته فتكمن في أن الحديث يدور حول شخصيات بشرية لكنها ليست كباقي البشر في الرتبة والمكانة والمنزلة ، إنها تتحدث عن الأنبياء والمرسلين المصطفين الأخيار، الذين صنعهم الله تعالى على عينه ، وزكاهم وطهرهم ، وجعلهم محلاً للتأسي والافتداء.

ولكن الذي يسهل عليّ هذه الصعوبة والخطورة هو أن هذه الدراسة جاءت خدمةً لكتاب الله تعالى ، ورداً على الشبهات والطعون التي أثيرت حول بعض المواقف للأنبياء عليهم السلام ، ومن ثم الاستفادة من القيم التربوية لمواقف الأنبياء تجاه هذه الانفعالات .

وقد أسميت هذه الدراسة [الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم].

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون فاتحةً لدراسات نفسية أخرى، خدمةً لكتاب الله تعالى، واستفادةً من هدي الأنبياء عليهم السلام.

¹ سورة عبس : الآيتان 1, 2 .

الدراسات السابقة :

بعد التحريّ والبحث والتدقيق بما تيسر من مراجع وكتب, تبين لي أن هذا الموضوع لم تتم الكتابة فيه بشكل علمي مستقل, وإنما وجدت بعض الإشارات إلى ما يشبه هذا الموضوع في بعض الكتب والمراجع منها:

1- التصوير الفني في القرآن / الأستاذ سيد قطب

فقد أورد فيه المؤلف فصلاً عن شخصية الأنبياء عليهم السلام بعنوان: (رسم الشخصيات في القصة)¹, تحدث عن نبي الله موسى ﷺ بشكل خاص, وعن بعض الانفعالات التي حصلت معه, ووصف موسى ﷺ بأنه " نموذج للزعيم المنذرع العصبي المزاج"².

كما تحدث عن إبراهيم ويوسف عليهما السلام. إلا أن هذه الدراسة لم تُعن بذكر الانفعالات النفسية وما نتج عنها, وعن القيم التربوية منها, كما أنها اقتصرت على ذكر انفعال أو اثنين لموسى ﷺ, كذلك لم تذكر الكثير من الأنبياء الذين حصل لهم انفعالات نفسية.

2- سورة يوسف دراسة تحليلية / الدكتور أحمد نوفل

وقد أورد فيه المؤلف إشارات عديدة للانفعالات النفسية التي حدثت لنبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام. وذكر بعض العبر والدروس المستفادة من هذه الانفعالات, وتوجيه البعض الآخر. إلا أنه اقتصر على ذكر نبيين اثنين هما يعقوب ويوسف عليهما السلام وعلى بعض الانفعالات التي وردت في سورة يوسف فقط لأنها مدار بحثه ودراسته.

¹ قطب, سيد: التصوير الفني في القرآن. ط: 4. بيروت: دار الشروق. 1978. ص 161.

² المرجع السابق: ص 162.

3- معارج التفكير ومدارك التدبر / الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

فقد أورد في كتابه المذكور (وهو عبارة عن تفسير تدبري للقرآن الكريم) العديد من الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, لكنها بقيت إشارات ومضات سريعة لم يقف طويلاً عندها, أو يستخلص منها القيم التربوية.

4- في ظلال القرآن / الأستاذ سيد قطب

وقد أبدع رحمه الله في ذكر الكثير من الانفعالات , لكنه لم يقف عندها طويلاً , وحاول أن يوجهها بما يتلاءم وعصمة الأنبياء عليهم السلام , وهي مبنوثة ومتفرقة في كتابه في أكثر من أربعة آلاف صفحة.

وقد تمثل دوري كباحث في لم شمل هذه المادة العلمية القرآنية من أمات كتب التفسير ومعاجم اللغة بشكل خاص , وكتب علم النفس والاجتماع وغيرها بشكل عام , وإبراز القيم التربوية من هذه الانفعالات , وتوجيه الانفعالات التي ظاهرها يعارض عصمة الأنبياء عليهم السلام بما يتلاءم وعصمتهم , وعرضها بأسلوب البحث العلمي الموضوعي الحديث .

أهمية الدراسة :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه , ومن كونها تتحدث عن الأنبياء عليهم السلام , منارات الهدى ومصابيح الدجى , ويمكن إجمال أهمية الدراسة في الآتي:

1. أنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى, فهي دراسة قرآنية بحتة, تم جني وقطف ثمارها من كتاب الله تعالى كمصدر رئيس وأساس.

2. شرف الموضوع وندرته , حيث جاءت الدراسة لتؤصل وتؤسس لنظرية الانفعالات عند الأنبياء عليهم السلام , وهي أول دراسة علمية شاملة تعنى بهذا الجانب فيما أعلم .

3. ويزيد من أهمية هذه الدراسة ما حوته من لفتات ولطائف وقيم تربوية مستفادة من انفعالات الأنبياء عليهم السلام , خاصة في واقع الأمة هذا الزمان , وفي حياة الدعاة والهداة والمربين والمصلحين بشكل أخص .

4. حاجة المكتبة الإسلامية عامة , والدراسات القرآنية خاصة إلى مثل هذا النوع من الدراسة الذي يعالج جانباً مهماً من حياة الأنبياء عليهم السلام , وخاصة الجانب البشري منها.

أسباب اختيار الموضوع :

إن اختياري لهذه الدراسة لم يكن وليد الصدفة , وإنما راودتني فكرته منذ زمن ليس بالقصير , وخاصة حين قرأت للأستاذ سيد قطب عن رسم الشخصيات في القصة القرآنية في كتابه القيم (التصوير الفني في القرآن) , وزادت الرغبة في الكتابة في هذا المجال حين كتبت بحثاً لمادة التفسير الموضوعي بعنوان : نظرية الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم.

ويمكن إجمال الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع في الآتي:

1. عدم وجود دراسة مستوفاة وشاملة في هذا المجال مقارنة مع علم النفس, وتعالج بعض الشبه التي تثار حول بعض المواقف للأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم للأحداث.
2. إبراز هذا الجانب من القصة القرآنية , نظراً لعدم استقلالية البحث في مجال الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام .
3. دراسة الجانب البشري والإنساني والنفسي عند الأنبياء عليهم السلام , وتحليل هذا الجانب والإفادة منه في مسيرة الدعوة المعاصرة .

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

1. ما مدى اهتمام القرآن الكريم بهذا الجانب من حياة الأنبياء عليهم السلام ؟
2. كيف تطرق القرآن الكريم لموضوع الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام ؟
3. ما القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من الانفعالات عند الأنبياء عليهم السلام ؟
4. كيف عالج القرآن الكريم بعض الانفعالات التي ظاهرها يعارض العصمة , كاليأس والغضب, والندم ؟

أهداف الدراسة :

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي :

1. لفت الأنظار إلى الانفعالات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام , ومدى ارتباطها بعصمتهم ونبوتهم .
2. رد الشبهات التي أثيرت حول بعض مواقف الأنبياء عليهم السلام تجاه بعض الأحداث التي واجهوها أو واجهتهم مثل إلقاء موسى ع للألواح وهو غضبان , وعبوس النبي محمد ص في وجه الأعمى , ومغاضبة يونس ع لقومه أو لربه سبحانه وتعالى .
3. معرفة الكيفية التي من خلالها تحدث القرآن الكريم عن هذه الانفعالات .

منهجية الدراسة :

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أولاً , وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام من خلال القصص والوقائع , ثم استعنت بالمنهج التحليلي في تحليل ودراسة هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي , وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية :

1. جمع الآيات التي تحدثت عن الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام وعزوها إلى سورها.

2. استخراج التوجيهات والقيم التربوية والدروس والعبر من هذه الآيات, ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيش حتى لا تبقى هذه الدراسة نظرية جامدة لا حراك فيها.
3. الرجوع إلى المصادر الرئيسية المعتمدة في هذا الموضوع وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة .
4. إتباع الأسلوب العلمي بتوثيق المعلومات بشكل علمي دقيق , وعزو الأقوال لأصحابها.
5. وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي , لتخرج الدراسة بصورة جيدة وسهلة المنال .

محاور الدراسة:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة, وضمنت كل فصل عدة مباحث على النحو التالي:

الفصل الأول: الانفعالات النفسية وبشرية الأنبياء, وفيه:

المبحث الأول: التعريف بالانفعالات النفسية.

المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية.

المبحث الثالث: بشرية الأنبياء.

الفصل الثاني: الانفعالات النفسية وعصمة الأنبياء, وفيه:

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء من الذنوب.

المبحث الثالث: الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة.

الفصل الثالث : انفعال الخوف , وفيه :

المبحث الأول: مفهوم الخوف ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم الإيجابية لانفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الرابع: انفعال الغضب, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم الغضب ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الخامس : انفعال الندم , وفيه:

المبحث الأول: مفهوم الندم ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم الإيجابية من انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السادس: انفعال اليأس, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم اليأس ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشهد اليأس عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السابع: انفعالا التبسم والعبوس, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم التبسم ودلالاته النفسية.

المبحث الثاني: مشهد التبسم عند سليمان عليه السلام.

المبحث الثالث: مفهوم العبوس ودلالاته النفسية.

المبحث الرابع: مشهد العبوس عند محمد عليه السلام.

الفصل الثامن: انفعال الحزن, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم الحزن ودلالاته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الأول

الانفعالات النفسية وبشرية الأنبياء عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالانفعالات النفسية

المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية

المبحث الثالث: بشرية الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

التعريف بالانفعالات النفسية

أولاً: الانفعالات في اللغة والاصطلاح:

الانفعالات: جمع انفعال، والانفعال: مأخوذ من الفعل انفعل بمعنى تأثر. فقد عرّف مجمع اللغة العربية انفعالاً ومنفعالاً: ب" تأثر به انبساطاً وانقباضاً"¹.

أما الأصفهاني² فقد وضّح معنى المنفعال بقوله: " والمنفعال إذا اعتبر قبول الفعل في نفسه... لأنّ المنفعال يقال لما لا يقصد الفاعل إلى إيجاده وإن تولّد منه، كحمرة اللون من خجل يعتري من رؤية إنسان، والطرب الحاصل عن الغناء، وتحرك العاشق لرؤية معشوقه . وقيل لكل فعل انفعال إلا للإبداع الذي هو من الله تعالى فذلك هو إيجاد عن عدم"³.

وعليه فالمنفعال: هو المتأثر، وإن لم يقصد التأثر، فقد يكون التأثير بفعل مؤثر أقوى من إرادة المنفعال .

وبالنظر في القرآن الكريم ، يتبين أن هذه الكلمة لم ترد فيه ، وإنما الذي دل على وجود دلالاتها فيه هو معناها اللغوي، وذلك من خلال المؤثرات التي حدثت للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ولغيرهم ممن قصّ الله علينا قصصهم في القرآن الكريم.

وعليه يمكن أن نعرّف الانفعالات في الاصطلاح بأنها: حالة تغيير أو تأثير نفسي تعترى المنفعال بفعل مؤثر .

¹ مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط . بلا طبعه. مصر: مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ . ص605.

² هو الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني. كان أديباً وحكيماً من الحكماء، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرون بالإمام الغزالي، من أجل مصنّفاته: المفردات في غريب القرآن، جامع التفاسير، حلّ متشابهات القرآن. توفي سنة 502هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام. 8 مج . ط:6. بيروت . دار العلم للملايين. 1984. ج2 ص255.

³ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. راجعه وقدم له : وائل أحمد عبد الرحمن. بلا طبعه . القاهرة : المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ . ص384 .

فمثلاً عبوس الرسول ρ في وجه الأعمى¹ عند قول الله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ} {2} هذا العبوس هو حالة تأثير وتغيير في ملامح وجه الرسول ρ, وهي بطبيعة الحال حالة استثنائية ناتجة عن مؤثر, إذ إن الرسول ρ كان دائم التبسم . فعن عبد الله بن الحارث بن جزء³ أنه قال: " ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ρ⁴ .

ثانيا : الانفعالات عند علماء النفس :

من المعلوم أن الذي قعد قواعد الانفعالات , ووضع نظرياتها هم علماء النفس والاجتماع, فهم الذين تخصصوا بها , وأجروا النظريات على البشر والحيوانات وحتى النباتات لاستخلاص القواعد والأسس لهذا الفن من علم النفس, وكل المفاهيم لا يوجد تعريف متفق عليه بين علماء النفس للانفعالات النفسية, والسبب يعود كما يقول الدكتور محمد بني يونس: "لاختلاف خصائص ومكونات ووظائف الانفعالات, بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماء النفس"⁵. ويمكن الإشارة إلى بعض هذه التعريفات ومنها:

— " أنها حالةٌ جسميةٌ نفسيةٌ ثائرة, أو حالةٌ من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه, ولها القدرة على حفزه على النشاط, وبذا يكون الفزع والهلع من الانفعالات"⁶.
 — " أنها حالاتٌ وجدانيةٌ عنيفة"⁷.

¹ رواه الترمذي وحسنه , وصحح إسناده الألباني . انظر: الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي. حكم على أحاديثه الألباني . اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط: 1. الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ . كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ρ. باب ومن سورة عبس . رقم الحديث (3331) . ص756 .

² سورة عبس: الآيتان 1, 2.

³ هو الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معد يكرب , من مذحج من اليمن , شهد بدرًا , وسكن مصر وتوفي بها بعد أن عمّر طويلاً . توفي سنة خمس وثمانين هـ . انظر : ابن الأثير , أبو الحسن علي بن عمر الجزري : أسد الغابة في تمييز الصحابة . 6م . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1409هـ – 1989م . ج 3 ص 99 – 100.

⁴ رواه الترمذي وحسنه , وصححه الألباني. انظر: الترمذي: سنن الترمذي. كتاب المناقب عن رسول الله ρ . باب في بشاشة النبي ρ. رقم الحديث (3641) . ص 828.

⁵ بني يونس, د. محمد محمود: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ط: 1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007. ص227.

⁶ راجح , د. أحمد عزت: أصول علم النفس. ط: 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع . 1982. ص122.

⁷ القوصي, د. عبد العزيز: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. ط: 8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. بلا تاريخ. ص166.

— " أنها حالةٌ طارئةٌ مؤقتةٌ غير مقيدةٌ بموضوع معين" ¹.

— " أنها حالةٌ من اللاتوازن بين الكائن الحي (الحيوان والإنسان) من جهة، والمثيرات الخارجية (المادية والاجتماعية) من جهة أخرى، مما يؤدي إلى ظهور الانفعالات بصورة مفاجئة ولحظية زائلة ، تدفعنا للاقتراب من شيء، أو الابتعاد عنه، وتكون مصحوبة باضطرابات جسدية خارجية " ².

يقول الدكتور محمد بني يونس بعد ذكره لعشرة تعريفات للانفعالات: " يتضح أن التعريفات الإجرائية مختلفة في شكلها، لكنها متشابهة في محتواها. حيث إن القاسم المشترك في كافة التعريفات الإجرائية أنها اعتبرت الانفعالات: حالة وجدانية، داخلية مفاجئة، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معا" ³.

ولقد فرّق الدكتور أحمد راجح عند تعريفه للانفعالات بينها وبين الحالة المزاجية، معتبراً أن الانفعال حالة عابرة طارئة، وأما الحالة المزاجية فيقول عنها: "إنها حالة انفعالية معتدلة نسبياً تغشى الفرد فترة من الزمن أو تعاوده بين الحين والآخر" ⁴.

وأمام هذه التعريفات والمصطلحات والمفاهيم لعلماء النفس ، رأينا أن بعض المفسرين المعاصرين استفاد منها، واستخدمها في دراسة شخصيات الأنبياء عليهم السلام، فهذا الأستاذ سيد قطب ⁵ عند دراسته لشخصية الأنبياء عليهم السلام في كتابه القيم (التصوير الفني في القرآن) يقول عن موسى U : " لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفَع العصبِي المزاج" ⁶.

¹ بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات . ص227.

² بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ص 228.

³ المرجع السابق : نفس الصفحة.

⁴ راجح: أصول علم النفس. ص122.

⁵ هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في صعيد مصر عام 1906م. تخرّج من كلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، ثم عيّن مدرساً في مدارس وزارة المعارف، شغل عدة مناصب في وزارة المعارف، ثم استقال منها عام 1953م وانضم إلى صفوف جماعة الإخوان المسلمين، سجن عدة مرات ثم حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم عام 1966م . من أهم مؤلفاته: في ظلال القرآن، التصوير الفني في القرآن، معالم في الطريق . انظر: الخالدي، د. صلاح: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. ط:1. بيروت ، دمشق: الدار الشامية، دار القلم. 1991م. ص15-17.

⁶ قطب : التصوير الفني في القرآن. ص162.

وفي موضع آخر يقول عنه: "وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي" ¹ ففرّق بين الاندفاع المزاجي (الحالة المزاجية) وبين الانفعال العصبي (الانفعال النفسي) وهذا التفريق ناجم عن الحادث الذي واجهه موسى U أي المؤثر أو المنبه الذي سبّب هذه الحالة أو تلك.

وعليه فالانفعال عملية طبيعية، حتى وصفها وصوّرها أندروز بقوله: "الانفعال شيء يحدث كما تحدث العاصفة أو شروق الشمس" ².

يظهر مما سبق أن حدوث الانفعال النفسي مرتبط بأمرين اثنين هما: ³

1. السبب أو المنبه أو المثير: إذ إن الانفعالات لا يمكن أن تظهر من فراغ، بل يوجد وراء كل انفعال سبب معين أو مثير.

2. الاستجابة: وهي الإثارة التي تحدث كرد فعل على المثير أو السبب، ولها مظهران جسمي وشعوري، وتتفاوت الإثارة بين الأفراد فمنهم من يكون من ذوي الانفعالية العالية، ومنهم من يكون من ذوي الانفعالية المنخفضة. والاستجابة الانفعالية عند الأفراد تتراوح في شدتها بين عالية جداً وعالية ومتوسطة وقليلة وقليلة جداً. والسبب في هذا التفاوت يعود إلى عوامل نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية أو غيرها.

¹ المرجع السابق : ص 162.

² أندروز، ت. ج: مناهج البحث في علم النفس. 2مج. ترجمة: د. يوسف مراد. مصر: دار المعارف. طبعة 1961. ج 2 ص 524 .

³ بي يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات . ص 236-237. يتصرف

المبحث الثاني

أقسام الانفعالات النفسية

يمكن تقسيم الانفعالات النفسية إلى الأقسام التالية¹:

أولاً: من حيث تأثيرها في الكائن الحي . فهي تقسم إلى قسمين رئيسين هما:

1- انفعالات إيجابية أو سارة: وهي الانفعالات الباعثة على السعادة, والمنشّطة للكائن الحي, والمؤدية إلى المتعة واللذة, ولها انعكاسات إيجابية على الصحة الجسمية والنفسية , مثل الفرح والسرور .

2- انفعالات سلبية أو غير سارة: وهي الانفعالات الباعثة على التعاسة, وتعمل على الكبت وتؤدي إلى المعاناة والألم , كما تؤدي إلى نتائج غير حميدة بالنسبة للصحة النفسية والجسمية , ومنها: الغضب والخوف والذعر .

ثانياً: من حيث شدتها أو قوتها. كذلك تقسم إلى قسمين هما:

1- انفعالات قوية: وهي الانفعالات التي تعمل على زيادة النشاط, والطاقة, والحيوية والحماس, والحمية, كما تعمل على زيادة ضربات القلب, وضغط الدم, ومن هذه الانفعالات على سبيل المثال لا الحصر: السرور والعنف والغضب والحسد . وهذه الانفعالات تكون شدتها مرتفعة.

2- انفعالات ضعيفة: وهي الانفعالات التي تكون شدتها ضعيفة وتعمل على التقليل من النشاط والحيوية, ومن هذه الانفعالات : الحزن و الحنين و الضجر .

ثالثاً: من حيث بساطتها وتعقيدها. كذلك تقسم إلى قسمين هما :

1- انفعالات سفلى أو بسيطة .

2- انفعالات عليا أو معقدة.

¹ د. بي يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ص 239- 240 .

وهذه التقسيمات للانفعالات تفيدنا في تحديد نوعية الانفعالات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام، وذكرها القرآن الكريم، فمنها انفعالات إيجابية كالتبسم الذي حصل لسليمان U في قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا اتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ آذِلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ }¹.

ومنها انفعالات سلبية كانفعال الغضب الذي حصل لموسى U، وما نتج عنه من إلقاء الألواح التي أنزلها الله عليه من فوق السبع الطباق، وفيها شريعته سبحانه مكتوبة، كما قال سبحانه: { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا }². ثم أخذ برأس أخيه هارون النبي U يجره إليه . قال تعالى في وصف حالة الغضب عند موسى U: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ }³.

كما وتفيدنا هذه التقسيمات في التمييز بين قوة الانفعالات وضعفها عند الأنبياء عليهم السلام ، فمما لاشك فيه أن موسى U كان قوي الانفعال، حاد المزاج، ووصفنا إياه بذلك إنما يأتي من خلال استنتاج آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن قصصه مع بني إسرائيل، ومع فرعون، فيما لا نجد هذه الدرجة من القوة في الانفعال عند نبينا محمد P أو عند أبي الأنبياء إبراهيم U. يقول سيد قطب رحمه الله في التفريق بين شدة الانفعال عند موسى U وضعفه عند إبراهيم U: "لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المنذفع العصبي المزاج"⁴.

¹ سورة النمل : الآيات 17,18.

² سورة الأعراف: الآية 145 .

³ سورة الأعراف: الآية 150 .

⁴ قطب : التصوير الفني في القرآن . ص 162.

ثم يعدّد مواقف الانفعال وشواهدة. ثم يقول: "تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم . إنه نموذج الهدوء , والتسامح والحلم { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ }²¹.

¹ سورة هود: الآية 65 .

² قطب: التصوير الفني في القرآن . ص 164 .

المبحث الثالث

بشرية الأنبياء عليهم السلام

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون الأنبياء والمرسلون عليهم السلام من البشر، قال تعالى لنبيه محمد ρ : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }¹. وقد أكد الله تعالى بشرية نبيه ρ في هذه الآية مرتين " مرة باستعمال {إِنَّمَا} وهي تفيد الحصر والقصر، ومرة بقوله: {مِثْلُكُمْ} فهو مثلنا في تكوين جسده، وطبيعة خلقه"². ولقد أقر الأنبياء عليهم السلام ببشريتهم في معركتهم لإثبات النبوة والرسالة مع أقوامهم. قال تعالى: { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }³. وبمقتضى كونهم من البشر، فقد اتصفوا بالصفات التي لا تنفك عنها البشرية فمن ذلك:

- إنهم ولدوا كما ولد البشر، لهم آباء وأمهات، وأعمام وعمّات، ويتزوجون ويتناسلون، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً }⁴.
- إنهم يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب، قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ }⁵. قال ابن كثير⁶: " بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ }⁷
- أي قد كانوا بشراً من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضارٍ لهم ولا ناقصٍ منهم شيئاً"⁸.

¹ سورة الكهف: الآية 110.

² الطنطاوي، علي: تعريف عام بدين الإسلام. ط: 11. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1981م. ص 191.

³ سورة إبراهيم: الآية 11.

⁴ سورة الرعد: الآية 38.

⁵ سورة الأنبياء: الآية 8.

⁶ هو إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين. مفسّر، مؤرخ، محدّث، له تصانيف عديدة، من أشهرها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، جامع المسانيد. توفي سنة 774هـ. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 4مج. بلا طبع. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ. ج 1 ص 373-374.

⁷ سورة الفرقان: الآية 20.

⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 7مج. ط: 2. بيروت: دار الفكر. 1970. ج 4 ص 554.

- إنهم يتعرضون لما يتعرض له البشر من الصحة والمرض، والقوة والضعف، واللذة والألم والحياة والموت . قال تعالى في ذكر إبراهيم ؑ لربه: { وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ }¹ , وقال تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ }² , وقال تعالى عن نبينا محمد μ : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ }³ , وقال سبحانه مبيناً أن هذه سنته في الرسل كلهم: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَهِى أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ }⁴ . وقد صح أن النبي μ قال لأم سليم: " يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي , أني اشتربت على ربي فقلت :إنما أنا بشر . أرضى كما يرضى البشر . وأغضب كما يغضب البشر , فأيما أحد دعوت عليه , من أمتي , بدعوة ليس لها بأهل , أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة "⁵ . ومن الأنبياء من سجن , كما حصل ليوسف ص . قال تعالى: { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }⁶ وذكر الله سبحانه أنه { فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ }⁷ . وقد يُقتل الأنبياء عليهم السلام كما قال سبحانه : { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ }⁸ .

- إنهم يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر , من رعي الأغنام وغيرها . فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: " كنا مع رسول الله μ نجني الكباث⁹ وإن رسول الله μ

¹ سورة الشعراء: الآيات 79-81 .

² سورة الأنبياء: الآيتان 83,84 .

³ سورة الزمر: الآية 30 .

⁴ سورة آل عمران: الآية 144 .

⁵ رواه مسلم . انظر : مسلم , مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم . 5 مج . رقمه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . طبعة 1983 . كتاب البر والصلة والأدب , باب من لعنه الرسول μ . رقم الحديث (2603) . ج4 ص2010 .

⁶ سورة يوسف: الآية 33 .

⁷ سورة يوسف: الآية 42 .

⁸ سورة البقرة: الآية 87 .

⁹ الكباث: ثمر الأراك . ويقال ذلك للنضيج منه . انظر : ابن منظور , جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب . 15 مج . بلا طبعة . بيروت: دار صادر . بلا تاريخ . ج2 ص178 .

قال: "عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه" قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: "وهل من نبي إلا وقد رعاها"¹. وقد ذكر الله في كتابه موسى U ورعيه للغنم عدة سنوات فقد قال له العبد الصالح:

{ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ ط فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ط وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ط سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ وَكَالِيمٌ }².

- إنهم يعتر بهم ما يعترى البشر، من بعض الانفعالات التي تقع للبشر بحكم بشريتهم. مثل الغضب، والخوف، والعبوس، والفرح وغيرها. قال تعالى عن داود U: { وَذَا أَلْتُونِ إِذْ دَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ }³، وقال تعالى عن موسى U: { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ }⁴، وقال تعالى عن داود U: { إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ }⁵، وقال تعالى عن نبينا محمد P: عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾، وقال تعالى عن جميع الأنبياء عليهم السلام:

{ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ط وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }⁷، والشواهد في ذلك كثيرة.

وهذا الجانب من حياة الأنبياء، هو الذي يعنينا في بحثنا هذا، كون هذه الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء، إنما حدثت لطبيعتهم البشرية، ولمقتضى إنسانيتهم. وكانت حكمة الله في ذلك أن لا يخرج الأنبياء عليهم السلام عن طبيعتهم البشرية، وحتى لا تؤله الناس الأنبياء، لأنهم حين

¹ رواه البخاري. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند المختصر (صحيح البخاري). 3 مج. تبويب وترقيم: محمد

فؤاد عبد الباقي. ط: 1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003م، كتاب أحاديث الأنبياء. باب {يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ}

[الأعراف: 138]. رقم الحديث (3406). ج 2 ص 155.

² سورة القصص: الآيتان 26، 27.

³ سورة الأنبياء: الآية 87.

⁴ سورة القصص: الآية 18.

⁵ سورة ص: الآية 22.

⁶ سورة عبس: الآيتان 1، 2.

⁷ سورة يوسف: الآية 110.

يرونها يفعلون غضباً، أو خوفاً، أو ندماً، أو عبوساً أو غيرها ، دل على أن هذه من صفات
البشر .

لقد استعظم بعض الكفار اختيار الله البشر رسلاً، لأنهم نظروا إلى المظهر الخارجي
للأنبياء، نظروا إليهم على أنهم جسد يأكلون، ويشربون، وينامون، ويفعلون، ويشغلون
ويتزوجون ، قال تعالى: { وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ }¹ .

بل إن بشرية الرسل كانت من أعظم أسباب صدّ الناس وابتعادهم عنهم ، قال تعالى: { وَمَا مَنَعَ
النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا }² . بل إنهم عدوا إتيان الرسل
خسراناً مبيناً وضلالاً عظيماً لأنهم من البشر ، قال تعالى: { وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ لِيَخْسَبُوا أَنَّكُمْ
لَخَسِرُونَ }³ . وقال تعالى: { فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذآ لَفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ }⁴ . والحكمة في
كون الرسل من البشر أنهم أقدر على إيصال رسالة السماء إلى الناس، وأدعى إلى قيادتهم
وتوجيههم مما لو كانوا من غير البشر .

¹ سورة الفرقان: الآية 7 .

² سورة الإسراء: الآية 94 .

³ سورة المؤمنون: الآية 34 .

⁴ سورة القمر: الآية 24 .

الفصل الثاني

الانفعالات النفسية وعصمة الأنبياء عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب

المبحث الثالث: الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة

المبحث الأول العصمة في اللغة والاصطلاح

بحث العصمة من بحوث العقيدة، لأنها من مقتضيات نبوة الأنبياء عليهم السلام، ومن بحوث أصول الفقه لتوقف أدلة حجية السنة عليها، وأنا أذكرها في بحثي هذا لتحديد مفهومها لغةً واصطلاحاً ولمعرفة مدى ارتباط الانفعالات بها سلباً أو إيجاباً.

العصمة في اللغة :

العصمة: اسم مصدر عصم. قال ابن فارس¹: "العين، والصاد، والميم، أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد".² وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن معنى العصمة في اللغة يدور على المعاني التالية :

- 1- المنع: يقال: عصمه الطعام أي منعه من الجوع³. قال تعالى على لسان ابن نوح U: { سَأَوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ }⁴ , أي يمنعني من الغرق بالماء. قال القرطبي⁵ : "وسميت العصمة عصمةً لأنها تمنع من ارتكاب المعصية"⁶.

¹ هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً علم اللغة، فإنه أتقنها ، ومن أشهر كتبه : معجم مقاييس اللغة ، المحمل في اللغة، حلية الفقهاء، كما له أشعار حسنة. توفي سنة 390هـ بالري.

انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. 8 مج . حققه : د. إحسان عباس. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ . ج 1 ص 118 .

² ابن فارس، أبو الحسين أحمد : معجم مقاييس اللغة . 6 مج. تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون. ط: 2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1391هـ - 1971م. ج 4 ص 331 .

³ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح. ط: 1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1979. ص 437 _ 438 .
⁴ سورة هود: الآية 43 .

⁵ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، الإمام الجليل، الفقيه، المفسر، المحدث، له تفسير الجامع لأحكام القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، وله شرح الأسماء الحسن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. توفي سنة 671هـ . انظر: مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. بلا طبعة . بيروت: دار الكتاب العربي. بلا تاريخ . ص 197 .

⁶ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 22 مج . بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ . ج 9 ص 184 .

2- الدفع. يقال: يعصمك الله من الشر أي يدفعه عنك.¹

3- الالتجاء. تقول العرب: أعصمت فلاناً أي هيات له شيئاً يعتصم بما نالته يده، أي يلتجئ ويتمسك به.² وقال تعالى: { وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }³، أي يلتجئ ويحتمي.

4- الاستقواء والامتناع. تقول: اعتصم العبد بالله إذا تقوى به وامتنع.⁴ ومنه قوله تعالى على لسان امرأة العزيز في حق يوسف ﷺ: { وَلَقَدْ رَودْتُهُ بِعَيْنِهَا فَاسْتَعْصَمَ }⁵، بمعنى امتنع وتقوى .

5- الحفظ . يقال: عصمته فاعتصم.⁶

6- والعصمة تأتي بمعنى القلادة ، سميت بذلك للزومها العنق.⁷

ولعل هذا المعنى الأخير يفيدنا في التعريف الاصطلاحي للعصمة ، حيث إن العصمة تكون ملاصقةً وملازمةً للمعصوم لزوم القلادة للعنق. وقد وجدت أن مجمع اللغة العربية قد جمع في تعريفه للعصمة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حيث عرّف العصمة بأنها: "ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها"⁸.

¹ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1421هـ _ 2001م. ص646 .

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج4 ص 331 .

³ سورة آل عمران: الآية 101 .

⁴ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج4 ص 331 . وانظر : الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط . 4مج. بلا طبعة . بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ . ج4 ص152 .

⁵ سورة يوسف: الآية 32 .

⁶ الجوهري، إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. 7مج. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط:2 . بيروت: دار العلم للملايين. 1399هـ - 1979م. ج5 ص 1986 .

⁷ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج4 ص333.

⁸ مصطفى: المعجم الوسيط. ص605 .

العصمة في الاصطلاح :

عرّف العلماء العصمة بعدة تعريفات متقاربة المعنى , بل تدور كلها على معنى واحد . مأخوذة من معناها اللغوي . من هذه التعريفات :

1- الحفظ من الوقوع في الذنب¹ .

2- القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية² .

3- وقال الأنسوي³ : "أحسن ما قيل فيها : ملكة نفسانية تمنع صاحبها الفجور"⁴ .

ولما كانت العصمة تختص بالأنبياء والمرسلين من البشر على وجه الخصوص , لأن الله تعالى جعلهم دون غيرهم محل القدوة والأسوة لقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }⁵ . ولقوله تعالى : { فَبِهْدْيُهُمْ آفْتَدَهُ }⁶ , كذلك لتوقف الأدلة في حجية السنة على عصمة الرسول p⁷ تركّزت بعض التعريفات الاصطلاحية للعصمة في الأنبياء عليهم السلام .

فالأصفهاني يعرف العصمة بقوله: "وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر , ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية , ثم بالنصرة , وبتثبيت أقدامهم

¹ الأنسوي , جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن: نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول . 4مج . بلا طبعة . بيروت : عالم الكتب . بلا تاريخ . ج 3 ص 6 .

² الشوكاني , محمد بن علي : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . 2مج . تحقيق وتعليق : د . شعبان محمد إسماعيل . ط : 1 . مصر : دار الكتبي . 1413هـ - 1992م . ج 1 ص 162 .

³ هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي جمال الدين الأنسوي , فقيه , أصولي , من علماء العربية , انتهت إليه رئاسة الشافعية , له مؤلفات من أعظمها : نهاية السؤل شرح منهاج الأصول . توفي سنة 772هـ . انظر : ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ج 2 ص 354-356 .

⁴ الأنسوي : نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول . ج 3 ص 6 .

⁵ سورة الأحزاب : الآية 21 .

⁶ سورة الأنعام : الآية 90 .

⁷ انظر : عبد الخالق , د . عبد الغني : حجية السنّة . ط : 1 . بيروت : دار القرآن الكريم . 1986 . ص 85-241 . وهذا الكتاب يعتبر أوسع من تكلم في العصمة .

بالنصرة، ثم بإزالة السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم ، وبالتوفيق ، قال تعالى: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }¹ والعصمة شبه السوار².

كما عرفها الصابوني بقوله: "العصمة : هي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات، وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها وميّزهم عن سائر البشر"³.

وعرفها سيد سابق بتعريف شامل قريب من التعريفين السابقين حيث قال: "العصمة هي أنهم _الأنبياء_ لا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرماً، ولا يقتربون ما يتنافى مع الخلق الكريم"⁴.

وهذه التعريفات الاصطلاحية للعصمة، سواء من العلماء القدامى أو المحدثين، إنما تبين حدود العصمة مم تكون ، والنتائج المترتبة عليها .

¹ سورة المائدة : الآية 67 .

² الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن . ص340 .

³ الصابوني، محمد علي: النبوة والأنبياء. ط:1 . القاهرة : دار الحديث. 1986. ص50 .

⁴ سابق، السيد: العقائد الإسلامية. ط:2. بيروت: دار الفكر . 1982م. ص 180.

المبحث الثاني

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب

الذنوب _غير الكفر_ تقسم إلى قسمين: كبائر وصغائر¹. والصغائر إما أن تكون خسيصة أو غير خسيصة. قال تعالى: {الَّذِينَ هَجْتَبُونِ كَبِيرًا إِلَّا نَجْمًا} ² وقال تعالى: {إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنَ عَنْهُ تُكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} ³ وقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن تعمد الكبائر والصغائر الخسيصة⁴, إلا أنهم غير معصومين عن الصغائر غير الخسيصة شريطة أن لا يكون فيها إصرار لأنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار. وهذا كله بعد النبوة, أما قبل النبوة فالمعتمد كما قال الأمدى⁵: "انه لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة, لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك"⁶.

يقول ابن تيمية⁷: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر: هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف, حتى إنه قول أكثر أهل الكلام, كما ذكر أبو الحسن

¹ الهيثمي, أبو العباس محمد بن أحمد بن حجر المكي: الزواجر عن اقتراف الكبائر. 2مج. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة 1403هـ - 1983م. ج 1 ص 2.

² سورة النجم: الآية 32.

³ سورة النساء: الآية 31.

⁴ الأنصاري, عبد العلي محمد بن نظام الدين: فوائح الرهوت. بمامش المستصفي من علم الأصول. 2مج. ط: 2 بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. ج 1 ص 99.

⁵ هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التعلبي, الملقب بسيف الدين الأمدى, فقيه, أصولي, منطقي, فصيح اللسان, له مصنفات عديدة, من أهمها: الإحكام في أصول الأحكام, دقائق الحقائق في الحكمة. توفي سنة 631هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان. ج 3 ص 293-294.

⁶ الأمدى, أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. 2مج. بلا طبعة. القاهرة: دار الحديث. بلا تاريخ. ج 1 ص 242.

⁷ هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني, نزيل دمشق, وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها, وهو إمام الأئمة, وشيخ الإسلام, وبجر العلوم, مفسر, وقيه, ومحدث, وأصولي, ونظاري, بلغ رتبة الاجتهاد المطلق. من أجل كتبه: درء تعارض العقل والنقل, منهاج السنة النبوية, له تفسير كبير. توفي سنة 728هـ في سجن القلعة بدمشق. انظر: ابن عبد الهادي, محمد بن أحمد: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام بن تيمية. حققه: محمد حامد الفقي. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. ص 2.

الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية , وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء, بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول¹.

وقد استدلت العلماء على قولهم هذا بأدلة من الكتاب والسنة, أذكر بعضاً منها كشواهد على ترجيح قولهم:

1— قوله تعالى: { وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٠٠﴾ ثُمَّ أَجْتَبَنَاهُ رَبُّهُ قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ }² أي أن آدم ؑ عصى ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها, فلو كان معصوماً عن صغائر الذنوب لما خالف أمر ربه وأكل من الشجرة.

2— قوله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: { عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١٠١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى }³ وهذا عتاب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بسبب عبوسه في وجه الأعمى وعدم الالتفات إليه, والانشغال عنه بمحاولة هداية بعض الكفار. فلو كان ذلك مباحاً للنبي ﷺ ما عوتب من قبل ربه عز وجل.

3— قوله تعالى في حق داود ؑ: { وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٠٢﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكْ }⁴ فداود ؑ أسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم, فأسرع إلى التوبة, فغفر الله له. ولو كان ما فعله داود صواباً لما استغفر ربه.

4— حديث الشفاعة⁵, وفيه ذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم وأخطاءهم .

¹ ابن تيمية, أحمد بن عبد الحلیم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. 37 مج. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد النجدي. ط :

1. بيروت: مطابع دار العربية. 1398 هـ. ج 4 ص 319.

² سورة طه: الآيات 121, 122 .

³ سورة عبس: الآية 1, 2 .

⁴ سورة ص: الآية 24 .

⁵ رواه البخاري ومسلم . انظر: البخاري : صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى: { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص

: 75] . رقم الحديث (7410) . ج 3 ص 452. مسلم : صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رقم الحديث (193) . ج 1 ص 180-181.

والحق أن الله سبحانه كان ينبه أنبيائه، ويصوب أخطاءهم، لأن الأنبياء لا يقرهم الله على الذنب، ولا يؤخرون التوبة، فالله عصمهم من ذلك، والأنبياء بعد التوبة أكمل منهم قبل التوبة. وأما عصمتهم من اقتراف الكبائر أو الفواحش فالإجماع انعقد على ذلك.¹

والأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، ووصلوا بما أفاضه الله عليهم إلى قمة الكمال الإنساني، فمنهم من صنعه الله على عينه، قال تعالى في حق موسى و : {وَلْيُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْتِي} ²، ومنهم من هو بعين الله، قال تعالى في حق نبيينا محمد p : {وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} ³، واختارهم الله واصطفاهم من بين البشر، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} ⁴، "ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم من القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق"⁵، ومع كل ذلك وبحكم بشريتهم كانت تقع منهم الأخطاء، يصوبهم الله عليها.

ومن المعلوم أن الأمة اتفقت على أن الرسل عليهم السلام معصومون:

1- في تحمل الرسالة. فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم إلا شيئاً قد نسخ، قال تعالى: {سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى} ⁶.

2- في التبليغ. فالرسل لا يكتُمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك لأن الكتمان خيانة، قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} ⁷.

3- من تعمد اقتراف كبائر الذنوب و الصغائر الخسيصة.

¹ القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى. 2مج. تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرين. ط: 2.

بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ودار الفحاء. 1986م. ج 2 ص 327.

² سورة طه: الآية 31.

³ سورة الطور: الآية 48.

⁴ سورة آل عمران: الآية 33.

⁵ السيد سابق: العقائد الإسلامية. ص 183.

⁶ سور الأعلى: الآية 6.

⁷ سورة المائدة: الآية 67.

المبحث الثالث

الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة

ذكرنا في المبحث السابق¹ أن أكثر علماء الإسلام مجمعون على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن تعمد اقتراف الكبائر والصغائر الخسيصة، أما الصغائر غير الخسيصة فهم غير معصومين منها. ولما كانت الانفعالات النفسية لا تنفك عن الطبيعة البشرية، وعن الخلق الإنسانية، والأنبياء عليهم السلام من البشر فهم إذاً واقعون فيها لا محالة. لكنها لا تنافي عصمتهم، ولا تصطدم معها، ذلك لأن الانفعالات التي حدثت لهم وما نتج عنها من تصرفات وأعمال لم تصل إلى درجة الكبائر، ولا حتى الصغائر الخسيصة. وكذلك لم تؤثر على نبوتهم أو على شخصيتهم الرسالية.

يقول الدكتور عمر الأشقر: "الأعراض البشرية الجبليّة لا تنافي العصمة، فإبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفة عندما رأى أيدي ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدمه لهم، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة تشكلوا في صور البشر قال تعالى: { فَأَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ }²، وموسى عليه السلام وعد الخضر بأن يصبر في صحبتته له، فلا يسأله عن أمر يفعلُه العبد الصالح حتى يحدث له منه ذكراً، ولكنه لم يتمالك نفسه، إذ رأى تصرفات غريبة، فكان في كل مرة يسأل أو يعترض أو يوجه، وفي كل مرة يذكره العبد الصالح ويقول له: { أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }³، وعندما كشف له عن سر أفعاله قال له: { ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا }⁴. وغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح وفي نسختها هدى. وذلك عندما عاد إلى قومه بعد أن تم ميقات ربه، فوجدهم يعبدون العجل { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

¹ انظر : صفحة 24 .

² سورة هود: الآية 70 .

³ سورة الكهف: الآية 75 .

⁴ سورة الكهف: الآية 82 .

خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ¹.

وفي الحديث: "ليس الخير كالمعاينة، إن الله تعالى لما أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت"² 3.

والأمثلة التي ذكرها الدكتور الأشقر جلّها من الانفعالات النفسية، التي تصيب البشر، والأنبياء بشر يصيبهم ما يصيب البشر، وعليه فإن الخوف الذي أصاب موسى ٧ بعد قتله للقبطي وسماعه نبأ حكم فرعون بقتله وإعدامه، { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ }⁴. والفرع الذي أصاب داود ٧ حين دخل عليه رجلان لا يعرفهم، تسورا عليه بابه، { فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ }⁵. والعبوس الذي بان على وجه نبيينا محمد p في ملاقاته للأعمى، { عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى }⁶. وغيرها من انفعالات الأنبياء النفسية، لم تؤثر على عصمتهم، ولم تقدر في نبوتهم، لأنها عوارض بشرية، تصيب الجنس البشري، أياً كانوا أنبياء ومرسلين، أو أولياء ومقربين، أو عصاة متمردين، لأن هذه العوارض البشرية لا تنفك عن الجبلة الإنسانية، والبشر مفطورون عليها، ولا نستطيع أن نضع هذه العوارض البشرية أو الانفعالات النفسية ضمن الذنوب، سواء كانت خسيصة أو غير خسيصة.

وإنما ما ينتج عن بعض الانفعالات، وخاصة انفعال الغضب، هو الذي يمكن أن نضعه ضمن الذنوب غير الخسيصة والتي يمكن أن يقع فيها الأنبياء وهم غير معصومين منها. أو ما يطلق

¹ سورة الأعراف: الآية 150.

² رواه أحمد في المسند. انظر: ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل. وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال. 6 مج. ط: 2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1978. ج 1 ص 215. وهذا الحديث صححه الألباني. أنظر. الألباني، محمد ناصر السدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته. 3 مج. ط: 3. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي. 1982. رقم الحديث (5250). ج 5 ص 87.

³ الأشقر، د. عمر سليمان: الرسل والرسالات. ط: 8. عمان. دار الفنائس للنشر والتوزيع. 1419هـ- 1999م. ص 99-100.

⁴ سورة القصص: الآية 18.

⁵ سورة ص: الآية 22.

⁶ سورة عبس: الآية 2,1.

عليه بعض العلماء مصطلح "خلاف الأولى"¹ ومثالها ما نتج عن انفعال الغضب لموسى عليه السلام { وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ }² هذان التصرفان لموسى ﷺ والنااتجان عن انفعال الغضب يمكن أن نطلق عليهما "خلاف الأولى" أو من الذنوب غير الخسيصة. وذلك لأن موسى ﷺ أتبع هذين التصرفين ندماً واستغفاراً , فبعد أن هدأت نفسه قال بصوت خاشع: { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }³.

وعليه فإن الانفعالات النفسية وما نتج عنها من تصرفات وأعمال, لا تنافي عصمة الأنبياء, وتبقى في دائرة "خلاف الأولى" أو الذنوب غير الخسيصة.

¹ هو: خلاف فعل الأكمل والأفضل, وإن كان بالنسبة لمقام الأنبياء يعتبر خطأ يستحق عليه المؤاخظة والعتاب على حد قول (حسنات الإبرار سيئات المقربين). انظر: الصابوني: النبوة والأنبياء. ص 82 .

² سورة الأعراف: الآية 150 .

³ سورة الأعراف: الآية 151 .

الفصل الثالث

انفعال الخوف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الخوف ودلالاته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث: القيم الإيجابية لانفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الخوف ودلالاته النفسية

أولاً : الخوف في اللغة والاصطلاح :

تكاد معاجم اللغة تجمع على أن الخوف في اللغة معناه : الفرع . وأنه مشتق من خاف يخاف خوفاً وخيفة ومخافة, ومنه التخويف والإخافة , والنعت منها خائف¹. وكل هذه الاشتقاقات وردت في القرآن الكريم. قال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع"².

أما اصطلاحاً فلا يخرج عن معناه في اللغة تقريباً, فالأصفهاني يعرف الخوف بأنه: "توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة , ويضاد الخوف: الأمن"³.

وقال الشيخ الميداني عند قوله تعالى : { فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى }⁴ : "والخوف:

شعور نفسي مؤلم مزعج, ويكون من توقع حلول مكروه, أو فوات محبوب أو مرغوب فيه"⁵.

وعرفه ابن القيم⁶ بقوله: "الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف. والخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استئشعاره"⁷.

¹ ابن منظور: لسان العرب . ج 9 ص 99. وانظر: الجوهري : الصحاح . ج 4 ص 1358-1359. الفيروز آبادي : القاموس المحيط . ج 3 ص 144. الفراهيدي : كتاب العين . ص 273 . الرازي : مختار الصحاح . ص 193. الزبيدي , محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس . 10 مج . ط: 1 . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة . 1306 هـ . ج 6 ص 105.

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة . ج 2 ص 230 .

³ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص 166 .

⁴ سورة طه: الآية 67 .

⁵ الميداني, عبد الرحمن حسن حبتكة: معارج الفكر ودقائق التدبر. 15 مج . ط: 1. دمشق: دار القلم, 2002م. ج 8 ص 173. وانظر : مصطفى : المعجم الوسيط . ص 262 .

⁶ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي. الفقيه الحنبلي, والجهتد المطلق, والمفسر, والنحوي, والأصولي والمتكلم, اشتهر بابن قيم الجوزية. وكان عالماً بالحديث ومعانيه, وبالفقه وأصوله. من أشهر مؤلفاته: إغائة اللفهان من مصائد الشيطان, مدارج السالكين, إعلام الموقعين عن رب العالمين. توفي سنة 752 هـ . انظر: ابن العماد الحنبلي, عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. 4 مج. بلا طبعة. بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة . بلا تاريخ . ج 6 ص 168.

⁷ ابن القيم, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. 3 مج. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط : 2. بيروت: دار الكتاب العربي. 1972. ج 1 ص 512 .

ويلحظ أن التركيز في هذين التعريفين كان على القلب , لأن ما يكون في القلب ينعكس على الجوارح , وأول درجات الخوف يكون من القلب.

وبالنظر في مشتقات كلمة الخوف في القرآن الكريم, يتبين أنها تستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية, قال تعالى: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ }¹. وقال تعالى: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا }². وقال تعالى: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }³. وقال تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا }⁴. قال الأصفهاني: " فقد فسر ذلك بعرفتم, وحقيقته وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم. والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد , بل إنما يراد به الكف عن المعاصي, واختيار الطاعات, ولذلك قيل لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً"⁵ .

ثانياً: الخوف عند علماء النفس:

عدّ علماء النفس الخوف حالة من حالات التوتر التي تدفع الخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدّى إلى استثارة الخوف, كما عدّوه حالة طبيعية تصيب الإنسان , لأنه مفطور على مثل هذه الانفعالات .

يقول الدكتور محمد بني يونس: " الخوف: هو ظاهرة طبيعية أو سوية, ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية, طالما أن هناك أسباباً معقولة له, وأن مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناسب مع حجم المثير المخوف, والخوف في حد ذاته ليس شيئاً

¹ سورة الإسراء: الآية 57 .

² سورة الأنعام: الآية 81 .

³ سورة السجدة: الآية 16 .

⁴ سورة النساء: الآية 35 .

⁵ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص 166 .

رديئاً يجب القضاء عليه، أو يجب الاستغناء عنه تماماً في مجالات التربية والمجالات الاجتماعية العادية¹.

والحقيقة أن أكثر الانفعالات شيوعاً، هو انفعال الخوف، لأنه لا أحد معصوم منه، فهو فطري مكتسب . وكلام الدكتور محمد بني يونس يفيدنا إفادةً كبيرة في تحليل بعض انفعالات الخوف التي حدثت للأنبياء عليهم السلام ، فهي في حد ذاتها ليست شيئاً رديئاً سواء للأنبياء أو لغيرهم، فمن الطبيعي جداً أن يخاف أي شخص ، نبياً كان أو غير نبي ، وسواء كان المثير للخوف مادياً أو معنوياً.

من هنا فلا غرابه أن يخاف موسى عليه السلام من عصا في يده تتحول إلى ثعبان يتلوى يميناً وشمالاً، ولا غرابة كذلك أن يخاف داود عليه السلام ويصل به الخوف إلى درجة الفزع حين يتسور عليه المحراب اثنان لا يعرفهم. فالخوف ليس صفة ذم أو نقص بالعموم ما دامت تتناسب مع حجم المثير (الخوف).

ثالثاً: أقسام الخوف وموقف الأنبياء منها:

قد يأتي الخوف في معرض المدح إن كان الخوف من الله سبحانه ، أو يكون في معرض الذم إن كان الخوف من شيء لا يستحق الخوف . وعلى ضوء ذلك يمكن أن نقسم الخوف إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: الخوف المشروع: ويقسم إلى قسمين:

1- الخوف من الله سبحانه: وعلامته الهرب من معاصيه إلى طاعته. قال تعالى في مدح المؤمنين: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ }²، وقال تعالى: { ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَنْعَبِدُوا لَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ }³. وهذا النوع من الخوف فرض على كل مسلم ، وهو من أجلّ المراتب، وأرفع

¹ د. بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ص 244- 245 .

² سورة الإسراء: الآية 57 .

³ سورة الزمر: الآية 16 .

المنازل الموصلة إلى الله سبحانه. قال تعالى : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }¹. والفرار لا يكون إلا للخائف.

2- **الخوف الطبيعي:** وهو الخوف من مؤثر خارجي , وهذا المؤثر غالباً ما يكون محسوساً ومشاهداً ومادياً , كأن يخاف الإنسان من ثعبان أو أسد أو غيره. وهذا لا يلام عليه الإنسان, لأن هذا النوع من الخوف مفطور عليه الإنسان في الغالب.

القسم الثاني: الخوف غير المشروع : ويدخل في هذا القسم ما يلي:

1- **الخوف من الشيطان .** قال تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ².

2- **الخوف من الأعداء:** وهو الخوف من قوتهم وعدتهم وجبروتهم , بحيث يؤدي إلى التقاعس والنكوص عن أداء واجب الدعوة والعبادة ومواجهتهم , قال تعالى: { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ }³.

3- **الخوف من السلطان:** وهو الخوف من قول الحق في وجهه , فقد روى الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله p: " إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم " ⁴ .

وعلى هذا التقسيم للخوف, فإن خوف الأنبياء عليهم السلام هو من الخوف المشروع الذي لا يلامون عليه .

¹ سورة الذاريات: الآية 50 .

² سورة آل عمران : الآية 175 .

³ سورة المائدة : الآية 54 .

⁴ الحاكم , أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد : المستدرک على الصحيحين . وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي . 5مج. إشراف: د. يوسف المرعشلي . بلا طبعه . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في الذيل : صحيح . ج 4 ص 96.

لذا ستكون دراستي في تحليل شخصيات الأنبياء عليهم السلام على ضوء الانفعالات النفسية التي حدثت لهم وأولها انفعال الخوف, وما القيم الايجابية من وراء هذه الانفعالات .

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن الأنبياء عليهم السلام انفعال الخوف عند بعضهم وهذا الخوف كان يتفاوت من نبي لآخر بحسب الواقعة التي تعرضوا لها . وسأتكلم في هذا المبحث عن مشاهد الخوف عند الأنبياء عليهم السلام .

المطلب الأول : مشهد الخوف عند موسى عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية موسى عليه السلام :

موسى U أحد أولي العزم من الرسل، وأشهر أنبياء بني إسرائيل، والحديث عنه وعن قومه في القرآن الكريم أطول وأوسع من الحديث عن أي نبي آخر. ومن فضائل موسى U أنه كلّم الله . قال تعالى: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }¹ ، ومن أولي العزم من الرسل قال تعالى: { فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرُ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ }². وذكرهم سبحانه في موضعين في القرآن الكريم وذكر منهم موسى U . قال تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى }³. وقال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ }⁴. كما فضل الله موسى U برسالاته وكلامه فقال: { قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَى }⁵ ، وصنعه الله تعالى على عينه فقال:

{ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عِبَتِي }⁶.

¹ سورة النساء: الآية 164 .

² سورة الأحقاف: الآية 35 .

³ سورة الشورى: الآية 13 .

⁴ سورة الأحزاب: الآية 7 .

⁵ سورة الأعراف: الآية 144 .

⁶ سورة طه: الآية 39 .

ويعتد موسى U أكثر الأنبياء والمرسلين انفعالاً , سواء في انفعال الخوف أو في غيره.
ولعل ذلك يعود إلى الآتي:

1- الأحداث والوقائع التي وقعت لموسى U , متعددة الجوانب, متفرعة الأهداف, متباعدة في الزمان والمكان, متغايرة في الأشخاص. فيها عنصر الإثارة الشديدة والمفاجأة المزعجة فمن حادثة قتل القبطي, إلى حادثة لقائه مع ربه, إلى موقفه مع فرعون والسحرة, ثم موقفه مع السامري, وموقفه مع الخضر, ثم موقفه من عبادة قومه العجل... الخ.

2- الإحساس بالظلم من فرعون وقومه , حيث إن فرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل كما قال سبحانه : {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} ¹, ثم وقاحة فرعون حين ادعى الإلوهية قائلاً: {يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} ² .

3- قصة موسى U كانت تمثل حقيقة الصراع بين الحق والباطل, لذا تنوعت أساليبها وكثرت مشاهداتها. يقول الصابوني: " ليست قصة موسى وفرعون , قصة فرد مع ملك, أو ليست قصة نبي كريم مع جبار عظيم , إنما هي قصة تتكرر في كل زمان ومكان , وتبرز في كل وقت وحين, وهي تصور حقيقة واقعية أليمة, تصور الصراع بين الحق والباطل" ³. وما من شك أن الصراع بين الحق والباطل حافل بالانفعالات الحادة أحياناً, والبسيطة أحياناً أخرى.

4- أسباب مادية أو بيئية , أو الظروف التي مرّ بها منذ ولادته وحتى كبره, فالدكتور فضل عباس يشير إلى إمكانية أن تكون شدة أمواج اليمّ الذي ألقى فيه وهو رضيع لها أثر في جعله حادّ المزاج, كثير الانفعالات , فيقول: " نتصور ملامح شخصية موسى U , وأول هذه الملامح

¹ سورة القصص : الآية 4.

² سورة القصص : الآية 38 .

³ الصابوني : النبوة والأنبياء . ص 165 .

ما نلمحه من حدة في الطبع وحدة في المزاج، وكأن شدة أمواج اليم الذي ألقى فيه، شاء الله أن يكون لها فيه أثر"¹. وقد تكون البيئة الصحراوية لها علاقة بحدّة مزاجه U .

ثانياً : مشاهد انفعال الخوف عند موسى عليه السلام

المشهد الأول : خوف موسى عليه السلام من فرعون وزبانيته :

يبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى في وصف حالة موسى U بعد قتله للقبطي: { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ¹ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوَى مُّبِينٌ² فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ³ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ⁴ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُْوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ⁵ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ⁶ قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ⁷ } . ففي هذا المشهد يبين المولى عز وجل أن موسى U اعتراه الخوف مرتين:

الأولى: بعد يوم من قتله القبطي، خاف من اكتشاف أمره. { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ } قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "ومر يوم _ أي على قتله القبطي _ وأصبح في المدينة خائفاً من انكشاف أمره، يتربص بالافتضاح والأذى، ولفظ { يَتَرَقَّبُ } يصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس ويتوقع الشر في كل لحظة، وهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك. والتعبير يجسّم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، كما أنه يضخمها بكلمتي { فِي الْمَدِينَةِ } فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفاً يتربص في المدينة، فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر. وحالة موسى هذه تلهم أنه لم يكن في هذا الوقت من رجال القصر. وإلا فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفساً في عهد الظلم والطغيان، وما كان ليخشى شيئاً فضلاً على أن يصبح { خَائِفاً يَتَرَقَّبُ }، لو أنه كان ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره"³.

¹ عباس، د. فضل حسن: القصص القرآني إبحاره ونفحاته. ط:1. عمان: دار الفرقان. 1987. ص334 .

² سورة القصص: الآيات 18-21 .

³ قطب، سيد: في ظلال القرآن. 6مج . ط:17 . بيروت، القاهرة: دار الشروق 1992. ج5 ص2682-2683.

والثانية: حين خرج من بلده. {خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} . يتابع الأستاذ سيد قطب وصف الحالة الانفعالية لموسى U بقوله: "ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية، التوفّر والتلفت... ثم يتبعه السياق خارجاً من المدينة، خائفاً يترقب، وحيداً فريداً غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه"¹. وهذا الانفعال له ما يبرره ، فموسى U بشر، يقوم بقتل رجل قبطي من طائفة فرعون مصر، فيصدر فرعون حكمه بقتله، فمن الطبيعي إذاً أن يفر ويهرب وينفعل ويخاف، ويتربق، ويتلفت .

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " موسى U بعد قتل القبطي، أصبح في المدينة خائفاً يترقب، لأنه يخشى أن ينكشف أمره. وهذا الخوف منطقي لا يلام عليه. ولما علم أن فرعون أصدر أمره بقتله خرج من المدينة خائفاً يترقب. وسبق وصول الجنود إليه، وهذا الخوف أيضاً منطقي لا يلام عليه... وهو ليس جبناً ولا ضعفاً، ألا تريد من رجل يخاف بعد أن أصدر الحاكم أمره باعتقاله وقتله"² .

المشهد الثاني: خوف موسى عليه السلام من الحيّة :

يبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى: {يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا اتَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ³ .

وقال تعالى: { وَأَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ^ط إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ⁴ }

وهذا المشهد يكشف لنا عمق الانفعال الذي حصل لموسى U ، حين شاهد عصاه تتحول إلى ثعبان، فيفر هارباً خائفاً ولا يعقب، ولا يلتفت إلى الوراء من شدة الخوف. يقول الأستاذ سيد رحمه الله وهو يصور لنا حالة موسى U : " فقد ألقى موسى عصاه كما أمر ، فإذا هي تدب

¹ المرجع السابق: ج 5 ص 2685.

² الخالدي، د. صلاح: مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ط: 1. دمشق: دار القلم. 2003. ص 231 .

³ سورة النمل: الآيتان 10.9 .

⁴ سورة القصص : الآية 31 .

وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيات "الجانّ"، وأدركت موسى U طبيعته الانفعالية، وأخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال، وجرى بعيداً عن الحيّة دون أن يفكر بالرجوع، وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال¹.

ويقول في موضع آخر عند قول الله تعالى: { وَأَنَّ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ }²: "إنها المفاجأة التي لم يستعد لها، مع الطبيعة الانفعالية، التي تأخذها الوهلة الأولى .. {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} ولم يفكر في العودة إليها ليتبين ماذا بها، وليتأمل هذه العجيبة الضخمة، وهذه هي سمة الانفعاليين البارزة تتجلى في موعدها"³.

وقول الله تعالى: { وَلَمْ يُعَقِّبْ } يقول ابن عاشور⁴: "التعقب: الرجوع بعد الانصراف مشتق من العقب لأنه رجوع إلى جهة العقب أي الخلف، وهو تأكيد لشدة توليه عليه السلام، أي أنه ولّى تولياً قوياً لا تردد فيه، وكان ذلك التولّي منه لتغلب القوة الواهمة التي في جبلّة الإنسان على قوة العقل الباعثة على التأمل فيما دل عليه قوله تعالى: {إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} من الكناية عن إعطائه النبوة والتأييد، إذ كانت القوة الواهمة متأصلة في الجبلّة سابقة على ما تلقاه من التعريض بالرسالة. وتأصل القوة الواهمة يزول بالتخلق، وبمحاربة العقل للوهم، فلا يزالان يتدافعان ويضعف سلطان الوهم بتعاقب الأيام"⁵.

وبيزيد الشيخ ابن عاشور رحمه الله فائدة أخرى عند قوله تعالى: { يَمْوَسِي لَّا تَخَفْ } فيقول: "النهي عن الخوف تستعمل في النهي عن استمرار الخوف، لأن خوفه قد حصل، والخوف

¹ قطب: في ظلال القرآن. ج 5 ص 2629.

² سورة القصص: الآية 31.

³ قطب: في ظلال القرآن. ج 5 ص 2692.

⁴ هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد ودرس وتوفي بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات عديدة ومطبوعة من أشهرها: التحرير والتنوير في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وموجز البلاغة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وغيرها. توفي سنة 1973م. انظر: الزركلي: الأعلام. ج 6 ص 174.

⁵ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. 12 مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. ج 8 ص 228.

الحاصل لموسى U خوف رعب من انقلاب العصا حيّة وليس خوف ذنب. فالمعنى: لا يجبن لدي المرسلون لأنني أحفظهم".¹

المشهد الثالث: خوف موسى عليه السلام من فعل السحرة :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئِكَ مِنَ الْقَوْمِ ۗ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۗ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ۗ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۗ ۝۲ ﴾

وهذه المرة الثالثة التي نلتقي فيها مع موسى U في انفعال خوف، ولكنه خوف من نوع آخر إنه خوف الوجس. والوجس: "الصوت الخفي"، قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۗ ۝۳ ﴾ فالوجس قالوا هو حالة تحصل من النفس بعد الهاجس لأن الهاجس مُبتدأ التفكير، ثم يكون الـواجس الخاطر"⁴. ويأتي بمعنى الإضمار⁵. يقول الشيخ الميداني: "وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ۗ ﴾⁶ أي أحسّ موسى U بشيء من الخوف في نفسه، من أن تتساوى في نظر الجماهير المحتشدة، آيته وسحر سحرة فرعون، وأحسّ بهذا الخوف بسبب المفاجأة التي أتت على بصره، وكان عارضاً بمقتضى طبيعته البشرية الانفعالية التي تتأثر بالعوارض قبل المحاكمة العقلية"⁷.

وللشيخ ابن عاشور توجيه جدير بالاهتمام لهذا الانفعال الذي حصل لموسى U إذ يقول: "قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ۗ ﴾⁸ أوجس: أضمر واستشعر، والخيفة جاءت منصوبة

¹ المرجع السابق: نفس الجزء والصفحة .

² سورة طه: الآيات 65-68.

³ سورة الذاريات : الآية 28 .

⁴ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص528 .

⁵ الزمخشري، أبو هاشم محمود بن عمر: أساس البلاغة. تحقيق: عبد الرحيم محمود. بلا طبعة . بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ص492.

⁶ سورة طه : الآية 67 .

⁷ الميداني: معارج التفكير. ج8 ص172 .

⁸ سورة طه : الآية 67 .

على المفعولية، أي وجد في نفسه، وخيفة: اسم هيئة من الخوف أريد به مطلق مصدر. وأصله خوفاً، فقلبت الواو ياءً لوقوعها إثر كسرة. وزيادة { فِي نَفْسِهِ } هنا للإشارة إلى أنها خيفة تفكر، لم يظهر أثرها على ملامحه، وإنما خاف موسى من أن يظهر أمر السحرة فيساوي ما يظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعباناً، لأنه يكون قد ساواهم في عملهم، ويكونون قد فاقوه بالكثرة. أو خشى أن يكون الله أراد استدراج السحرة مدة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه ومدته، لما تكون له العاقبة فخشي ذلك. وهذا مقام الخوف، وهو مقام جليل مثله مقام النبي محمد عليه الصلاة والسلام يوم بدر إذ قال: اللهم إني أسألك نصرتك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد في الأرض¹. والدليل على هذا قوله تعالى: { قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى }²، فتأكيد الجملة بحرف التأكيد وتقوية تأكيدها بضمير الفصل، وبالتعريف في { الأعلى }، دليل على أن ما خامره من الخوف إنما هو خوف ظهور السحرة عند العامة، ولو في وقت ما. وهو وإن كان موقناً بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله، لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدة قليلة، لإظهار ثبات إيمان المؤمنين، كما قال الله لرسوله عليه السلام: { لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٣١﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ³ }⁴.

وهذه اللفتة من الشيخ ابن عاشور رحمه الله تفيدنا في أن انفعال الخوف الذي حصل لموسى U في هذه المرحلة إنما هو انفعال إيجابي وليس سلبياً، إنه يخاف ويضمر هذا الخوف لكنه ليس خوف جبن، أو خوفاً على حياته، إنه خوف من أجل رسالة السماء أن تمس أو تهان، وحتى هذا الخوف كان داخلياً وموقناً.

يقول الدكتور صلاح الخالدي عن هذه الخيفة التي ألمت بموسى U: " وهذه الخيفة العرضية التي ألمت بموسى U من لوازم بشريته، ولا يلام عليها، لأنها لم تستمر طويلاً، ولم تتحول إلى جبن وخوف، ولم تؤد به إلى الهزيمة، ومرور الخيفة به سريعاً على صورة طائف

¹ رواه مسلم بلفظ: " اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم آت ما وعدتني . اللهم إن هلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. رقم الحديث (1763). ج 3 ص 1384.

² سورة طه: الآيات 68 .

³ سورة آل عمران: الآيات 196، 197 .

⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 7 ص 259-260 .

عرضي موقوت, أمر مفهوم مبرر, لأنه كان في مباراة كبيرة, ومعركة قوة, ومن كان مكانه لا يتوجس خيفة, وإنما ينهار من الخوف"¹.

ثالثاً: اللطائف والفوائد من هذه المشاهد:

لما كانت الغاية من هذا القرآن هداية الناس, والهداية تأتي من خلال التدبر في القرآن مصداقاً لقوله تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَفَرَأَىٰ }² فبعد التدبر في هذه المشاهد الثلاثة التي قصها الله علينا في مواضع مختلفة من القرآن الكريم من سيرة نبي الله موسى ﷺ, وصلت إلى نتائج وفوائد ولطائف كثيرة مرتبطة بموضوع بحثي, سأكتفي بذكر بعضها:-

أولاً: في هذه المشاهد إثبات بشرية نبي الله موسى ﷺ, وأنه لم يخرج في كل مراحل حياته قبل النبوة وبعدها, في صغره أو شبابه أو كبره, عن بشريته وإنسانيته, ووقع له ما يقع عادة للبشر من الخوف بحكم بشريته وطبيعته الإنسانية.

ثانياً: لقد كانت عناية الله تحيط بموسى ﷺ منذ ولادته وحتى وفاته, ولقد وصف الله مدى عنايته بموسى حتى قبل ولادته قائلاً: { وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي }³.

وقال: { وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي }⁴ ومع هذه الرعاية والعناية والاصطناع, إلا أن الله سبحانه وتعالى أبقى في موسى ﷺ هذا الجانب البشري بقوة, وهذا الانفعال وغيره من الانفعالات ليكون النموذج والعبرة. وأن الله سبحانه وتعالى أبقى فيه هذه الانفعالات وأبرزها كثيراً في كتابه الكريم.

ثالثاً: إن الخوف غريزة في البشر, ومنهم نبي الله موسى ﷺ, فموسى يخاف مرتين مرة بعد قتله القبطي, ومعرفته بملاحقة فرعون له { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ }⁵ وأخرى في هروبه من

¹ الخالدي: مواقف الأنبياء في القرآن. ص 152 .

² سورة النساء: الآية 82 .

³ سورة طه: الآية 39 .

⁴ سورة طه: الآية 41 .

⁵ سورة القصص : الآية 18 .

وجه فرعون وزبانيته وحتى من مدينته {خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}¹. والخوفان مقرونان بالترقب والتلفت للتدليل على مدى الخوف الذي انعكس على موسى U , وللتدليل كذلك على أن الخوف انفعال مغروز في نفس موسى U . وهذا الانفعال من النوع الشديد الذي حصل لموسى U ولقد أثر فيه وعليه U .

رابعاً: مهما عظمت القوة الجسمية فإن انفعال الخوف يبقى جزءاً لا يتجزأ من بشرية موسى U , فموسى بوكزة من يده يقتل رجلاً , قال تعالى { فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ }² , وهذا يدل على شجاعته وقوته. لكن هذه القوة والشجاعة ما أغنت شيئاً أمام انفعال الخوف.

خامساً: إن أهم الفوائد من هذه المشاهد أن انفعال الخوف كان بادياً وظاهراً على شخصية موسى U قبل النبوة في المشهدين الأول والثاني. فالخوف وتأكيديه بكلمة يترقب { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ }³ و {خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}⁴ يدل على مدى الانفعال وشدته وظهوره وبروزه بقوة في شخصية موسى U .

وكذلك في مشهد انقلاب العصا إلى ثعبان في طور سيناء ولّى موسى U هارباً ولم يعقب أي لم يلتفت وراءه. لأن المفاجأة والمباغطة في تحويل العصا إلى ثعبان كانت أقوى بكثير على نفسه من أن ينظر إلى الورا .

وهذا الانفعال كذلك كان قبل النبوة. لكن في المشهد الثالث رأينا أن موسى U خاف, لكن هذا الخوف لم يظهر عليه, ولم يظهر على جوارحه, ولا على قسّمات وجهه.

فانعكاس الخوف بقي داخلياً, وجاء الخوف على صورة طائف مر على خاطره وفكره , مع أن الموقف رهيب وشديد, بل أشد من تحويل عصا إلى ثعبان في سيناء, إن هذا الموقف فيه كثير

¹ سورة القصص : الآية 21 .

² سورة القصص : الآية 15 .

³ سورة القصص : الآية 18 .

⁴ سورة القصص : الآية 21 .

من العصي التي تحولت إلى ثعابين في مخيلة موسى U { مُخِيلٌ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى }¹ ومع كل ذلك لم نر موسى U يفر أو يهرب كما هرب عند الطور, وإنما بقي ثابت الجأش قوي البنيان ففي هذا المشهد كان موسى U نبياً محاطاً بالرعاية الإلهية والتوفيق الرباني { قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى }².

المطلب الثاني : مشهد الخوف عند إبراهيم عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية إبراهيم عليه السلام :

إبراهيم عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل³, ذكره القرآن المجيد في خمس وعشرين سورة⁴, وسمي سورة كاملة باسمه⁵, وتعد قصته بمشاهدتها المختلفة ثاني أطول وأوسع قصة في القرآن الكريم بعد قصة موسى U.

وإبراهيم U هو ابن آزر⁶ وينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام⁷. وكان U أشبه الخلق بهيئة وصفة نبينا محمد P, فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله

¹ سورة طه : الآية 66 .

² سورة طه : الآية 68 .

³ لقوله تعالى: " { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } " سورة الأحزاب: الآية [7] .

⁴ وهي: البقرة : الآيات (130,132,133,135,136,140,258,260), آل عمران: الآيات (33,65,67,68,84,95,97), النساء: الآيات (54,125,163), الأنعام: الآيات (74,75,183,161), التوبة: الآيات (70,114), هود : الآيات (69,74,75,76), يوسف: الآيات (6,38), إبراهيم: الآية (35), الحجر: الآية (51), النحل : الآيات (120,123), مريم: الآيات (41,46,58), الأنبياء: الآيات (51,60,62,69), الحج: الآيات (26,43,78), الشعراء : الآية (69), العنكبوت: الآيات (16,31), الأحزاب: الآية (7), الصافات: الآيات (83,104,109), ص: الآية (45), الشورى: الآية (13), الزخرف: الآية (26), الذاريات: الآية (24), النجم: الآية (37), الحديد: الآية (26), المتحنة: الآية (4), الأعلى: الآية (19).

⁵ هي سورة إبراهيم .

⁶ وهذا هو الصحيح الذي يدل عليه ظاهر قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرَ أَنْتَخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً } . [سورة الأنعام: الآية 74] .

⁷ ذكره الحاكم عن محمد بن اسحق . انظر : الحاكم: المستدرک على الصحيحين . ج 2 ص 550 .

رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "عرض عليّ الأنبياء ... ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه فإذا أقرب من رأيت به شبيهاً صاحبكم. يعني نفسه ﷺ".¹

ويكفي إبراهيم ﷺ فضلاً أنه أبو الأنبياء²، وخليل الله، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾³. وأنزلت عليه الصحف قال تعالى: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾⁴، ولم يأمر الله رسوله عليه السلام أن يتبع ملة أحد من الأنبياء قبله إلا ملة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁵. وبعثه الله بالحنيفية السمحة، فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁶

وكان ﷺ شجاعاً، قوياً في الحق، لا يهاب ولا يخشى أحداً إلا الله، مضحياً بنفسه وولده في سبيل الله، حطّم الأصنام⁷، وألقي في النيران⁸، وجادل النمرود في الله⁹، فتغلب عليه بالحجة والبيان والبرهان، إلا أنه لم يخرج عن بشريته، فقد ذكر الله سبحانه انفعال الخوف عند إبراهيم ﷺ في مشهد بارز من مشاهد قصته في القرآن الكريم.

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (167)، ج 1 ص 153.
² ولقب بهذا اللقب لكون جميع الأنبياء الذين جاؤوا من بعده هم من ذريته، انظر: أبو حنيفة، عماد الدين بن أحمد: النجوم الالامعة في ثقافة المسلم الجامعة، ط: 1، عمان: دار الرازي، 1999، ص 612. وقال ابن القيم: "فإبراهيم هو الأب الثالث للعالم، فإن أبانا الأول آدم، والثاني نوح، وأهل الأرض كلهم من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُوبًا وَآلِيًّا﴾. [سورة الصافات: الآية 77]. وكان ابن القيم يقصد في هذه الآية لإبراهيم عليه السلام في الفضيلة والمكانة، حيث يقول: "فالآب الثالث أب الآباء وعمود العالم، وإمام الخلفاء الذي اتخذ الله خليلاً...". انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، بلا طبعة، القاهرة: مكتبة المتنبى، بلا تاريخ، ص 144.

³ سورة النساء: الآية 125.

⁴ سورة الأعراف: الآية 19.

⁵ سورة النحل: الآية 123.

⁶ سورة آل عمران: الآية 67.

⁷ قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُنُودًا لِلَّهِ يقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. [سورة الأنبياء: الآية 58].

⁸ قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، قلنا يَنبَأُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ. [سورة الأنبياء: الآيات 68، 69].

⁹ قال تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ دَرَجًا حَاجًّا يَخَافُ أَنْ يُتَّخَذَ اللَّهُ مَلَكًا﴾، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيَا وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. [سورة البقرة: الآية 258].

ثانيا : خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه:

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى: { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا¹ قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ , فَأَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ... إلى قوله تعالى: { فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى مُجْتَدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ , إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ }¹. وجاء في سورة الذاريات قوله سبحانه: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ , إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ , فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ , فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ , فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَدَشَّرُوهُ يُغْلَمٌ عَلَيْهِ }².

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال إبراهيم U انفعال خوف وتوجس, وهو نداء نفسي خفي, ووسواس داخلي, يكون بسبب مرور الإنسان بحالة معينة, يقول الدكتور الخالدي: "التوجس لا يكون إلا مقترنا بالخوف, وهو حالة نفسية شعورية, فإذا تعمقت في النفس قادت إلى التخوف الفعلي"³. ومقصود الدكتور الخالدي بالخوف: الخيفة أو الخوف الداخلي النفسي.

من هنا فإن هذا النوع من الخوف لم يخرج عن نطاق القلب والشعور الداخلي, ثم ظهر أثره على ملامح وجهه. وهذا الانفعال الذي حصل لإبراهيم U كان حالة نفسية عرضية سريعة, بان أثرها على وجهه.

ولكن كيف حصل هذا الانفعال لإبراهيم U ؟ من المعلوم أن إبراهيم U " عرف عنه إكرام الضيفان, واعتياد قراهم, وصار منزله مضيضة, مطروقا لمن ورده, لا يحتاج إلى استئذان"⁴. قال

¹ سورة هود : الآيات 69-74 .

² سورة الذاريات: الآيات 24-28 .

³ الخالدي: مواقف الأنبياء في القرآن الكريم, ص 251 .

⁴ ابن القيم, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: التفسير القيم. حققه: محمد حامد الفقي . بلا طبعة . بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ . ص 446 .

تعالى: { إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا }¹ لقد كان استئذان الداخل إلى منزله هو دخوله المنزل، وهذا غاية ما يكون عليه الكرم.

ولقد أبان المشهد القرآني بصورة جليّة وواضحة، وصول مجموعة من الملائكة على صورة رجال إلى منزل إبراهيم U، وكان إبراهيم لا يعرفهم، دخلوا عليه منزله، فقام من فوره وقدم لهم طعاماً شهياً، فلم تمتد أيديهم إليه، فلما رأى إبراهيم ذلك منهم نكرهم.

يقول محمد رشيد رضا²: "ونكر الشيء وأنكره ضد عرفه ، أي نكر ذلك منهم، ووجده على غير ما يعهد من الضيف، فإن الضيف لا يمتنع من المضيف إلا لريبة، أو قصد شيء، وأحس في نفسه خيفة منهم وفزعاً، أو أدرك ذلك وأضمره إذ شعر أنهم ليسوا بشراً، أو أنهم ربما كانوا من ملائكة العذاب. والوجس يطلق على ما يعتري النفس من الشعور والخواطر عند الفزع"³.

وذكر الشيخ رشيد رضا لهذين القولين بقوله: "وأحس في نفسه خيفة منهم وفزعاً أو أدرك ذلك وأضمر"، يثير التساؤل التالي: هل انفعال الخوف عند إبراهيم U بقي مضمرأ في داخله، أم انعكس أثره على جوارحه أو ملامح وجهه؟.

وقبل ترجيح أحد هذين القولين، أؤكد على أن المفسرين متفقون على حصول الخوف عند إبراهيم U . وذلك ثابت بالنص القرآني في ثلاث سور هي سورة هود⁴، وسورة الحجر⁵ وسورة الذاريات⁶، إلا أن الخلاف بينهم فيما إذا انعكس هذا الخوف على وجه إبراهيم U أم بقي مضمرأ؟.

¹ سورة الذاريات : الآية 25 .

² هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، البغدادي الأصل ، الحسيني النسب ، أحد رجال الإصلاح الإسلامي ، من الكتاب ، والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ، ولد ونشأ بالقلمون من أعمال طرابلس الشام ، رحل إلى مصر وتلمذ على يد الشيخ محمد عبده ، اصدر مجلة المنار . من أشهر مؤلفاته : تفسير القرآن الحكيم ، مجلة المنار، تاريخ الأستاذ الإمام . مات ودفن بالقاهرة سنة 1935 . انظر : الزركلي : الأعلام .ج6 ص126 .

³ رضا ، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم . 12 مج . ط: 2. بيروت : دار الفكر . بلا تاريخ .ج12 . ص128 .

⁴ الآية 52 .

⁵ الآية 52 .

⁶ الآية 28 .

هناك من المفسرين من مال إلى أن انفعال الخوف عند إبراهيم U بقي مضمرًا منهم القرطبي¹،
والقاسمي².

وابن الجوزي³، وابن القيم⁴، ودليلهم على ما ذهبوا إليه أمران هما :

1— تأويل كلمة أوجس بمعنى أضمر، وهذا يتعلق بداخل النفس.

2— دليل استنتاجي وهو أن الخوف في ظن الكثيرين صفة نقص، وانفعال سلبي، وهذا لا يليق
بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام . وعليه بقي الانفعال داخلي.

والذي أميل إليه وأرجحه أن انفعال الخوف قد انعكس على إبراهيم U ، سواء على جوارحه
أو على ملامح وجهه بدليل:

1— إن الملائكة (الضيوف) قد طمأنوا إبراهيم U مباشرة بعد ما رأوا عليه أثر الخوف، { لَا تَخَفْ
{ قال الألوسي⁵: "قالوا: حين رأوا أثر ذلك عليه U ، أو أعلمهم الله تعالى بذلك"¹ فالألوسي

¹ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 9 ص 65 .

² هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، إمام الشام في عصره ، علما بالدين ، وتضلعا في فنون الأدب ، مولده ووفاته في دمشق . كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد . له أكثر من سبعين مصنفا ، من أشهرها : محاسن التأويل ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . مات سنة 1914م . انظر : الزر كلبي : الأعلام . ج 2 ص 135 . القاسمي ، محمد جمال الدين : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . (10مج) . رقمه وخرج آياته وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي . بلا طبعة . القاهرة: دار إحياء الكتب العربية . بلا تاريخ . ج 15 ص 5531 .

³ هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي البغدادي ، فقيه حنبلي ، وواعظ بليغ ، كان علامة عصره ، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، له مؤلفات كثيرة في فنون عديدة : منها زاد المسير في علم التفسير والمنظّم في التاريخ والموضوعات في الحديث ، توفي سنة 597هـ . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ج 3 ص 140-142 . ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير. 8مج. حققه : محمد بن عبد الرحمن عبد الله. خرج أحاديثه: السعيد زغلول. ط: 1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1978م. ج 4 ص 102.

⁴ ابن القيم: التفسير القيم. ص 448 .

⁵ هو أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، مفسر ، محدث ، أديب ، من المجددين ، ولد وتوفي في بغداد ، كان سلفي العقيدة ، مجتهد ، له مؤلفات كثيرة من أهمها : روح المعاني في التفسير ، وغرائب الاغتراب في تراجم من لقبهم . توفي سنة 1854م . انظر : الزر كلبي : الأعلام . ج 7 ص 176.

رحمه الله قدّم القول الأول وهو وجود الأثر والانعكاس على إعلام الله تعالى للملائكة وهذا هو الظاهر والله أعلم.

ومع أن ابن عباس² رضي الله عنهما قدّم إعلام الله للملائكة إلا أنه لم يغفل انعكاس الخوف على إبراهيم U فقال: " وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب, وعلم الملائكة بما أضمر في نفسه من الخوف, إنما يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه أو بظهور أمارته في الوجه, فاستدلوا بذلك على الباطن"³. وهذا الذي أميل إليه.

2- ما جاء في سورة الحجر: {وَنَبِّئِهِمْ عَنِ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٦﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٠٨﴾}.⁴ فإبراهيم U, قال لهم: { إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ } أي خائفون⁵. فالخوف كان بادياً عليه منهم, خاصة بعد امتناعهم عن الأكل, فالتصريح بالقول:

{ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ } أظهر مدى الانعكاس الداخلي عند إبراهيم U, فهو لم يظهر على معالم وجهه فحسب, بل إنه صرّح به وأعلنه بالقول. وهناك لفظة للآلوسي في هذا الأمر إذ يقول: "وقيل يحتمل أن يكون القول { إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ } هنا مجازاً بأن يكون قد ظهرت عليه U مخايل الخوف حتى صار كالقائل المصرح بها"⁶.

وأما استدلالهم بأن كلمة أوجس بمعنى أضمر أي في القلب. فإنها تأتي كذلك بمعنى آخر غير أضمر. تأتي بمعنى "أحس" كما قال القرطبي⁷. والإحساس يمكن أن يظهر على الجوارح

¹ الآلوسي, شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ. ج12 ص94.

² هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب, ابن عم النبي p. كان يسمى البحر, لسعة علمه, ويسمى حبر الأمة, توفي الرسول p وعمره ثلاث عشرة سنة, وعمّر بعده حتى توفي سنة 68هـ, عن سبعين سنة. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في تمييز الصحابة. ج3 ص186-190.

³ أبو حيان, محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط. 8مج. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون. ط:1, بيروت: دار الكتب العلمية. 1993م. ج8 ص138.

⁴ سورة الحجر: الآيات 51-53.

⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج4 ص166.

⁶ الآلوسي: روح المعاني. ج14 ص61.

⁷ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج9 ص65.

والوجه. والآلوسي يقول: "أضمر: استشعر وأدرك"¹. والشعور قد يظهر كذلك على الجوارح أو الوجه أو بعض التصرفات الأخرى.

وأما أن الخوف انفعال لا يليق بالأنبياء عليهم السلام . فأقول : إن الخوف هو انفعال طبيعي إذا لم يجاوز حدّه، وخوف إبراهيم ٥ كان منطقياً طبيعياً , لا حرج فيه ولا عليه.

وسياق المشهد القرآني يؤكّد ذلك, بل إن عادة العرب أن الضيف الذي يدخل البيت ويكرم حين يقدم له الطعام, ولا يأكل ولا يشرب إنما يكون مضمرًا على شر في الغالب.

وبالتالي فإن إبراهيم ٥ حين توجس خيفة فهو غير ملام على ذلك, وهذا من الطبيعة البشرية.

المطلب الثالث : مشهد الخوف عند لوط عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية لوط عليه السلام :

لوط ٥ أحد الأنبياء الذين أكثر القرآن الكريم من ذكره, وذكر قومه, وذكر الفاحشة التي كانوا يقترفونها, والتي لم تعرف في تاريخ البشرية قبلهم¹, فقد ذكره القرآن الكريم في أربع

¹ الآلوسي: روح المعاني, ج 12 ص 95 .

عشرة سورة². وكان U أحد الذين آمنوا برسالة إبراهيم U كما قال سبحانه: { فَصَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }³.

ولوط U هو ابن هارون بن آزر⁴, أي ابن أخ إبراهيم U. ومن فضائل لوط U أنه لازم
عمه إبراهيم U في هجرته وفي أسفاره كلها, قبل أن يرسله الله سبحانه إلى أهل "سدوم"⁵. لقوله
تعالى: { فَصَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }⁶

من أبرز ملامح شخصيته U :

1- العلم والحكم . قال تعالى : {وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ
الْخَبِيثَاتِ }⁷.

قال القرطبي : " والحكم : النبوة . والعلم : المعرفة بأمر الدين , وما يقع به الحكم بين
الخصم"⁸.

¹ لقوله تعالى : { وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } . [سورة
الأعراف : الآية 80] . قال القرطبي : " (من) لاستغراق الجنس , أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط " . انظر : القرطبي : الجامع
لأحكام القرآن . ج 7 ص 245 .

² وهي الأنعام : الآية (86) , الأعراف : الآية (80) , هود : الآيات (70,74,77,81,89) , الحجر : الآيات (59,61) , الأنبياء
: الآيات (71,74) , الحج : الآية (43) , الشعراء : الآيات (160,167) , النحل : الآيات (54,56) , العنكبوت :
الآيات (26,28,32,33) , الصافات : الآية (133) , ص : الآية (13) , ق : الآية (13) , القمر : الآيات (33,34) , التحريم : الآية (10) .

³ سورة العنكبوت : الآية 26 .

⁴ ابن كثير , إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . 7 مج . تحقيق : أحمد فيستح . ط : 6 . القاهرة : دار الحديث . 2002 م . ج 1
ص 180 .

⁵ الطبري , محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك . 6 مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . 1979 . ج 1 ص 150 . قال الحموي :
سدوم : فعول من السدم وهو الندم مع غم . قال أبو منصور : مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم " . انظر : الحموي ,
ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان . 5 مج . بلا طبعة . بيروت : دار إحياء التراث العربي . بلا تاريخ . ج 3 ص 200 .

⁶ سورة العنكبوت : الآية 26 .

⁷ سورة الأنبياء : الآية 74 .

⁸ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 11 ص 306 .

2- الصراحة وقوة الشخصية . فقد جابه قومه بأنهم "بدع دون خلق الله , فعلوا ما لم يسبقهم إليه أحد من العالمين"¹. وعرض عليهم بكل صراحة ووضوح الزواج من بناته قائلًا : { هَتُّوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ }².

3- الكرم والعتاء . وهذه صفة مميزة في شخصيته , فقد رأينا لوط U يستقبل ضيوفه وهو لا يعرفهم . قال تعالى : { إِنَّ هَتُّوْلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٩﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ }³. وقال { فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ }⁴. فقد استقبلهم وهو لا يعرفهم .

4- الغيرة على العرض . حيث دافع بكل ما أوتي من قوة بيان , وحجة منطق , عن عرض ضيوفه . فقال لقومه: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ }⁵. وقال : { إِنَّ هَتُّوْلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٩﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ }⁶.

5- الصبر على مشاق الدعوة , وتكاليفها . فقد كانت مهمته الدعوية محدّدة لقوم (سدوم) , الذين كانوا يمارسون الدنس والفجور , وكانوا "ممعنين في الخي" , مستغرقين في الفحش , لا يباليون بما يمكن أن يقال " ⁷ . فمكث فيهم ما قدره الله له أن يمكث , وهو يدعوهم إلى ترك غيهم وباطلهم قائلًا : { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ }⁸. فما كان من قومه إلا أن هددوه بالطرد من القرية قائلين : { لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ }⁹. وبيّنوا سبب هذا الطرد : { أَخْرِجُوْا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ }¹⁰. وكانوا سبباً في كفر زوجته , قال تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ

¹ الأميري , أحمد البراء : فقه دعوة الأنبياء . ط : 1 . دمشق : دار القلم . 2000 . ص 267 .

² سورة هود : الآية 78 .

³ سورة الحجر : الآيتان 68,69 .

⁴ سورة الحجر : الآيتان 61,62 .

⁵ سورة هود : الآية 78 .

⁶ سورة الحجر : الآيتان 68,69 .

⁷ عباس : القصص القرآني إجاؤه ونفحاته . ص 206 .

⁸ سورة الشعراء : الآيتان 165,166 .

⁹ سورة الشعراء : الآية 167 .

¹⁰ سورة النمل : الآية 56 .

وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ ۗ كَانَتْ تَحْتِ عِبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ
 أَدْخِلَا آلِنَارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ¹. ومع كل هذه الابتلاءات في أهله وقومه فقد كان صابراً , شديد
 التحمل .

ولقد حصل لهذا النبي الكريم الطاهر انفعال الخوف, وحُق له ذلك. فإن المشهد الذي ذكره
 القرآن الكريم يدل على مدى السقوط الأخلاقي الذي وصل إليه قوم لوط U , حين حاولوا
 المساس بشرف ضيوفه , فكان حقاً على لوط أن ينفعل خوفاً وغضباً وأسىً وحرناً.

ثانياً : خوف لوط عليه السلام على ضيوفه :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى: { وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ وَجَاءَهُد قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۗ قَالَ يَنْفَرُ مَهْتُولًا
 بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا
 فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ² وفي سورة
 العنكبوت يقول الله سبحانه: { وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ
 وَلَا تَحْزَنْ ۗ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ ۗ كَانَتْ مِنَ الْغَٰيِبِينَ }³.

ففي هذا المشهد, نلمس من بين هذه الكلمات الربانية, الحالة النفسية التي كان عليها لوط U,
 وهو يستقبل ضيوفاً لا يعرفهم. دخلوا عليه بيته, وكانوا حسان الوجوه, وبالتالي سيكونون هدفاً
 لأولئك الشواذ من قومه, إن لوطاً U كان يعرف جيداً حجم الشذوذ الذي أصاب قومه ويعرف
 جيداً ما الذي سيحصل لضيوفه من قبل هؤلاء الشواذ, لذا وصف اليوم الذي جاءه ضيوفه فيه
 بأنه { يَوْمٌ عَصِيبٌ } { وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا } . ومعلوم أن قوم لوط U كانوا قد منعوه استقبال الضيوف
 الغرباء, بدليل قوله تعالى على لسان قوم لوط: { قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ }⁴. لذا ما إن دخل
 ضيوفه عليه حتى بدأت الانفعالات النفسية تظهر على لوط U , على وجهه, وجوارحه,

¹ سورة التحريم : الآية 10 .

² سورة هود: الآيات 77-81 .

³ سورة العنكبوت : الآية 33 .

⁴ سورة الحجر : الآية 70 .

ولسانه. ولننظر إلى التعبير القرآني الدقيق والبلوغ وهو يصف حالة لوط U وحجم هذه الانفعالات التي وصلت إلى ستة انفعالات وهي:

1_ (سيء بهم) 2_ (ضاق بهم ذرعاً) . - (قال: هذا يوم عصيب) 4_ (هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) 5_ (لو أن لي بكم قوة) 6_ (أو آوي إلى ركن شديد) .

إن المتدبر في هذه الكلمات ليستشعر عظم وخطورة الموقف الذي وصل إليه لوط U. إنها تشعر بالأسى، والحزن، والخوف، واليأس، والضعف.

ولقد كان انفعال الخوف هو البارز من بين هذه الانفعالات بدليل: قول الملائكة للوط U : {لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ} ¹. فتقديم الخوف على الحزن ، دليل ظهور أمارته على لوط U أكثر من انفعال الحزن والهمّ والأسى. ثم إن لوطاً U كان غريباً عن ديار قومه، فلقد جاء مهاجراً إليها، لا يوجد له فيها أهل ولا عشيرة ولا قبيلة تمنعه أو تحميه، لذلك قال : {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِيَّ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} ² . ولقد أثرت هذه الكلمات في نبينا محمد U حين قال : " يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد " ³ يعني الله سبحانه وتعالى .

2- قول الملائكة للوط U : {لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ} ⁴. فتقديم الخوف على الحزن ، دليل ظهور أمارته على لوط U أكثر من انفعال الحزن والهمّ والأسى.

¹ سورة العنكبوت : الآية 33 .

² سورة هود : الآية 80 .

³ رواه البخاري . انظر : البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ

لِّلسَّالِطِينَ} . [يوسف : 7] . رقم الحديث (3387) . ج2ص149 . وفي رواية أخرى للحديث: " رحم الله لوطا , لقد كان يأوي إلى ركن شديد , وما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه " . رواه الترمذي والحاكم . انظر : الترمذي : سنن الترمذي . كتاب ثواب القرآن عن رسول الله p . باب ومن سورة يوسف . رقم الحديث (3116) . وقال الترمذي : الثروة: الكثرة والمنعة. وهذا حديث حسن . وحسنه الألباني . ص700 . الحاكم : المستدرک علی الصحیحین . وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم . وأقره الذهبي في الذيل . ج2ص561 .

⁴ سورة العنكبوت : الآية 33 .

وعليه فإن انفعال الخوف الذي بدا واضحاً على لوط U , كان منطقياً جداً , بل كان انفعالاً محموداً وإيجابياً . فلوط U لا يخاف من قومه على نفسه , فهو عندهم منذ مدة ليست بالقصيرة يدعوهم , ويذكرهم , ويخوفهم عذاب الله وعقابه . لكن خوفه U كان على ضيوفه الذين لا يعرفهم , من قومه الذين لا عهد لهم ولا أمان , لأنهم ليسوا راشدين , فحمى الشذوذ قلبت موازين تفكيرهم . فأصبحوا لا يقدرون حرمةً لضيوفهم . وهذا الخوف جعله يستخدم أسلوبين لحماية ضيوفه ذكرهما القرآن الكريم هما:

الأول: مناقشة القوم ومناظرتهم : فقد ناظرهم عليه السلام , يوم جاؤوا يهرعون إليه , قال تعالى : { وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُرْغُونَ إِلَيْهِ }¹ وكلمة { مُرْغُونَ } تلقي بظلالها وجرسها على نفسية هذه الحثالة البشرية , التي حركتها حمأة الشذوذ , ودعتها للهجوم على ضيوفه . فمنذ اللحظة التي رأوا فيها ضيوف لوط U حسان الوجوه , استبشروا وسرّوا للفتك بهم , قال تعالى : { وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ }² . وبدعوا بمراودة لوط U لأخذ ضيوفه . قال تعالى : { وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ }³ . فقال لهم لوط U : { وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِ آلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ }⁴ . يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : " لقد وقف لوط يستثير النخوة الأدمية فيهم . ويستجيش وجدان تقوى الله . وإنه ليعلم أنهم لا يتقون الله 000 ولكن في كربته وشدته يحاول ما يستطيع { هَتُولَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ }⁵ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ }⁶ .

الثاني: عرضه عليهم الزواج من بناته : فحين لم تنفع معهم المناظرة والتذكير والنقاش , عرض عليهم { هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ }⁷ . و { هَتُولَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ }⁸ . فإذا أردتم

¹ سورة هود : الآية 78 .

² سورة الحجر : الآية 67 .

³ سورة القمر : الآية 37 .

⁴ سورة هود : الآية 78 .

⁵ سورة الحجر : الآيتان 69,68 .

⁶ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2149 .

⁷ سورة الحجر : الآية 71 .

⁸ سورة هود : الآية 78 .

الطهر والعفاف والنقاء في إطفاء الشهوة " فهؤلاء بناتي حاضرات تستطيعون الزواج منهن "1 .
لكن هناك تفسير آخر للآية وهو أن لوطاً U أرشدهم إلى نساءهم باعتبار أن النبي للأمة بمنزلة
الأب أو الأم 2 . وهذا التفسير الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب .

ويؤيده قوله عليه السلام : " إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ... "3 .

ويلاحظ من المشهد القرآني أن الضيوف _ الملائكة _ كانوا يرقبون الوضع في صمت طوال
فترة المحاولات والمناظرات بين لوط وقومه , وفجأة قال لوط U كما أخبر الله سبحانه: {قَالَ لَوْ
أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ}4 . قال هذه الكلمة بعد المحاولتين اليائستين لصرف قومه
عن ضيوفه . في هذه اللحظة تدخل الضيوف , وعرفوا لوطاً بأنفسهم , وطمأنوه قائلين: {لَا
تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}5 .

ولعل الحكمة من تأخير تدخل الملائكة لحسم الموقف من اللحظة الأولى والله أعلم , تعود
إلى الآتي:

أولاً : التأكيد على بشرية الأنبياء ومنهم لوط U , وأنه يصيبهم ما يصيب البشر من الشدة
والكرب , والخوف , وضيق الصدر , والضجر , والضعف .

ثانياً : تسلية للنبي محمد p ببيان أن إخوانه من الأنبياء قبله , أصابهم الخوف , والضرر
والعنت , وصبروا على ذلك , حتى جاءهم الفرج الإلهي بعد الشدة , والأمن بعد الخوف .

¹ القاسمي: محاسن التأويل . ج 9 ص 3471 .

² انظر : الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . 10 مج . تحقيق : أحمد البكري وآخرون . إشراف:
د. عبد الحميد مذكور . ط : 2 . القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . 1428هـ — 2007م . ج 6 ص 4385 .
القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 9 ص 76 . أبو حيان : البحر المحيط . ج 5 ص 246 . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم .
ج 3 ص 566 .

³ رواه أبو داود وحسنه الألباني . انظر : أبو داود : سنن أبي داود . كتاب الطهارة . باب كراهة استقبال القبلة عند قضاء الحاجة . رقم
الحديث : (7) . ص 6 .

⁴ سورة هود : الآية 80 .

⁵ سورة العنكبوت : الآية 33 .

المطلب الرابع : مشهد الخوف عند داود عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية داود عليه السلام :

داود U نبي من أنبياء بني إسرائيل , جمع الله له النبوة والملك , وأعطاه خيري الدنيا والآخرة , فكان نبيا ملكا, وأنزل عليه الزبور¹, وذكره القرآن في ستة عشر موضعا².

ومن أبرز ملامح شخصيته :

1- كان رجلاً قوياً , ذا بأس شديد , وسلطان عظيم , وملك كبير . فقد قتل جالوت في معركة فاصلة , قال تعالى : { وَكَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ }³, وقال سبحانه : { وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }⁴, أي القوة في العلم والعمل⁵ . وأعطاه الله الملك , قال تعالى : { وَءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ }⁶. ثم قال في وصف ملكه : { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ }⁷, أي قويناه بوفرة العَدَدِ والعُدَدِ , ونفوذ السلطة . وإمداده بالتأييد والنصر⁸ . كما أعطاه الله الخلافة في الأرض , فقال سبحانه : { يَبْدَأُ دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ }⁹. وهذا الملك والجاه والسلطان والقوة والبأس . انعكس على شخصيته بالحزم والعزم .

2- كان ذا نفسية صافية شفافة , وروح نقية . حيث وصفه الله تعالى بالأوَّاب فقال : { وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }¹⁰. بمعنى رجَّاع إليه تعالى بالإجابة والخشية والعبادة والصيام

¹ قال تعالى: { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا } . [سورة الإسراء . الآية 55] .

² وهي في سور: البقرة : الآية(251), والنساء : الآية(163), والمائدة : الآية(78), والأنعام: الآية(184) والإسراء: الآية(55), والأنبياء: الآيات(78,79), والنمل: الآيات(15,16), وسبأ: الآيات(10,13), وص : الآيات(17,22,24,26,30).

³ سورة البقرة : الآية 251.

⁴ سورة ص : الآية 17.

⁵ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 6 ص 50 .

⁶ سورة البقرة : الآية 251

⁷ سورة ص : الآية 20

⁸ القاسمي : محاسن التأويل . ج 14 ص 5085

⁹ سورة ص : الآية 25.

¹⁰ سورة ص : الآية 17.

لقوله عليه السلام : " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام , وأحب الصيام إلى الله صيام داود , وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه , ويصوم يوماً ويفطر يوماً " ² .

3- كان يتمتع بالحكمة , والبصيرة النافذة القوية في التمييز بين الحق والباطل , ورفع الشبهة. لذا وصفه الله تعالى بقوله : { وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ } ³ .

4- أعطاه الله تعالى العلم والحكم والفهم . قال سبحانه : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا } ⁴ . وقال تعالى : { وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا } ⁵ .

5- كان جميل المنظر , جميل الصوت . فقد جاء في حديث النذر : " لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ... فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ⁶ ما بين عينيه . قال : أي رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود " ⁷ . وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري , أن رسول الله ﷺ قال له : " يا أبا موسى لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود " ⁸ . والحديث فيه " أن أحداً لم يعط حسن الصوت ما أعطي داود عليه السلام , والمزمار هو الصوت الحسن " ⁹

¹ القاسمي : محاسن التأويل . ج 14 ص 5085 .

² رواه البخاري . انظر : البخاري : صحيح البخاري . كتاب التهجد . باب من نام عند السحر . رقم الحديث (1131) . ج 1 ص 120 .

³ سورة ص : الآية 20 .

⁴ سورة النمل : الآية 15 .

⁵ سورة الأنبياء : الآية 79 .

⁶ الوبيص : البريق . انظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 2 ص 104 .

⁷ رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . انظر : سنن الترمذي . كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ . باب (ومن سورة الأعراف) . رقم الحديث (3076) , وقال الألباني : صحيح . ص 689 .

⁸ البخاري : صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن . باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن . رقم الحديث (5048) . ج 2 ص 552 . مسلم : صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن . رقم الحديث (793) . ج 1 ص 546 .

⁹ انظر : ابن حجر : فتح الباري . ج 9 ص 93 .

6- كان يأكل من عمله . فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة τ قال: قال رسول p : "إن داود النبي \cup كان لا يأكل إلا من عمل يده"¹ .

ومع كل هذا الملك الذي أعطاه الله إياه , ووجود الحشم والخدم والجند والحراس , فقد حصل لداود \cup الخوف , بل هناك ما هو أشد وهو الفزع.

ثانيا : خوف داود عليه السلام من الخصمين :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى: { وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابِ ﴿٦٦﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَآهَدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ }²

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: " تتحدث الآيات عن قصة حدثت لداود \cup تذكر أن خصمين دخلا عليه مجلسه في صورة غير مألوفة. تسورا السور. ولم يدخل عليه من المدخل الطبيعي إليه. ففزع منهم, وتوقع الشر من دخولهما على تلك الصورة التي يقتحمان عليه فيها مجلسه اقتحاما من غير استئذان, وهو الملك ذو البأس والسلطان, وتقوم على حراسته الجنود والحجّاب"³.

ويقول الرازي⁴: " إن السبب في الفزع أن داود \cup لما رآهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد, علم أنما دخلا عليه للنشر فلا جرم فزع منهم"⁵.

¹ البخاري : صحيح البخاري . كتاب البيع . باب كسب الرجل وعمله بيده . رقم الحديث (2073). ج1ص 452.

² سورة ص : الآيات 21-23 .

³ الخطيب ,عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. 15مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . بلا تاريخ . ج 23 ص 1065-1066 .

⁴ هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني . المفسر , كبير الأذكياء, والحكماء, والمصنفين .

له مؤلفات عديدة من أشهرها التفسير الكبير . توفي يوم عيد الفطر سنة 606هـ . انظر: الذهبي, محمد بن أحمد بن عثمان : سير

أعلام النبلاء . 25مج . حققه: بشار عواد و محيي السرحان . ط : 8 . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1992 . ج21ص 500-501 .

⁵ الرازي , فخر الدين محمد بن عمر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . 16مج . ط : 1 . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

. 1981م. ج12-3 ص 195 .

وحالة الفرع التي أصابت داود U هي مرحلة متقدمة عن انفعال الخوف , فالفرع أشد من الخوف . حيث جاء في المعجم الوسيط أن الفرع هو : الخوف والذعر¹ . وقال الأصفهاني: "الفرع : انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف"². وقال ابن عاشور : " الفرع: الذعر وهو انفعال يظهر منه اضطراب على صاحبه من توقع شدة أو مفاجأة"³ . وقال في معرض تفريقه بينه وبين الخوف : " إن الذي حصل لداود عليه السلام فرع وليس خوف والفرع أعم من الخوف , إذ هو اضطراب يحصل من الإحساس بشيء شأنه أن يتخلص منه"⁴ والمتدبر لهذا المشهد القرآني يصل إلى نتيجة مفادها أن الإنسان مهما علت مكانته وارتفعت رايته , يبقى يعتريه من الخوف ما يعتري بني الإنسان .

فداود U أعطاه الله الحكم, والملك, والسلطان, والجاه, والجيوش, والحراس. يفرع ويخاف , ويتوقع الشر , وحصول المكروه . ففي هذا دلالة واضحة على بشرية هذا النبي الكريم , حتى أن البقاعي⁵ يصف حالة داود U بقوله : " فرع منهم : ذعر, وفرق وخاف منهم , مع ما هو فيه من ضخامة الملك , وشجاعة القلب , وعلم الحكمة , وعز السلطان"⁶.

¹ مصطفى : المعجم الوسيط . ص 687 .

² الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 381 .

³ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 8 ص 232 .

⁴ المرجع السابق : نفس الجزء ص 233 .

⁵ هو إبراهيم بن عمر بن حسن أبو بكر البقاعي . مؤرخ , وأديب . سكن دمشق , ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة . له مؤلفات كثيرة , أشهرها : عنوان الزمان في تراجم الشيخ والأقران , ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور. توفي في دمشق سنة 885هـ. انظر: الزر كلي : الأعلام . ج 1 ص 56 .

⁶ البقاعي, إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . 8 مج . خرج آياته ووضع حواشيه : عبد الرزاق المهدي . ط : 1 بيروت : دار الكتب العلمية . 1995 . ج 6 ص 373 .

المطلب الخامس : مشهد الخوف عند يعقوب عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية يعقوب عليه السلام :

يعقوب U هو النبي الوحيد الذي بشرت الملائكة به جدته قبل ولادة أبيه . قال تعالى: { فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }¹. وسمّاه الله إسرائيل² , ومعناه عبد الله³. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً وفي عشر سور من سوره⁴.

ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وهذا النسب ذكره الله سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله P قال تعالى : { فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }⁵. وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي P قال: " الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"⁶. ومن أبرز ملامح شخصيته :

1- كان U قوي الثقة بالله تعالى , مطمئناً حق الاطمئنان إلى موعود ربه , متفائلاً دائماً بالله تعالى . لنرى يعقوب U وهو يخاطب أولاده حين أخبروه أن ابنه سرق , قال : { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }⁷. ثم يقول

¹ سورة هود : الآية 71 .

² قال تعالى: { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ } . [سورة آل عمران. الآية 93] .

³ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 1 ص 331 .

⁴ وهي: البقرة: الآيات (132,133,136,140), وآل عمران: الآية (84), والنساء: الآية (163), والأنعام : الآية (84), وهود: الآية (71), ويوسف: الآيات (6,38,68), ومريم: الآيات (6,49), والأنبياء: الآية (72), والعنكبوت: الآية (27), وص : الآية (45).

⁵ سورة هود : الآية 71 .

⁶ البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: { لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ

لِلنَّاسِ لَئِنْ } . [يوسف : 6] . رقم الحديث (3390). ج 2 ص 149 .

⁷ سورة يوسف : الآية 83 .

بكل ثقة واطمئنان : { يَبَيِّئْ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ }¹.

2- كان U صابراً على البلاء , وخاصة على بلاء فقدان ولده , فحين وصله خبر أكل الذئب يوسف , وهو موثق أنها مكيدة من أولاده قال : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }².
وحيث وصله خبر ولده الثاني قال : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }³.

3- كان U ذا عاطفة جياشة , ونفسية رقيقة شفافة . وقصته مع ولده وحببيه يوسف U تدل على هذه النفسية وهذه العاطفة . لقد عمي U من شدة حزنه وبكائه ووجده على يوسف . قال تعالى : { وَقَالَ يَتَأَسَّفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }⁴. ويوم فصلت العير في طريق عودتها من مصر ومعها قميص يوسف شم رائحته وهو بعيد عنه مئات الأميال . قال تعالى : { وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ }⁵.

4- كان الحرص الشديد يملأ نفسه , والغيرة على الدين تعمر فؤاده , والخوف على مستقبل بنيه يقلق قلبه . فحين كان يعقوب U على فراش موته , ما كان يشغل باله ونفسه إلا هذه المعاني , وهذه المعالم . قال تعالى : { أُمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }⁶.

¹ سورة يوسف : الآية 87 .

² سورة يوسف : الآية 18 .

³ سورة يوسف : الآية 83 .

⁴ سورة يوسف : الآية 84 .

⁵ سورة يوسف : الآية 94 .

⁶ سورة البقرة : الآية 133 .

ثانياً : خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من إخوته :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَ يَبْنِيُّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥١﴾} ¹.

يقول القاسمي: قال القاشاني²: هذا النهي - لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ - من الإلهامات المجملة، فإنه قد يلوح صورة الغيب من المجرديات الروحانية في الروح، ويصل أثره إلى القلب، ولا ينتشخص في النفس مفصلاً حتى يقع العلم به كما هو، فيقع في النفس منه خوف واحتراز إن كان مكروهاً، وفرح وسرور إن كان مرغوباً. وسمي هذا النوع من الإلهام، إنذارات وبشارات. فخاف عليه السلام من وقوع ما وقع قبل وقوعه، فنهاه عن إخبارهم برؤياه احترازاً، ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته، وزيادة قدره على إخوته فخاف من حسدهم عليه عند شعورهم بذلك³. والأوضح من كلام القاشاني أن يعقوب عليه السلام يمكن أنه قال هذا الكلام وحيّاً عن طريق الإلهام، أو بواسطة الملك، ويمكن أنه قاله اجتهداً بسبب معرفته لطبائع النفوس أو بسبب تفرسه في أبنائه، والأب أكثر الناس معرفة بأبنائه.

والملاحظ من خلال هذا المشهد، أن يعقوب قد تحركت مشاعره وأحاسيسه، وبدأ الانفعال ظاهراً على ملامحه، حين حدثه يوسف برؤياه، فقد بدأ الخوف والقلق يعتريانه {يَبْنِيُّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} ⁴. و " الكيد هو : إخفاء عمل يضر بالكيد، واللام

¹ سورة يوسف : الآيتان 5,4.

² هو عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني . صوفي مفسر، من العلماء . له كتب منها : كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، والسراج الوهاج في تفسير القرآن، وغيرها. توفي سنة 730هـ . انظر : الزركلي : الأعلام . ج3 ص350 .

³ القاسمي : محاسن التأويل . ج9 ص3504-3505 .

⁴ سورة يوسف : الآية 5 .

في "لَكَ" لتأكيد صلة الفعل بمفعوله . كقولك : شكرت لك . وتكوين "كَيْدًا" للتعظيم والتهويل ,
زيادة في تحذيره من قصّ الرؤيا عليهم ¹.

وهذا المشهد يؤكد حصول انفعال الخوف عند يعقوب U تجاه ولده وقرّة عينه يوسف U ,
وهذا الأمر طبيعي جداً , وهو فطرة بشرية مغروزة في أعماق الآباء تجاه أولادهم , فالخطر قد
يدهم يوسف U من غيرة وحسد إخوته , أو من بطشهم له من خلال وسوسة الشيطان لهم فجاء
تحذير يعقوب U له .

ثالثاً : خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من الذنب :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١٢٦﴾
أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذَّيْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ }².

وفي هذا المشهد نلمح وجود انفعالين عند يعقوب U , انفعال الحزن { إِنِّي لَيَحْزُنُنِي } , وانفعال
الخوف { وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّيْبُ } . والذي يعني في هذا المطلب هو انفعال الخوف . فهل حقاً
كان يعقوب U يخاف الذنب على يوسف ؟ أم يخاف عليه إخوته؟.

يقول القرطبي رحمه الله : "وقيل : إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه , وأنه أرادهم بالذنب ,
فخوفه إنما كان من قتلهم له , فكنى عنهم بالذنب مساترة لهم , قال ابن عباس : فسمّاهم ذئاباً .
وقيل : ما خافهم عليه , ولو خافهم ما أرسله معهم , وإنما خاف الذنب , لأنه أغلب ما يخاف في
الصحاري ³ .

إلا أن الدكتور أحمد نوفل ينفي بشدة أن يكون يعقوب U قد قال غير الحقيقة فيقول : " إن نبي
الله لا يخبر بغير الحقيقة , فخوف الذنب , واحتمال عدوانه قائم موجود , واحتمال التغافل

¹ نوفل , د. أحمد : سورة يوسف دراسة تحليلية . ط:1. عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع . 1989. ص278.

² سورة يوسف : الآيتان 11, 12 .

³ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج9 ص 14.

والتشاغل عن الولد لتمكين الذئب منه وارد , وخلاصة القول إن قوله: { وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ }
الذئب } . هو عين الحقيقة , وليس خلفاً من القول . أو نقول : إنه موقن أن الذئب لن يأكل ولده
, ولكن يحكي لهم من باب الاحتمال العقلي فحسب , وإن لم يكن من باب الاحتمال الواقعي فإن
يعقوب U كان يبشّر ابنه قبل قليل بأن الله سبحانه سيجتبيه ويتم عليه النعمة¹.

بينما نجد سيد قطب يذكر أن يعقوب U كان يقصد إخوة يوسف U وليس الذئب قائلاً: "جعل
يعقوب ينفي بطريق غير مباشر أنه لا يأمنهم عليه , ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه
وخوفه عليه من الذئب " ² .

وأياً كان مراد يعقوب U , إلا أن الخوف اعتراه, وبان من طريقة كلامه, ومن حق يعقوب
U أن يخاف وينفعل , سواء خوفه من الذئب , أو من إهمالهم أخاهم فيأكله الذئب , أو من إخوته
أنفسهم , وهو يستشعر تغلغل الحسد إلى قلوبهم . وهذا ما أميل إليه .

وهذان المشهدان من مشاهد الخوف ليعقوب U يوصلان إلى الحقائق التالية:

أولاً: إن يعقوب U مثله مثل باقي إخوانه من الأنبياء , يعتريه ما يعتريهم , وتتحرك مشاعره
وأحاسيسه وانفعالاته , كأب وإنسان . ولقد جلى الله سبحانه شخصيته U بواقعيته .

يقول سيد قطب رحمه الله : " ويعقوب الوالد المحب الملهوف , والنبي المطمئن الموصول
وهو يواجه بالاستبشار والخوف معاً تلك الرؤيا الواعدة التي رآها يوسف , وهو يرى فيه

بشائر مستقبل مرموق , بينما هو يتوجس خيفة الشيطان وفعله في نفوس بنيه , فتتجلى
شخصيته بواقعيته الكاملة في كل جوانبها " ³ .

¹ نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية . ص 309 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1975 .

³ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1975 .

ثانياً : الثبات الذي كان بادياً على شخصيته , فمع وجود انفعال الخوف عنده U , إلا أن شخصيته لم يظهر عليها الاضطراب , وبقيت ثابتة .

المبحث الثالث

القيم الإيجابية من انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

جعل الله سبحانه وتعالى الأنبياء عليهم السلام محلاً للأسوة والافتداء فقال تعالى: {فِيهِدْنَهُمْ أَقْتَدِهِ} ¹. وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ². كما جعل الله تعالى في قصصهم عبرة وعظة للمؤمنين وأولي الأبواب فقال جل ثناؤه: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ³. من هنا أمر الله تعالى نبيه p أن يقص القصص على الناس للاعتبار، وأخذ الدروس، والاستفادة منها في حياتهم ومعاشهم فقال سبحانه: {فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ⁴.

فقصص الأنبياء عليهم السلام فيها العبرة والعظة، وفيها القيم والدروس، فهي "كنز لا ينفذ، ومعين لا ينضب، في دروسه ودلالاته وعبره، في الإيمان والعقيدة، وفي العمل والدعوة، وفي الجهاد والمواجهة، وفي المنطق والأسلوب، وفي الصبر والثبات، وفي الموازين والحقائق" ⁵. و"مواقف الأنبياء عليهم السلام تسهم مساهمة كبيرة في تحصين أبناء أمتنا، وهم يضيفون إلى تجاربهم القليلة، تجارب عامرة بالدروس والعظات، ويضيفوا إلى أعمارهم أعماراً جديدة، فيحاولون استشراق المستقبل الواعد، بوصله بالمجد العريق" ⁶.

ونحن ومن خلال مشاهد انفعال الخوف التي حدثت للأنبياء (موسى، وإبراهيم، ولوط، وداود، ويعقوب) عليهم السلام. سنستلهم القيم الإيجابية، والدروس العملية، لنواجه الواقع بها، ونعيش الحياة من خلالها. وأهم هذه القيم:

¹ سورة الأنعام: الآية 90.

² سورة الأحزاب: الآية 21.

³ سورة يوسف: الآية 111.

⁴ سورة الأعراف: الآية 176.

⁵ الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن. ط: 4. دمشق: دار القلم. 2004م. ص 30.

⁶ العلي، إبراهيم محمد: الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء. ط: 1. دمشق، بيروت: دار القلم، السدرة الشامية.

1995م. ص 6.

أولاً: الخوف ظاهرة طبيعية , تصيب الإنسان أياً كان هذا الإنسان . يقول الدكتور ميشيل دبابنه: " فالخوف أمر طبيعي معقول وضروري , يؤدي إلى حماية الفرد , والمحافظة عليه, وهو في درجاته المعقولة صفة طيبة يجب الاتصاف بها . أما إذا كان الخوف كثيراً , ويتكرر الوقوع لأية مناسبة يكون شاذاً . كما أن انعدام الخوف في شخص ما أمر غير عادي , وهو نادر للغاية , ويغلب أن يكون سببه قلة الإدراك "1. ويقول الدكتور محمد بني يونس : " الخوف ظاهرة طبيعية أو سوية . ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية طالما أن هناك أسباباً معقولة له , وأن يكون مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناسب مع حجم المخيف . والخوف في حد ذاته ليس شيئاً رديئاً يجب القضاء عليه , أو يجب الاستغناء عنه تماماً في مجالات التربية , والمجالات الاجتماعية العادية"2.

وعليه فإن الخوف الذي أصيب به الأنبياء عليهم السلام كان خوفاً طبيعياً , جاء كرد فعل لحادثة أو واقعة واجهتهم , ولم يأت من باب الضعف أو الجبن أو الخور , حاشاهم.

فموسىؑ مثلاً كان قوياً , شجاعاً , قبل النبوة , وبعدها . ذكر المولى عز وجل أنه قضى على القبطي بوكزة واحدة , فقال سبحانه : { فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ }³. وقال ابن كثير عند قول الله سبحانه : {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٦﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَىٰ الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١٧﴾ }⁴. قال المفسرون : وذلك أن الرعاة كانوا إذا فرغوا من وردهم , وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة , فتجيء هاتان المرأتان فيشرعان من فضل أغنام الناس . فلما كان ذلك اليوم , جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده , ثم استقى لهما , وسقى غنمهما⁵. وهذا يدل على مدى قوته عليه السلام. وقد وصفت إحدى المرأتين موسىؑ

¹ دبابنه, د. ميشيل: سيكولوجية الطفولة . بلا طبعة. عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع . 1984م. ص169 .

² بني يونس : سيكولوجية الدافعية والانفعالات . ص244-245 .

³ سورة القصص : الآية 15 .

⁴ سورة القصص : الآيات 23,24.

⁵ ابن كثير , أبو الفداء إسماعيل بن عمر : قصص الأنبياء . ط:1. كانو: مكتبة أبو بكر أيوب . 2001م. ص229 .

بالقوة لما رأت ما صنع لهما , قالت : { يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرَّةٌ إِنَّ حَبْرَ مَنْ أَسْتَجَرَتْ أَلْقَوِي الْأَمِينُ }¹.
وإنما الذي حصل لهم عليهم السلام من انفعال الخوف , كان بحكم بشريتهم وإنسانيتهم وكان
بحجم المؤثر . إذ لو زاد على ذلك لأصبح جُبناً , وحاشاهم .

وإذا كان الخوف ظاهرةً طبيعية , والأنبياء عليهم السلام أصيبوا به , فلا يجوز في مجال
التربية , والمجالات الاجتماعية أن نلوم أو نعتب أو نعنّف من ينفعل خوفاً , ما دام الخوف لم
يخرج عن حدّه , وطالما أن له أسباباً معقولة . وذلك أن الخوف ظاهرةً بشريةً إنسانيةً تصيب
أرفع الناس مكانةً كما تصيب أدنى الناس منزلةً . فالتربية الأسرية أو الاجتماعية يجب أن
تراعي في الفرد هذا الجانب . يقول الدكتور بني يونس: " فالخوف كانفعال إذا حدث ضمن
حدوده الطبيعية المعتدلة , فإن له أهمية بالغة في التكيف مع المحيط الفيزيائي على أكمل وجه
أما إذا خرج عن حدوده الطبيعية فإنه يتحول إلى خوف مرضي"².

ثانياً : انفعال الخوف لا يوقف عجلة التطور والتغيير , أو حركة الدعوة والجهاد . فقد رأينا
في مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام, أن مسار الدعوة , وحركة التغيير , زادت
بعد انفعال الخوف , أو بقيت مستمرة على حالها . وهذا يدل على أن الخوف الذي حصل
للأنبياء كان مرحلياً عرضياً , وأنه زال بزوال أثره , أو تم التكيف مع المؤثر , بحيث لم يؤثر
على مسيرة الدعوة والتغيير . فمثلاً لوط U , والذي امتزج عنده انفعال الخوف باليأس والحزن
والأسى وقال كلمته التي تدل على عمق الأسى الذي أصيب به { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى
رُكْنٍ شَدِيدٍ }³. رأينا وهو في قمة هذا الانفعال , يجادل وينظر ويناقش ويهاجم , بل ويضع
لقومه الحلول { هَتُّؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ }⁴. مما يدل على أن لوطاً U استطاع أن يتكيف في
مرحلة ما مع المؤثر ويستمر في مسيرة الدعوة والبلاغ . وهذا موسى U في مواجهته لسحرة

¹ سورة القصص : الآية 25 .

² بني يونس : سيكولوجية الدافعية والانفعالات . ص 247.

³ سورة هود: الآية 80 .

⁴ سورة هود : الآية 78 .

فرعون , وأمام الملأ من قوم فرعون , وفي خضم معركة إثبات النبوة والرسالة , أوجس في نفسه خيفة , لكنه استمر في المعركة حتى النهاية , وكان النصر بعون الله حليفه .

وهكذا فإن الواجب على أتباع الرسول ρ والسائرين على خطى الأنبياء عليهم السلام , أن يتنبهوا لهذه القضية المصيرية , وأن لا يوقفوا حركة الدعوة والتغيير بسبب خوف عارض , بل لابد أن تكون مشاهد ووقائع الخوف التي تواجههم حافزاً على العطاء , والاستمرار في الحركة والدعوة والجهاد .

إن الداعية تواجه ظروف ووقائع وحوادث يصطنعها الطغاة لثنيه عن مواصلة الدعوة والجهاد قد تخيفه ظاهراً , أو تشعره بالخوف باطنياً . والشيطان يلعب دوره في مسيرة الداعية والدعوة , لإحباط الداعية , وثنيه عن مواصلة الدعوة , قال تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }¹. فالداعية عليه أن يعرف جيداً أن " الشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل , وأن يتضخم الشر , وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً , بطاشاً جبّاراً لا تقف في وجهه معارضة , ولا يصمد له مدافع ... فتحت ستار الخوف والرهبنة , يفعل أوليائه في الأرض ما يقر عينه ... ومن هنا يكشفه الله , ويوقفه عارياً لا يستتره ثوب من كيد ومكره , ويعرف المؤمن الحقيقة : حقيقة مكره ووسوسته ليكونوا منها على حذر. فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم . فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه , ويستند إلى قوته².

ثالثاً : انفعال الخوف لا يؤثر على الثبات على المبدأ , لأن صاحب العقيدة والمبدأ , وحامل الرسالة والفكر , ومبتعث الرب إلى الخلق لإخراجهم من ظلمات الجهل وأحواله إلى نور المعرفة والهداية , لا تؤثر في عقيدته ودينه ومبدئه مشاهد الخوف مهما عظمت , ووقائعه مهما ضخمت , ما دامت تقته بالله موصولة .

¹ سورة آل عمران . الآية 175 .

² فائز , أحمد: طريق الدعوة في ظلال القرآن . بلا طبعة . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1981م . ج1 ص249-250.

فها هو إبراهيم ﷺ يقف أمام مشهد مرعب ، ومنظر مخيف ، وواقعة لا تكاد الجبال تقف أمامها ، من هولها وشدتها . إنه يقف أمام بنيان من النار الملتهبة ، بنيت خصيصاً ليلقى فيها ، فقد قال الطغاة : { أَتَبْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ }¹ . قال محمد زين العابدين : " أجمع قوم إبراهيم على قتل نبيهم ، واختاروا له أفضع قتلة ، وهي الإحراق بالنار ، وليس في أي نار ، بل بنوا بنياناً شاهقاً ، ووضعوا فيه كميات كبيرة من الحطب ، شارك القوم كلهم في جمعها"² وقد شارك وساهم في هذه النار الوزغ³ . فعن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال : " كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام " ⁴ .

وأمام هذا البنيان العظيم الشاهق من النار ، والذي تنقطع أمامه أفئدة أعتى البشر ، يقف إبراهيم ﷺ رابط الجأش ، واثق الخطى ، راسخ الإيمان . أشد رسوخاً من الجبال الرواسي . وكانت ثقته بنصر الله وتأنيده أقوى من الأرض ومن عليها .

ولقد كان إبراهيم ﷺ في هذه الأثناء فتياً يافعا ، في مقتبل عمره ، قال تعالى : {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} ⁵ . لكن هذا اليافع – صاحب العقيدة والمبدأ – كان كالجبل في ثباته ، و صموده ، وتحديه .

وما إن خرج صوت من القوم قائلاً : {حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} ⁶ . حتى رفع إبراهيم ﷺ صوته بالسلاح الأمضى ، حسبنا الله ونعم الوكيل . فعن ابن عباس رضي الله

¹ سورة الصافات : الآية 97 .

² زين العابدين ، محمد سرور : منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله . 2مج . ط : 3 . لندن : دار الأرقم للنشر والتوزيع . 1988 . ج 1 ص 127 .

³ هو يفتح الواو والزاي والغين المعجمة : دويبة معروفة ، واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات . انظر : الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى : حياة الحيوان الكبرى . 2مج . اعتنى بتصحيحه : عبد اللطيف سامر بيته . ط : 2 . بيروت : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي . 1999 . ج 2 ص 215 .

⁴ رواه البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى {وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء :

125] . رقم الحديث (3359) . ج 2 ص 141 .

⁵ سورة الأنبياء : الآية 60 .

⁶ سورة الأنبياء : الآية 68 .

عنهما قال: " حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم حين ألقى في النار , وقالها محمد p حين قالوا : { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }¹.

ولم يحدثنا القرآن الكريم هنا عن حصول انفعال خوف لإبراهيم u , ذلك لأن الموقف كان يتطلب الصلابة, والثبات على المبدأ .

وهذا موسى u ومعه قومه , حين طاردهم فرعون وزبانيته , ليفتنوهم عن دينهم ويزحزوهم عن مبدئهم . قال تعالى : { فَاتَّبِعُوهُمْ مُشْرِقِينَ } فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ³. فهذا النص القرآني يكشف الستار عن الحالة النفسية التي أصابت قوم موسى بقولهم : { إِنَّا لَمُدْرِكُونَ } . ومعلوم أن إدراك فرعون لهم سيكون من نتيجته القتل والصلب . أما موقف صاحب المبدأ والعقيدة موسى u فهو مغاير تماماً لموقف قومه . إنه موقف الثابت , الراسخ, الموصول بالله تعالى { كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } . بهذه الكلمات التي تدل على مدى ثباته ويقينه , وثقته بربه . يقول سيد قطب : " ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه , لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه , واليقين بعونه , والتأكد من النجاة , وإن كان لا يدري كيف تكون . فهي لا بد كائنة والله الذي يوجهه ويرعاه . { قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }⁴ . كلا . في شدة وتوكيد . كلا لن نكون مدركين . كلا لن نكون هالكين . كلا لن نكون مفتونين . كلا لن نكون ضائعين . بهذا الجزم والتأكيد واليقين"⁵.

وعلى منهج الأنبياء سارت جماعة من المؤمنين السابقين . ذكرهم الله في سورة البروج . أرادهم الطغاة المجرمون أن يتجردوا من إيمانهم , ويتصلوا من مبدئهم . وساموهم على ذلك لكنهم " أبوا , وتمنعوا بعقيدتهم . فشق الطغاة لهم شقاً في الأرض , وأوقدوا فيه النار , وكتبوا فيه

¹ سورة آل عمران : الآية 173 .

² رواه البخاري . صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ } . [آل عمران : 173] . رقم الحديث (4563) . وفي رواية أخرى للحديث في البخاري عن ابن عباس قال : " كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار حسبي الله ونعم الوكيل " رقم الحديث (4564) . ج2 ص 406 .

³ سورة الشعراء : الآيات 60-62 .

⁴ سورة الشعراء : الآية 62 .

⁵ قطب : في ظلال القرآن . ج5 ص 2599 .

جماعة المؤمنين , فماتوا حرقاً " ¹ . قال تعالى : { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٦١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٦٢﴾ } إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٦٤﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } ² .

إن مشهد هذه الفئة المؤمنة وهي تساق الواحد وراء الآخر , الصغير منهم والكبير والمرأة والرجل , يساقون إلى هذا الأخدود , وفيه النيران مستعرة , من دون خوف ولا وجل . إذ لم يذكر القرآن حصول خوف من أحدهم . ليدل على رسوخ العقيدة والمبدأ في قلوبهم , واستعلاء الإيمان في نفوسهم . " لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم . ولكن كانوا يخسرون هم أنفسهم وكم كانت البشرية كلها تخسر كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير . معنى زهادة الحياة بلا عقيدة . وبشاعتها بلا حرية . وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد " ³ .

وقد ذكر الرسول p نماذج من المؤمنين الذين صمدوا أمام مشاهد الفرع والخوف , يوم ساومهم المجرمون على دينهم ومبدئهم . فما خافوا وما جنبوا أمام هذه الوقائع التي مزقت أجسادهم , وقطعتها إرباً إرباً . فقد روى البخاري في صحيحه عن خباب بن الارت قال : شكونا إلى رسول الله p وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ . فقال : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها , فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين , ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه , فما يصده ذلك عن دينه , والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على الغنم , ولكنكم تستعجلون " ⁴ .

¹ المرجع السابق : ج6 ص3871 .

² سورة البروج : الآيات 4-8 .

³ قطب , سيد : معالم في الطريق . بلا طبعة . بيروت : دار الشروق . بلا تاريخ . ص176 .

⁴ البخاري : صحيح البخاري . كتاب الإكراه . باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر . رقم الحديث (6943) . ج3 ص345 .

فعلى الدعاة والمصلحين ، والمبتعثين بأمر الله لهداية الخلق ، أن يفتقروا أثر هؤلاء ، وأن يتمسكوا بمبادئهم وعقيدتهم ، مهما كانت مشاهد الخوف مفزعة ، ووقائعه مرعبة ، لأن الخوف الحقيقي يجب أن يكون من الله تعالى ، وأما قوى الأرض كلها فإنها " لا تخيف ، أو لا ينبغي أن تخيف ، لأنها قوى مسخرة ، لا تستمد من نفسها ، ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً . والقوة التي يجب أن تخاف حقاً هي القوة التي بيدها كل شيء . هي المانعة حقاً ، والمانحة حقاً ، وإذن فخوفها هو الخوف الواجب ، وخشيتها هي السبيل " ¹ .

¹ قطب ، محمد : منهج التربية الإسلامية . ط: 2 . بيروت ، القاهرة : دار الشروق . بلا تاريخ . ص 161 .

الفصل الرابع

انفعال الغضب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الغضب ودلالاته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء

المبحث الأول مفهوم الغضب ودلالاته النفسية

أولاً : الغضب في اللغة والاصطلاح :

قال ابن فارس: " الغين , والضاد , والباء , أصل صحيح يدل على شدّة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتق الغضب , لأنه اشتداد السخط " ¹.

وعرّف ابن منظور الغضب: ب" نقيض الرضا" ². وهذا التعريف هو نفس تعريف ابن فارس فإن نقيض الرضا, هو السخط , أو شدّة السخط .

والغَضْبُ هو: " الأحمر الشديد الحمرة " ³. وهذا اللون هو في الغالب ما يظهر على وجه الغضبان حين يشتد غضبه, وخاصة إذا كان صاحب بشرة بيضاء . جاء في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : " خرج رسول الله μ على أصحابه وهم يختصمون في القدر. فكأنما يفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب " ⁴. وهذا من شدّة احمرار وجهه عند الغضب μ . فشبهه هذا الاحمرار بفقء حب الرمان في وجهه.

أمّا اصطلاحاً: فقد تنوعت واختلقت تعريفات العلماء للغضب, لكنها بمجموعها لا تخرج عن نطاق وحدود خلاف التنوع . فكل التعريفات الاصطلاحية له تصب في معنى واحد , لا يختلف كثيراً عن معناه في اللغة. فقد قيل إن الغضب هو:

1- "غليان دم القلب بطلب الانتقام" ⁵ .

¹ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج4 ص428 .

² ابن منظور: لسان العرب. ج1 ص648 .

³ الرازي: مختار الصحاح. ص476.

⁴ رواه ابن ماجه. ابن ماجه, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه. حكم على أحاديثه: الألباني. واعتنى به: مشهور آل سلمان. ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. وقال الألباني: حديث حسن صحيح. ص31.

⁵ الغزالي , محمد بن محمد : إحياء علوم الدين . 5 مج . ط:4 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2005م-1426هـ. ج3 ص224. وانظر : ابن رجب الحنبلي , عبد الرحمن بن أحمد : جامع العلوم والحكم . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ص126.

2- " غليان القلب بسبب ما يؤلم " ¹ .

3- " استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء " ² .

وهذه التعريفات تدور على معنى واحد هو: ثوران دم القلب، وهيجانه .

ويمكن أن ينعكس الغضب على وجه الغضبان، بحيث تنتفخ أوداجه، ويحمر وجهه، إرادة الانتقام ممن تسبب له بالغضب . وكل هذه المعاني يعبر عنها بشكل دقيق حديث أبي سعيد الخدري ψ عن النبي ρ قال : " ألا وإن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه " ³ .

ثانياً : الغضب عند علماء النفس :

عرّف علماء النفس الغضب بتعريفات قريبة جداً من تعريفات علماء اللغة والشرع. فقد عرفوا الغضب بأنه ⁴:

— " حالة انفعالية تتحدد بوجود إثارة فسيولوجية، وعنصر إدراكي معرفي .

— شعور قوي بعدم الرضا، موجه نحو شخص ما أو شيء ما ، يؤدي إلى تسبب الأذى أو الإزعاج للشخص المعنى، أو إلى أي شخص يهمله أمره، بهدف الحماية من التعرض لمثل هذه الحالة في المستقبل .

¹ الثعالبي ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن . 2مج . بلا طبعة . بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بلا تاريخ . ج 2 ص 54 . وانظر : أبو صفية ، عبد الوهاب رشيد : شرح الأربعين النووية في ثوب جديد . ط : 2 . عمّان : دار البشير للنشر والتوزيع . 1993 . ص 206 .

² مصطفى: المعجم الوسيط. ص 654 .

³ رواه الترمذي : سنن الترمذي . كتاب القدر . باب ما جاء ما أخبر النبي ρ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة . رقم الحديث (2191). وقال : حديث حسن صحيح . وقال الألباني : ضعيف . ص 496 .

⁴ بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ص 247-248 .

— استجابة انفعالية حادة تثيرها مواقف التهديد, أو العدوان, أو القمع , أو الإحباط أو خيبة الأمل, ويصحب الغضب استجابات قوية في الجهاز العصبي المستقل, وخاصة الجهاز العصبي, والذي يدفع المرء إلى الاستجابة بالهجوم إما بدنياً أو لفظياً .

— انفعال إنساني يظهر كسلسلة من ردود الأفعال الفعلية, والجسدية, واللفظية ,استجابة للتهديد أو التهديد المدرك, ويتطلب من (1-30 جزء من الثانية) من لحظة إدراك التهديد إلى لحظة ردود الأفعال الجسمية, والعقلية المترامنة".

والملاحظ من هذه التعريفات ما يلي:

1- انسجامها مع التعريف اللغوي والشرعي للغضب .

2- تشير إلى أن الغضب حالة انفعالية مؤقتة تطول أو تقصر وتقوى أو تضعف حسب المؤثر وحسب طبيعة الشخص .

ثالثاً: أقسام الغضب وموقف الأنبياء عليهم السلام منه:

والغضب قد يكون ممدوحاً , وقد يكون مذموماً , ولذا يمكن أن نقسمه إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول : غضب الله عز وجل:

وهو صفة من صفات الفعل الثابتة له عز وجل على الوجه اللائق به¹, ثبتت بالكتاب والسنة, فمن الكتاب قوله تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا }². ومن السنة , ما ثبت في حديث الشفاعة الطويل عندما يفرع الناس

¹ العثيمين, محمد بن صالح: شرح العقيدة الواسطية. اعتنى به وخرّج أحاديثه: أحمد بن علي. ط:1. القاهرة : دار ابن الهيثم. 2002.

ص 187 .

² سورة النساء : الآية 185 .

إلى الأنبياء، يطلبون منهم الشفاعة، فكل نبي يأتيه يقول لهم: "إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله"¹.

القسم الثاني: غضب الإنسان: ويقسم إلى قسمين:

1- غضب مذموم (سلبي): وهو الغضب الدنيوي، الذي يكون في غير الحق. وإنما يكون لهوى النفوس، يتجاوز فيه العبد بقوله، فيشتتم ويقذف، ويجرح الآخرين بكلمات مؤذية ويتجاوز فيه بفعله، فيضرب ويتلف أموال الآخرين وأموالهم.

وإذا أطلق الغضب فإنما يطلق على هذا النوع في الأغلب الأعم، لهذا حذر منه الإسلام أيما تحذير، واعتبره أساس كل مصيبة وبليته، وسبباً لجلب الدمار والخراب، والقتل والأعمال العدوانية.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة τ قال: إن رجلاً قال للنبي ρ أوصني: قال: " لا

تغضب، فردّد مراراً قال: لا تغضب"².

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله ρ ما يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: " لا تغضب"³.

2- غضب محمود (إيجابي): وهو الذي يكون لله، ومن أجل الله، وإذا انتهكت محارم الله. ويكون للحق إذا اعتدي على الإنسان بدون وجه حق على ماله، أو نفسه، أو عرضه، أو ولده. فهذا

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله عز وجل { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ** }

[هود:25]. رقم الحديث (3320). ج2 ص 135.

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب الحذر من الغضب. رقم الحديث (6116). ج3 ص 161. ورواه الترمذي عن أبي الحصين بلفظ: " جاء رجل إلى النبي ρ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلّي أعيه، قال: لا تغضب، فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول لا تغضب". سنن الترمذي. كتاب البر والصلة. باب ما جاء في كثرة الغضب. رقم الحديث (2020). وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الألباني: صحيح. ص 457.

³ ابن حنبل: مسند الإمام أحمد. ج2 ص 175.

الغضب يكون مستساغاً شرعاً , وقد يكون واجباً , لكن يجب أن يتصرف أثناء غضبه هذا بحدود دينه, وبما يوافق الحق والعدالة.

وغضب الأنبياء عليهم السلام من هذا القسم المحمود , فقد كانوا لا ينتقمون لحظوظ أنفسهم وإنما يغضبون حين تنتهك محارم الله , وسنأتي بالأمثلة والشواهد على ذلك في المطلب الثاني وهو " مشاهد الغضب عند الأنبياء " ¹ .

قال ابن منظور: " قال ابن عرفه : الغضب: من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومذموم , فالمذموم ما كان في غير الحق , والمحمود ما كان في جانب الدين والحق, وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه " ² .

والخلاصة " أن الغضب من شيم بني آدم , فلا يُذم , ولا يُمدح إلا من جهة آثاره ومقاصده " ³ .

وبعد هذا التعريف للغضب عند علماء اللغة والشرع والنفس , وتقسيمه إلى أقسامه المختلفة سأدخل إلى انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام . لنرى كيف كان هذا الانفعال ؟ ولنأخذ ثلاثة أنبياء , وقع منهم انفعال الغضب وهم موسى , ويونس , وسليمان , عليهم السلام .

¹ انظر : صفحة : 75 .

² ابن منظور: لسان العرب. ج 1 ص 649.

³ سلطان, ناظم محمد : قواعد وفوائد من الأربعين النووية. ط:5. الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع . 1997 ص 148.

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الغضب عند بعض الأنبياء عليهم السلام في مناسبات عديدة وضمن مشاهد ووقائع مختلفة , وقد كان هذا الانفعال متفاوتاً بين الأنبياء حسب طبيعة النبي وحسب الواقعة أو المشهد الذي واجهه . وفي هذا المبحث سأتكلم عن هذا الانفعال عند ثلاثة أنبياء .

المطلب الأول : مشهد الغضب عند موسى عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الغضب عند موسى U في موضعين اثنين , وذكر حجم وشدة هذا الانفعال , والآثار التي نجمت عنه , كما صور شخصية موسى U الانفعالية¹ .

أولاً: غضب موسى عليه السلام على عبادة قومه للعجل:

يبدأ هذا المشهد من قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرُّ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٨﴾} وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْعِمُكَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }².

أما الموضع الثاني فقوله تعالى في سورة طه: {قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿١٠٤﴾} فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنْفِقُونَ أَلْمَ يَعِدُكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿١٠٥﴾} قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا

¹ سبق بيان ملامح شخصية موسى p ص 35 .

² سورة الأعراف: الآيات 148 - 150 .

وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٧٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ¹

ففي هذين الموضعين من هذا المشهد يبين الحق سبحانه وتعالى ما يلي:

1- السبب أو (المؤثر) الذي أدى إلى انفعال الغضب عند موسى U .

2- حجم الغضب وشدته عند موسى U .

3- الآثار الناجمة عن هذا الغضب .

وسأذكر بإيجاز بعض التفاصيل الضرورية المتعلقة بهذه القضايا الثلاثة :

أولاً: السبب أو (المؤثر) الذي أدى إلى انفعال الغضب عند موسى عليه السلام □:

يذكر المولى عز وجل أن السبب المباشر و المؤثر الحقيقي الذي أدى إلى انفعال الغضب عند موسى U هو اتخاذ قومه عجلًا يعبدونه ويعكفون عليه قال تعالى: { وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ... }²

يقول أبو السعود³ في تفسيره : " وإنما نسب اتخاذهم إياه وهو فعله إما لأنه واحد، وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه , وإما لأن المراد بالاتخاذ إتخاذهم إياه لا صنعه وإحداثه "⁴.

¹ سورة طه: الآيات 85 – 88 .

² سورة الأعراف : الآية 148.

³ هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المولى ، أبو السعود، الإمام، العلامة، مفسر، وشاعر، وهو من علماء الترك المستعربين، ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية، تقلد قضاء القسطنطينية، وهو صاحب التفسير المعروف بتفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، له رسالة في المسح على الخفين، وكان ذو حظوة عند السلطان . توفي في القسطنطينية، ودفن بجوار قبر أبي أيوب الأنصاري سنة 982 هـ . انظر : ابن العماد : شذرات الذهب . ج 8 ص 398-400 . الزر كلبي: الأعلام. ج 7 ص 59.

⁴ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . 6 مج. وضع حواشيه : عبد اللطيف عبد الرحمن. ط: 1. بيروت: دار الكتاب العربي . 1999م. ج 3 ص 32-33 .

وقد ذكر الله سبحانه أن الذي قام بهذا الدور الإجرامي هو السامري قال سبحانه: { وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ }¹ وإضافة الله سبحانه القوم إلى موسى U هكذا { قَوْمُ مُوسَى } " تنكيراً لهم بتلك الآيات التي أجازها الله على يديه , تلك الآيات التي لم يكن لهم منها عبرة أو عظة... وفي هذا توبيخ لهم , واستردال لعقولهم , وأنه ما كان لقوم ينتسبون إلى موسى الذي جاءهم بهذا الخير الكثير , وبتلك الآيات المشرقة , أن يفعلوا هذا الفعل المنكر الذي فعلوه"².

وقد صنع بنو إسرائيل هذا العجل في غياب موسى U حين ذهب لموعد ربه مدة أربعين ليلة , قابل فيها ربه عز وجل , وأعطاه فيها الألواح. وأخبره ربه بما فعل قومه قائلاً: { فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ }³ فانعكس هذا الخبر على موسى U غضباً وأسى , لذا فإن السبب الحقيقي لغضب موسى U هو اتخاذ قومه عجلًا يعبدونه من دون الله , وهذا الغضب من القسم المحمود الذي يؤجر عليه فاعله .

ثانياً: حجم وشدة انفعال الغضب عند موسى عليه السلام :

يذكر المولى سبحانه أن الغضب عند موسى U بلغ أعلى درجاته , وعبر عن ذلك بقوله: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا }⁴ فحين رجع موسى U إلى قومه , بعد إعلام الله له بما حصل معهم من عبادة العجل , غضب U غضباً شديداً , وامتزج غضبه بالحزن والأسى .

يقول ابن عاشور: " الغضب انفعال النفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها , ويسخطها دون خوف , والوصف منه غضبان . والأسف انفعال للنفس ينشأ عن إدراك ما يحزنها وما تكرهه مع إنكار الخاطر , والوصف منه أسفاً . وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى U , لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته , فانفعاله المتعلق بحالة غضب , وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك , وهو

¹ سورة طه: الآية 85 .

² الخطيب: التفسير القرآني للقرآن. ج 9 ص 482.

³ سورة طه : الآية 85 .

⁴ سورة الأعراف : الآية 150.

في مناجاة الله التي يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه, فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله ولذلك انكسر خاطره "1 .

فابن عاشور يؤكد حصول انفعالين عند موسى U انفعال الغضب , وانفعال الأسف, فموسى U غضب حين أخبره ربه بعبادة قومه العجل , ورأى بعد ذلك العجل بينهم , وحزن على حالة قومه لأنه كان يأمل رضى الله عليهم . لذلك انكسر خاطره مما سبب له انقباضاً تولد عنه شدة الحزن .

وقال الأصفهاني: " الأسف : الحزن والغضب معاً. وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد وحقيقته : ثوران دم القلب شهوة الانتقام . فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً, ولذلك سأل ابن عباس عن الحزن والغضب؟ فقال: مخرجهما واحد , واللفظ مختلف , فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً, ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً "2.

وهذه لفظة ولطيفة من الأصفهاني في جمع (الأسف والغضب) معاً عند موسى U . للدلالة على شدة انفعال الغضب .

وعليه فإن موسى U قد عاد إلى قومه " غضبان أشد الغضب, يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله "3 . وهذا الغضب محمود ولاشك , ولا يلام عليه , وليس مخطئاً فيه " فغضب موسى U إنما هو لله , وغيره على دين الله , ورفض للباطل والمنكر, والكفر والضلال, وهو مأجور على هذا الغضب"4 .

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج 7 ص 280-282 .

² الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن . ص 27 .

³ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1374 .

⁴ الخالدي : مواقف الأنبياء في القرآن . ص 267 .

ثالثاً: الآثار التي نتجت عن انفعال الغضب عند موسى عليه السلام :

لقد انعكس الغضب عند موسى U على قوله وفعله ونتاج عنه ثلاثة أمور هي:

1- التوبيخ والإنكار على قومه :

قال تعالى على لسان موسى U: {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} ¹

يقول رشيد رضا : " أي بئس خلافة خلفتمونيها من بعد ذهابي عنكم إلى مناجاة الرب تعالى

من بعد ما كان من شأني معكم أن لَقَنْتَكُمْ التَّوْحِيدَ وَكَفَفْتَكُمْ عَنِ الشِّرْكِ... فكان الواجب عليكم أن تخلفوني , باقتفاء سيرتي . ولكنكم خلفتموني بضعها . إذ صنعتم لكم صنماً كأصنام أولئك القوم... فالتوبيخ عام , وفيه تعريض خاص بهارون U لأنه جعله خليفته فيهم ² . لقوله تعالى: {وَقَالَ

مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } ³ . وقال تعالى على لسان موسى U منكرأ على قومه: {قَالَ يَنْفَرُوا لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَبًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي} ⁴ . قال الميداني : "استفهام فيه معنى الإنكار عليهم

, إذ لم يستجيبوا لما أمرهم به من إتباعه , سائرين على أثره بقيادة أخيه هارون ⁵ . فموسى U وهو في حالة غضب قام بتوبيخ قومه , والإنكار عليهم , وهذا يدل على رجاحة عقله حتى وهو في حالة الغضب والأسف .

¹ سورة الأعراف : الآية 150 .

² رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 9 ص 207 .

³ سورة الأعراف : الآية 142 .

⁴ سورة طه : الآية 86 .

⁵ الميداني : معارج الفكر . ج 8 ص 295 .

2- إلقاء الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة :

قال تعالى: {وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ} ¹ , وهذه الحركة من موسى ﷺ تدل على شدة انفعال الغضب فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه , وهو لا يلقبها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه ².

وهذا الغضب الذي أفقده زمام نفسه , إنما حصل له حين رآهم يعكفون على العجل بعيني رأسه . فموسى غضب حين أخبره ربه بما فعل قومه {قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} ³ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ³ . لكن هذا الغضب أخذ منحى آخر , حين رآهم بعيني رأسه يقومون بذلك . ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله موسى ليس المعايين كالمخبر , خبره ربه أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح . فلما رآهم وعابنهم ألقى الألواح " ⁴.

وإلقاء الألواح ناتج عن شدة الغضب , والحزن , والأسف , والانفعال . قال القاسمي عند قوله تعالى {وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ} : " طرحها من شدة الغضب , وفرط الضجرة , بين يديه , فتكسرت , وهي ألواح من حجارة كتب فيها الشرائع والوصايا الربانية , وإنما ألقاها ﷺ , لما

لحقه من فرط الدهشة عند رؤيته عكوفهم على العجل , فإنه ﷺ لما نزل من الجبل , ودنا من محللتهم , رأى العجل , ورقصهم حوله , اتقد غضبه , فألقاها غضباً لله , وحميةً لدينه , وكان هو في نفسه حديداً شديد الغضب . وكان هارون ألين منه جانباً , ولذلك كان محبباً إلى قومه " ⁵ . وقال ابن عاشور : " ثم إن إلقاءه إياها إنما كان إظهاراً للغضب , أو أثراً من آثار فوران الغضب

¹ سورة الأعراف : الآية 150 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1374 .

³ سورة طه : الآية 85 .

⁴ الحاكم : المستدرک على الصحيحين . وقال : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في الذيل . ج 2 ص 380 . ورواه أحمد في المسند بلفظ : " ليس الخبر كالمعاينة , إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل , فلم يلق الألواح , فلما عابن ما صنعوا , ألقى الألواح فانكسرت " . انظر . ابن حنبل : مسند الإمام أحمد . ج 1 ص 271 .

⁵ القاسمي : محاسن التأويل . ج 7 ص 2861 .

, لما شاهدتهم على تلك الحالة . وما ذكر القرآن ذلك الإلقاء إلا للدلالة على هذا المعنى, إذ ليس فيه من فوائد العبرة في القصة إلا ذلك¹.

3- الأخذ بلحية ورأس هارون عليه السلام وجره إليه :

قال تعالى : { وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ }². وقال سبحانه على لسان هارون U : { قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي }³. فموسى U بعد إلقاءه الألواح إلى الأرض , وهو في غضب شديد وحزن مرير , اتجه نحو أخيه , وأمسك بشعر رأسه ولحيته وأخذ يجره إليه , ظناً منه أن أخاه هارون قد قصر في الإنكار على قومه . " وهي حركة تدل على شدة الانفعال "⁴.

قال البقاعي : { وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ } أي بشعره { يَجُرُّهُ إِلَيْهِ } أي بناء على أنه قصر , وإعلاماً لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغاً يجعل عن الوصف , لأنه اجتثاث للدين من أصله⁵. وخلال هذه الحركة بدأ موسى U يعنف هارون U بشدة قائلاً : { يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٧﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي }⁶. ونداء موسى U لأخيه هارون (U يا هارون) بدل (يا أخي) , يدل على أن انفعال الغضب كان قد ملك زمام نفسه , بحيث ذكره باسمه المجرد , دون الإشارة إلى الرابطة التي تربطه به وهي الأخوة .

¹ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 4 ص 115 .

² سورة الأعراف : الآية 150 .

³ سورة طه : الآية 94 .

⁴ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1374 .

⁵ البقاعي : نظم الدرر . ج 3 ص 115 .

⁶ سورة طه : الآيتان 92, 93 .

المطلب الثاني : مشهد الغضب عند يونس عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية يونس عليه السلام :

يونس U نبي كريم , ورد ذكره في القرآن الكريم ست مرات¹ . وسميت سورة باسمه . قال فيه الرسول p : " ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى"² . أرسله الله إلى قومه وكانوا أكثر من مائة ألف قال سبحانه : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ }³ . فدعاهم إلى الله وذكرهم , ونصحهم .

من أبرز ملامح شخصيته U :

1- شفافية روحه ورقة فؤاده . ونلمح هذه الصفة في شخصيته من قوله تعالى حاكياً عنه : {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }⁴ .

2- صلابة دينه وقوة إيمانه . حيث أرسله الله تعالى إلى أكبر قوم من حيث عددهم , قال تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ }⁵ .

3- التواضع , ونلمح هذه الصفة من خلال مشاركته لهموم الناس والامهم , فقد ساهم مع ركّاب السفينة . قال تعالى : { إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٦﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٧﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٨﴾ }⁶ .

¹ في سور : النساء : آية رقم (163) , والأنعام : آية رقم (86) , ويونس : آية رقم (98) , والأنبياء : آية رقم (87) , والصفات : آية رقم (139) , والقلم : آية رقم (48)

² رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى { وَإِنَّ

يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... فَتَعَنَّيْتُمْ إِلَى حِينٍ } . [الصفات : 139-148] . رقم الحديث (3413) . ج2 ص420

³ سورة الصفات : الآية 147 .

⁴ سورة الأنبياء : الآية 87 .

⁵ سورة الصفات : الآية 147 .

⁶ سورة الصفات : الآيات 140-143 .

ثانيا : غضب يونس عليه السلام من قومه :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى :{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمْرِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ} ¹. فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعالي الغضب والندم عند يونس U . لكن الذي يهمنا في هذا المطلب هو انفعال الغضب . فما الذي أغضب يونس U ؟ وهل هذا الغضب له ما يبرره ؟ .

لقد غضب يونس U من قومه , فحين دعاهم إلى الله تعالى وحذّهم من غضبه وعقابه أبوا الاستجابة لدعوته , وأصرّوا على كفرهم وعنادهم , وتمردّهم وطغيانهم , فتوعدهم بالعذاب , فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ².

وقوله تعالى :{وَذَا النُّونِ} هو يونس U . والنون : هو الحوت ³ الذي التقم يونس U فترة من الزمن , بأمر الله وإذنه . قال تعالى : {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ} ⁴.

وقوله تعالى :{إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا}. اختلف أهل التفسير فيها على أقوال ثلاثة هي :

القول الأول : مغاضباً بمعنى : غضبان , وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكاً, نحو قولك عاقبت اللص , وسافرت , وشارفت الأمر. وكأنه أستعمل هنا للمبالغة . وغضبه كان على قومه " لشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مع طول دعوته إياهم " ⁵. وهذا الذي رجّحه ابن الجوزي ⁶ والآلوسي ⁷.

¹ سورة الأنبياء : الآيتان 87,88 .

² ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 586 .

³ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 11 .

⁴ سورة الصافات : الآية 142 .

⁵ الآلوسي : روح المعاني . ج 17 ص 83 .

⁶ ابن الجوزي : زاد المسير . ج 5 ص 263 .

⁷ الآلوسي : روح المعاني . ج 17 ص 84 .

القول الثاني : مغاضباً بمعنى : مغاضباً لقومه , أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب وأغضبه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه , فأوعدهم بالعذاب .

وهي من المفاعلة التي تقتضي اشتراكاً . وهذا الذي رجّحه الزمخشري¹ , والقاسمي² . ومن المعاصرين الشعراوي³ , والدكتور فضل عباس⁴ .

القول الثالث : مغاضباً بمعنى : مغاضباً لربه . أي مغاضباً من أجل ربه . كما تقول غضبت لك , أي من أجلك . والمؤمن يغضب الله عز وجل إذا عُصي . وهذا قول ابن مسعود من الصحابة , وقول الحسن وابن جبير من التابعين وهو القول الذي رجّحه الطبري⁵ , والقرطبي⁶

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة على النحو التالي : إن يونس U غضب من عدم استجابة قومه لدعوة الله . فكان غضبه لله , ومن أجل الله , وحصل بينه وبين قومه مغاضبة بسبب توعده لهم بالعذاب , وخرج من عند قومه وهو غضبان . ففسّر كل فريق كلمة مغاضبا من خلال غضب يونس U في مراحلته الثلاثة . عند مناظرة قومه , وعند خروجه من عندهم وعند عدم أخذه الإذن من الله في الخروج .

وهذا المشهد بيّن أن غضب يونس U كان لله , وكرهاً وبغضاً لعبادة الأصنام التي أصرّ عليها قومه . كما بيّن خطأ يونس U في سرعة خروجه من عند قومه دون إذن من ربه . ولذا طلب المغفرة من ربه قائلاً : {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} .⁷ وهذا الخروج السريع ليونس U عجلّ من توبة قومه , ورجوعهم إلى الله سبحانه . فما إن خرج يونس U مغضباً من عند قومه , وتحققوا أن العذاب واقع بهم لا محالة , حين خرجوا إلى الصحراء

¹ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 581 .

² القاسمي : محاسن التأويل . ج 11 ص 4300 .

³ الشعراوي , محمد متولي : تفسير الشعراوي . 18 مج . بلا طبعة . القاهرة : أخبار اليوم . بلا تاريخ . ج 15 ص 9622 .

⁴ عباس : القصص القرآني . ص 348 .

⁵ الطبري : جامع البيان . ج 7 ص 5750-5751 .

⁶ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 11 ص 329 .

⁷ سورة الأنبياء : الآية 87 .

بأطفالهم ، وأنعامهم ، ومواشيهم ، وفرّقوا بين الأمهات وأولادها. ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه¹.

قال تعالى : { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعْدَابَ الْآخِرِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْتُهُمْ إِلَىٰ حِينٍ }².

المطلب الثالث : مشهد الغضب عند سليمان عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية سليمان عليه السلام :

سليمان ٧ نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وهو ابن داود ٧ . قال تعالى : { وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ ٱلْعَبْدِ ۗ إِنَّهُٗ ءَوَّابٌ }³ . ورث عن أبيه داود ٧ العلم والملك⁴ . قال تعالى : { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ }⁵ . وسخر الله سبحانه له الجنّ ، والإنس ، والريح ، والطير . وعلمه لغة الطير والحيوان . قال تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ }⁶ . وقال تعالى : { فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ ٱصَّابَ ۗ وَٱلشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ }⁷ فكان له ملكاً عظيماً ، لم يكن لأحد من بعده . قال تعالى حاكياً دعوة سليمان ٧ { قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّآ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ ٱنتَ ٱلْوَهَّابُ }⁸.

¹ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج4 ص586 . وهذه الرواية ذكرها ابن جرير في التفسير برقم (17960) . وذكر رواية أخرى برقم (17698) عن ابن مسعود ط بلفظ : " إن يونس ٧ كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، وفرّقوا بين كل والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه ، فكفّ عنهم العذاب ... " انظر : الطبري : جامع البيان . ج 5 ص 4272 . وقد صحح ابن حجر إسناده هذه الرواية . انظر : ابن حجر، أحمد ابن علي : فتح الباري شرح صحيح البخاري . 13 مج . ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج 6 ص 452 .

² سورة يونس : الآية 98 .

³ سورة ص : الآية 30 .

⁴ لقوله عليه السلام : " إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم " . رواه الترمذي وصححه الألباني . انظر : الترمذي : سنن الترمذي . كتاب العلم عن رسول الله ﷺ . باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . رقم الحديث (2682) . ص 604 . وانظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 13 ص 164 .

⁵ سورة النمل : الآية 16 .

⁶ سورة النمل : الآية 17 .

⁷ سورة ص : الآيتان 36, 37 .

⁸ سورة ص : الآية 35 .

من أبرز ملامح شخصية سليمان ٥ :

1- الحزم والعزم في الأمور : فقد كان ٥ حازماً في تسيير أمور مملكته . وهي صفة بارزة في حياته . ولو لم يتصف بها أمام مملكة ضخمة من الإنس، والجنّ ، والطير ، لضاعت هذه المملكة . وقصة سليمان ٥ مع الهدهد¹ ، وقصته مع ملكة سبأ² ، أعظم دليل على حزمه .

2- القوة والشجاعة : فقد كان ٥ قوياً ، شجاعاً في الحق ، مُهاب الجانب ، ذا سطوة وسلطان . وتهديده لملكة سبأ بقوله: {أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ} .³ دليل على قوته وشجاعته.

3- العزّة والأنفة : فلم يكن ٥ يرضى بالهدايا أو العطايا، مقابل دينه وعقيدته ، ودعوته ورسالته. قال تعالى : {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَكْرهُونَ} .⁴

4- الفهم والعلم والحكمة : قال تعالى : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنًا وَكُلًّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا} .⁵

5- النبوة والملك : فقد جمع الله له ذلك ، فكان نبياً ملكاً . قال تعالى : {وَهَبْنَا لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} .⁶

6- اليقظة والفتنة : وهذه السمة ندركها من خلال قصة سليمان ٥ مع الهدهد . حين تفقد الطير ، وافتقد الهدهد . قال سيد قطب : " كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته : سمة اليقظة والدقة والحزم "⁷.

¹ في سورة النمل : الآيات 20-22.

² في سورة النمل : الآيات 35-40 .

³ سورة النمل : الآية 37 .

⁴ سورة النمل : الآية 36 .

⁵ سورة الأنبياء : الآية 79 .

⁶ سورة ص : الآية 35 .

⁷ قطب : في ظلال القرآن . ج5 ص2638 .

ثانيا :غضب سليمان عليه السلام من الهدهد :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٠﴾ لَأَعَذِّبُنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحُنَّهُ أَوْ لَأَيَّايَتِي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٥١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٥٢﴾ }¹.

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال الغضب عند سليمان U ولكن هذا الغضب كان منصباً على أحد جنوده , وهو الهدهد . ولكن كيف حصل هذا الغضب لسليمان U ؟.

لقد حصل الغضب حينما بدأ سليمان U يتفقد الطير - " وهذا يدل على كمال عزمه وحزمه , وحسن تنظيمه لجنوده , وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار , حتى إنه لم يهمل هذا الأمر , وهو تفقد الطير , والنظر هل هي موجودة كلها , أم مفقود منها شيء " ² - فلم يجد الهدهد . " بدأ على سليمان انفعال الغضب , ونوى معاقبة الهدهد بأحد الطرق الثلاث المعروفة" ³ . ولذا قال السعدي⁴ : " فحينئذ تغَيِّظ عليه , وتوعده" ⁵.

وقول سليمان U {لَأَعَذِّبُنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحُنَّهُ} . تقديمه للعذاب والعقوبة على البيان والإيضاح والعذر {أَوْ لَأَيَّايَتِي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ} . دالٌّ على نبرة الغضب والحزم .

وهذا الانفعال الذي حصل لسليمان U , يأتي في سياق الانفعال الإيجابي , وله ما يبرره حيث إن سياسة وإدارة مملكة ضخمة , من الإنس والجن والطيور , بحاجة إلى شدة وحزم وبقظة وفطنة , مصحوبة بالغضب في موقعه ومحلّه . فغياب الهدهد صاحب المكانة الخاصة لسليمان

¹ سورة النمل : الآيات 20-22 .

² السعدي , عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان . 2 مج . ط : 1 . فلسطين : مطبعة النور . 1997 . ج 2 ص 828 .

³ طبارة , عفيف عبد الفتاح : مع الأنبياء في القرآن الكريم . ط : 22 . بيروت : دار العلم للملايين . 2003 . ص 294 .

⁴ هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي . مفسر , من علماء الحنابلة , من أهل نجد . مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم , وهو أول من أنشأ مكتبة فيها . له أكثر من ثلاثين كتابا . من أهمها : تيسير الكريم المئان في تفسير القرآن , والقواعد الحسان في تفسير القرآن , والخطب المنبرية . توفي سنة 1956م . انظر : الزر كلي : الأعلام . ج 3 ص 340 .

⁵ السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 2 ص 195 .

U, أو صاحب المهام الخاصة كما يذكر ابن كثير¹ و القرطبي². غيابه عن موقعه دون إذن من الملك سليمان U, سيؤدي إلى تسبب في المملكة. من هنا ظهر انفعال الغضب عند سليمان U.

وليس في غضب سليمان U وتهديده للهدد ما يتنافى مع الرفق بالحيوان وذلك للأسباب التالية:

1- إن الهدد كان أحد جنود سليمان U. وغيابه عن موقعه دون إذن من القائد قد يعرض القائد والجيش وحتى المملكة للمخاطر, خاصة أنه ليس كباقي الجنود. ولذا كان يستحق التهديد والغضب والعتاب.

2- إن سليمان U هدّد الهدد وتوعّده بغيابه لكن أمام باقي الجنود. وهذا يدل على حنكة القائد وحكمته, وذلك من خلال توجيه رسالة قوية للجنود بالانضباط بالتعليمات وعدم التسبب 3- لا يجوز النظر أو التعامل مع الطير أو الحيوان الغير عاقل كما تعامل معها سليمان U ففي وقته كانت مسخرة لسليمان U وتعي وظيفتها جيداً, فهي بالتالي معرضة للمساءلة والمحاسبة بالحق والعدل.

¹ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج5 ص227-228.

² القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج13 ص177-178.

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء

من خلال مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام , والنتائج المترتبة على هذه المشاهد , سنستخلص منها بعض الجوانب والقيم التربوية التي ستكون نبراساً يضيء الطريق ومشعلاً يهدي السبيل . وأهم هذه القيم :

أولاً : انفعال الغضب على الأغلب هو انفعال سلبي , وغير ايجابي . ويستتثى منه الغضب من أجل الله تعالى , وكذلك الغضب من أجل العرض والأرض والكرامة . فمن الأنبياء الذين حدث معهم انفعال الغضب وهما (موسى , ويونس) عليهما السلام , أتبعاه بانفعال الندم , والاستغفار والتوبة , وطلب العفو من الله سبحانه . وهذا يدل على أن هذين النبيين شعرا بالذنب والخطأ . صحيح أن أصل غضبهم كان لله تعالى , لكنه تجاوز المسموح به .

فهذا موسى U بعد انفعال الغضب الذي حصل معه , وما نتج عنه من إلقاء الألواح , وجرّ أخيه من رأسه ولحيته . وبعد أن هدأت نفسه , رأيناه يقول بصوت خاشع خافت : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }¹ .

ويونس U بعد أن غاضب قومه , وخرج من عندهم دون إذن من الله تعالى , نادى في بطن الحوت , وجأ إلى الله تعالى : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }² .

فلو لم يكن انفعال الغضب سلبياً , فلماذا يندم هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ويستغفرون الله تعالى ويتوبون إليه .

ثم إن الله تعالى أوصى نبيه محمداً P ألا يكون كيونس U في غضبه , قال تعالى : { وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ }³ . قال الألوسي : " أي لا يوجد منك ما وجد منه من

¹ سورة الأعراف : الآية 151 .

² سورة الأنبياء : الآية 87 .

³ سورة القلم : الآية 48 .

الضجر والمغاضبة , فتبتلى بنحو بلائه عليه السلام ¹. فلو كان انفعال الغضب عند يونس
U ايجابياً لما حذر الله تعالى نبيه محمداً P أن يكون مثل يونس U .

ثانياً : الآثار والنتائج المترتبة على انفعال الغضب غالباً ما تكون غير منضبطة , ولا مترنفة
وأحياناً غير شرعية . لأنها تصدر في حالة ثورانٍ وهيجانٍ نفسي .

فهذا موسى U حين انفعال غضباً لم يتمالك نفسه في إلقاء الألواح , وجرّ أخيه هارون من
رأسه ولحيته . وهذان التصرفان غير مشروعين ولا مستساغين , وإن صدرا من نبي كريم .

ويونس U لم يستأذن سيّده ومولاه تعالى في الخروج من قومه , وهو في حالة غضب أو
مغاضبة .

وسليمان U يصدر تهديداً شديداً وهو في حالة غضب على الهدهد بدون تروٍ أو تثبت . لأنه
غاب عنه بدون إذن قائلاً : { لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذِنَنَّكَ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ }² . وكان
الأولى أن يسمع منه حجته قبل إصدار الحكم أو التهديد .

من هنا جاء النهي من الرسول P عن إصدار الأحكام في حالة الغضب . فقد روى الإمام
مسلم في صحيحه أن عبد الرحمن بن أبي بكره كتب إلى ابنه عبيد الله بن أبي بكره وهو قاض
بسجستان³ أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان فأني سمعت رسول الله P يقول : " لا يحكم أحد
بين اثنين وهو غضبان " ⁴ . وذلك " أن الغضب غولُ العقل يغتاله كما تغتاله الخمر ...
والغضب نوع من الغلق , والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد"⁵.

¹ الألويسي : روح المعاني . ج29 ص37 .

² سورة النمل : الآية 21 .

³ هي ناحية كبيرة وولاية واسعة , تقع جنوب هراة , وأرضها كلها رملة , وتقع اليوم على النخوم بين فارس (إيران) وأفغانستان ,
وهي منقسمة بين الدولتين إلا أن المساحة الأكبر منها تقع في أفغانستان . انظر : الحموي : معجم البلدان . ج 3 ص 190 . الششتاوي
, أحمد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية . 15 مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . ج 11 ص 282-283 .

⁴ مسلم : صحيح مسلم . كتاب الأقضية . باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان . رقم الحديث (1717) . ج3 ص1343-
1343 .

⁵ ابن القيم , أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : إعلام الموقعين عن رب العالمين . 4مج . راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف . بلا طبعة .
بيروت : دار الجليل للنشر والتوزيع . بلا تاريخ . ج2 ص175 .

وكذلك " لما يحصل للنفس بسببه من التشويش الموجب لاختلال النظر , وعدم استيفائه على الوجه الصحيح"¹ . ولكن لو قضى وهو غضبان فإن قضاءه صحيح ونافذ² . وقال ابن رجب³: " وكذلك ما يقع من الغضبان من طلاق وعتاق أو يمين , فإنه يؤخذ بذلك كله بغير خلاف"⁴ . وعلى ذلك فإن الغضبان مسئول عن تصرفاته , فإذا أتلف مالا حال غضبه ضمنه , وإذا قتل تترتب عليه آثار القتل التي نص عليها الشارع .

وقد استدل ابن العربي⁵ بتصرفي موسى ٧ على " أن الغضب لا يغير الأحكام , كما زعمه بعض الناس , فإن موسى لم يغير غضبه شيئاً من أفعاله , بل أطردت على مجراها , من إلقاء لوح وعتاب أخ وصك ملك"⁶ .

وكلام ابن العربي وابن رجب ليس على إطلاقه . فإن هناك بعض التصرفات التي يعذر فيها الغضبان . فمن ذلك طلاق الغضبان , فقد روى أبو داود وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا طلاق ولا عتاق في إغلاق"⁷ .⁸

¹ أبو صفية : شرح الأربعين النووية في ثوب جديد . ص 208 .

² النووي , أبو زكريا يحيى بن شرف : صحيح مسلم بشرح النووي . 9 مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1983 . ج 12 ص 15 .

³ هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي . ولد في بغداد . ونشأ وتوفي في دمشق . من أشهر مصنفاته : شرح علل الترمذي , وطبقات الحنابلة , وجامع العلوم والحكم . مات سنة 795 هـ . انظر : السيوطي , عبد الرحمن بن أبي بكر : طبقات الحفاظ . ط : 2 . بيروت : دار الكتب العلمية . 1994 . ص 540 :

⁴ ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم . ص 129 . بل هناك خلاف ظاهر بين العلماء في هذه المسألة . انظر : ابن القيم , محمد بن أبي بكر : إغائة اللفهان في حكم طلاق الغضبان . اعتنى بتصحيحه وتخرجه : محمد عفيفي . ط : 2 . بيروت , الرياض : المكتب الإسلامي , مكتبة فرقد الخاني . 1988 . ص 60-69 .

⁵ هو الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي . فقيه . محدث . مفسر . كان ثاقب الذهن , عذب المنطق , كريم الشمائل . وقد بلغ مرتبة الاجتهاد . من أشهر تصانيفه : عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي . وأحكام القرآن الكريم . توفي بفاس سنة 543 هـ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج 20 ص 197-203 .

⁶ ابن العربي , أبو بكر محمد بن عبد الله : أحكام القرآن . 4 مج . تحقيق : على محمد البجاوي . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة , دار الجليل . 1987 . ج 2 ص 793 .

⁷ والإغلاق : يأتي بمعنى الغضب الشديد . يقال أغلق فلان فغلق غلقاً إذا أغضب فغضب واحتدّ . قال أبو بكر : الغلق الكثير الغضب . انظر . ابن منظور : لسان العرب . ج 10 ص 292 .

⁸ أبو داود , سليمان بن الأشعث : سنن أبي داود . حكم على أحاديثه : الألباني . اعتنى به : مشهور آل حسن . ط : 1 الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع . بلا تاريخ . كتاب الطلاق . باب في الطلاق على غلط . وحكم عليه الألباني بالحسن . وقال أبو داود : الغلاق أظن في الغضب . رقم الحديث (2193) . ص 332 . ابن ماجة : سنن ابن ماجة : كتاب الطلاق . باب طلاق المكره والناسي . وحكم عليه الألباني بالحسن . رقم الحديث (2046) ص 353 .

وإنما اعتبر ابن العربي أن الغضب لم يغيّر شيئاً من أفعال موسى U ، لأن الآثار التي نجمت عن غضبه تتسق مع الطبيعة الانفعالية الحادة له U . وقد قال ابن العربي في وصف موسى U " كان موسى من أعظم الناس غضباً . لكنه كان سريع الفيئة ، فتلك بتلك " ¹ .

ثالثاً : لما كان الغضب حالةً انفعاليةً مؤقتة تزول بزوال المؤثر والمسبب له . لذا لا ينبغي أن يكون الغضب صفةً ملازمةً وحالةً ملاصقةً للنفس . بل يجب الإسراع في التخلص منه وإصلاح ما فسد من آثاره ونتائجه .

فموسى U لم يسترسل في غضبه ، وتنبه إلى خطئه ، وقال تعالى في وصف حاله بعد غضبه : { وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۗ وَفِي نُشْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } ² . أي أن موسى U بدأ بإصلاح ما فعله في حالة غضبه من إلقاء الألواح وجر أخيه هارون من رأسه ولحيته . قال محمد جواد مغنية : " إن موسى نبي معصوم ، ما في ذلك ريب ، ولكنه إنسان يحزن ويفرح ، ويرضى ويغضب ، وقد تملكه الغضب حين فوجئ بارتداد قومه عن دين الله ، وتركه الغضب حين استعطفه أخوه هارون ، ووعد الله بالانتقام من المرتدّين ، وبعد أن عاد موسى إلى وضعه الطبيعي عاد إلى الألواح التي ألقاها حين غضب " ³ .

فموسى U أصلح ما بينه وبين ربه عز وجل بالتوبة والندم والاستغفار ، وبأخذ الألواح . وأصلح ما بينه وبين أخيه بسماع عذره وحجته وبالذعاء له .

ويونس U ما إن شعر أنه أخطأ في سرعة مغاضبة قومه حتى تاب إلى الله تعالى . ثم رجع إلى قومه فوجدهم قد آمنوا .

وهذا نبينا محمد p يعترف أنه يغضب كما يغضب باقي البشر ، وأنه يمكن أن يؤذي الآخرين في حالة الغضب ، ولذا أراد أن يصلح ما يمكن أن يحدثه في حالة غضبه من سبّ ، أو شتم ، أو جلد ، أو غيره . ويتحلل من تبعات ذلك ، بالذعاء لكل من سبب له أذى في بدنه وعرضه ، فعن

¹ ابن العربي : أحكام القرآن . ج2 ص793 .

² سورة الأعراف : الآية 154 .

³ مغنية ، محمد جواد : التفسير الكاشف . 6 مج . ط : 2 . بيروت : دار العلم للملايين . 1980 . ج3 ص399 .

عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول ﷺ رجلان , فكلماه بشيء لا أدري ما هو , فأغضباه . فلعنهما وسبهما . فلما خرجا . قلت : يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان . قال : وما ذاك ؟ قالت قلت : لعنتهما وسببتهما . قال : " أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللهم إنما أنا بشر . فأبي المسلمين لعنته أو سببته , فاجعله له زكاةً وأجراً " ¹ . فهذا الحديث يدل على المنهجية التي اتبعها الرسول ﷺ كما إخوانه من الأنبياء عليهم السلام وهي التحلل من تبعات وآثار حالة الغضب التي تحصل لهم بحكم بشريتهم . من هنا فقد مدح الله سبحانه المؤمنين حين وصفهم بقوله : { وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } ² . وفي الآية حض وحث على الإسراع في كسر الغضب , وعدم التماذي فيه .

رابعاً : في انفعال غضب الأنبياء بيان للوسائل والأسباب المعينة على التخفيف من حدة الغضب . وهذه الوسائل هي :

أولاً : ذكر الله تعالى , والالتجاء إليه , والاحتفاء بجنابه :

فهذا موسى ﷺ التجأ لربه مباشرةً بعد فورة الغضب التي ألمت به . وما أعقبها من جرّ أخيه , وإلقاء الألواح . حيث دعا ربه بقوله : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } ³ .

وهذا يونس ﷺ التجأ إلى ربه بعد مغاضبة قومه قائلًا : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ¹ .

¹ رواه مسلم . صحيح مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاةً وأجراً ورحمة . رقم الحديث (2600) ج4 ص2007 . وللحديث طرق وألفاظ أخرى في مسلم منها . " اللهم إنما أنا بشر , فأبما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاةً ورحمة . رقم الحديث (2601) نفس الجزء والصفحة .

² سورة الشورى : الآية 37 .

³ سورة الأعراف : الآية 151 .

¹ سورة الأنبياء : الآية 87 .

وهذه الوسيلة تزيل الغضب ، أو تخفف من غوائله . وترجع الغضبان إلى وضعه الطبيعي وإلى أدبه . قال تعالى: {وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} ¹. قال عكرمة: " يعني إذا غضبت " ². وقال تعالى : {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ³. ومعنى ينزغتك " أي يغضبك . وقوله: {سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي سميع بجهل من جهل ، وعليم بما يذهب عنك الغضب" ⁴. وعن سلمان بن صرد قال : استتبّ رجلان عند النبي ρ ونحن عنده جلوس ، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه ، فقال النبي ρ : "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ρ ، قال : إني لست بمجنون ⁵ " ⁶ .

ثانياً: الانتقال عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها :

فقد رأينا يونس ٥ ما إن غاضب قومه حتى خرج من عندهم ، قال تعالى : { وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغْنِبًا } ⁷ والابتعاد عن المكان الذي غضب فيه ، خفف عنه الغضب ، وجعله يراجع نفسه.

وموسى ٥ بعد غضبه من قومه الذين عبدوا العجل . ذهب لمقابلة ربه عز وجل ، قال تعالى : { وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ^ط وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٠٠﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ^ط فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ^ط إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ^ط أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ } ¹.

¹ سورة الكهف : الآية 24 .

² ابن الجوزي : زاد المسير . ج 5 ص 89 .

³ سورة الأعراف : الآية 200 .

⁴ الماوردي، علي بن محمد بن حسين : أدب الدنيا والدين . ط: 1. القاهرة : جنة الأفكار . 2006م . ص 247 .

⁵ قال ابن حجر : " قيل إنه كان من جفاة الأعراب ، وظن أنه لا يستعبد من الشيطان إلا من به جنون " انظر : ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري . ج 10 ص 467 .

⁶ رواه البخاري : صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب الخذر من الغضب . رقم الحديث (6115) ج 3 ص 161 .

⁷ سورة الأنبياء : الآية 87 .

¹ سورة الأعراف : الآيتان 154, 155 .

وقد أوصى نبينا محمد p باستخدام هذه الطريقة للتخفيف من حدة الغضب , فقد روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي ذر قال : إن رسول الله p قال لنا : " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس , فإن ذهب عنه الغضب , وإلا فليضطجع"¹.

وقد ذكر الشيخ المناوي² الحكمة من وراء تغيير هيئة الغاضب فقال : " لأن القائم مهيباً للانتقام , والجالس دونه , والمضطجع دونهما . والقصد أن يبتعد عن هيئة الوثوب والمبادرة للبطش ما أمكن حسماً لمادة المبادرة"³.

وهناك طرق ووسائل أخرى تعين على التخفيف من حدة الغضب⁴ . أعرضنا عن ذكرها لعدم ورود نص صحيح صريح فيها , ولأن دراستنا تختص بالقيم المستفادة من المشاهد التي حدثت مع الأنبياء عليهم السلام .

خامساً : لما كان الغضب من أسوأ الانفعالات النفسية , والتي تؤثر على سلوك الإنسان , فتفقدته توازنه العقلي والنفسي , ويمكن أن يتصرف أو يقوم بأعمال تؤثر على شخصيته وسمعته . من هنا جاء التحذير الإلهي للنبي p أن لا يكون كيونس v في سرعة الغضب , وقلة التحمل قائلاً: **{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}**¹ . وبناء على هذا التوجيه كان الرسول v مثالاً يحتذى في صبره وتحمله .

¹ أبو داود : سنن أبي داود . كتاب الأدب . باب ما يقال عند الغضب . رقم الحديث (4782) وحكم عليه الألباني بالصحة . ص719 . ابن حنبل : مسند الإمام أحمد . ج5 ص152 . وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح . انظر . الهيثمي , علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . 10 مج . ط: 2 . بيروت : دار الكتاب العربي . 1967 . ج8 ص71

² هو : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري . من كبار العلماء بالدين والفنون . كان قليل الطعام كثير السهر , فمرض وضعفت أطرافه , فكان ولده يستلم منه تأليفه . له نحو ثمانين مصنفاً من أشهرها : كنوز الحقائق وهو في الحديث , وفيض القدير , وشرح شمائل الترمذي . عاش ومات في القاهرة وذلك سنة 1031 هـ . انظر . الزركلي : الأعلام . ج6 ص204 .

³ المناوي , محمد عبد الرؤوف : فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير . 6 مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بلا تاريخ . ج1 ص408 .

⁴ انظر . الغزالي : إحياء علوم الدين . ج3 ص232-235 . الماوردي : أدب الدنيا والدين . ص247-249 . أبو عزيز , سعد يوسف : صحيح وصايا الرسول p . 3 مج . بلا طبعة . القاهرة : المكتبة التوفيقية . بلا تاريخ . ج3 ص307-313

¹ سورة القلم : الآية 48 .

ولخطورة الغضب , وكثرة أضراره على الفرد والمجتمع . حذّر منه الرسول p , وحذّر من نتائجه وعواقبه, فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: إن رجلاً قال للنبي p أوصني: قال: " لا تغضب, فردّد مراراً قال: لا تغضب"¹.

ومعنى "لا تغضب " أي اجتنب أسباب الغضب , ولا تتعرض لما يجلبه . وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة².

ومن أخطر نتائج الغضب الحقد والحسد . وهما من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان فإنهما يوردان العبد مواطن الخطر. وعليه فلا بد للإنسان من لجم نفسه أمام مسببات الغضب كي لا يقع في المحذور , ويسبّب الأذى للآخرين.

الفصل الخامس

انفعال الندم

¹ البخاري : صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب الحذر من الغضب. رقم الحديث (6116) . ج 3 ص 161.

² ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري . ج 10 ص 520 .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الندم ودلالاته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث: القيم الايجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الندم ودلالاته النفسيّة

أولاً : الندم في اللغة والاصطلاح :

تكاد معاجم اللغة تتفق على أن الندم معناه : الأسف والحزن ¹. وقال البستاني ² : " ندم على ما فعل يندم ندماً وندامةً أسف , وحزن , وتاب , أو فعل شيئاً ثم كرهه " ³. فقد أضاف إلى الحزن والأسف التوبة . وكأن الندم طريق التوبة . أما الأصفهاني فقال : " الندم والندامة: التحسّر من تغيير رأي في أمر فائت . قال تعالى : {فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} ⁴. وقال : {فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ} ⁵. وأصله من منادمة الحزن له " ⁶.

وقد يأتي بمعنى الأثر. قال ابن الأثير ⁷: " الندم : الأثر " ⁸.

وذكره الزمخشري ¹ بسكون الدال , من الندم , قال : " وعن ابن الأعرابي : سمّي بذلك للزومه من الندم , وهو من الغمّ اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه في العاقبة من سوء آثاره " ².

¹ ابن منظور : لسان العرب . ج 12 ص 572 . وانظر . الفيروز آبادي : القاموس المحيط . ج 4 ص 182 . الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس . ج 9 ص 74 . ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 5 ص 411 . الفراهيدي : كتاب العين . ص 950 .
² هو : بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني , صاحب دائرة المعارف العربية , عالم واسع الاطلاع , ولد ونشأ في الديّة من قرى لبنان , وتعلم بها وبيروت آداب العربية , واللغات : السريانية , والاطالقية , واللاتينية , ثم العبرية , واليونانية . واشتغل بالتأليف , فصنّف : محيط المحيط في اللغة , واختصره في كتاب قطر المحيط , وكشف الحجاب في علم الحساب . توفي في بيروت سنة 1883م . انظر . الزر كلي : الأعلام . ج 2 ص 58 .
³ البستاني , بطرس : قطر المحيط . 2 مج . بلا طبعة . بيروت : مكتبة لبنان . بلا تاريخ . ج 2 ص 2151 .
⁴ سورة المائدة : الآية 31 .
⁵ سورة الشعراء : الآية 157 .
⁶ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 489 .
⁷ هو : أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري , ثم الموصلية , الكاتب ابن الأثير , القاضي الرئيس , العلامة , البارع , الأوحد , البليغ . صاحب جامع الأصول , وغريب الحديث . قرأ الحديث والعلم والأدب . ولي ديوان الإنشاء . وكان ورعاً مهيباً . توفي بالموصل سنة 606هـ . انظر . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج 21 ص 488-491 .
⁸ ابن الأثير , أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث . 5 مج . تحقيق: محمود الطناحي . بلا طبعة . بيروت : المكتبة الإسلامية . ج 5 ص 36 .

فالندم في اللغة هو : الأسف , والحزن , والغم , والتحسّر على ما فات , والتوبة منه .

أما اصطلاحاً : فإن مدلوله لا يختلف عن معناه في اللغة . حيث يدور معناه على التحسّر والألم على أمر فائت . فقد وردت مشتقات كلمة الندم في القرآن الكريم في ستة مواضع³ . كلها تشير إلى نفس معناه اللغوي .

فقد عرفه الشيخ الجمل⁴ عند قوله تعالى : {فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} قال : "مغتمين غمًا لازماً . فالندم غم يصاحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمنى انه لم يقع"⁶ .

وعرفه ابن عاشور بقوله : "الندم : أسف الفاعل على فعل صدر منه , لم يتقطن لما فيه عليه من مضرة . قال تعالى : {أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}"⁷ .

كما عرفه الدكتور وهبه الزحيلي بتعريف قريب من تعريف ابن عاشور حيث قال عند

قوله تعالى : {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ} وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ¹

¹ هو : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي , العلامة , كبير المعتزلة , صاحب الكشاف والمفصل . كان رأساً في البلاغة والعربية , والمعاني والبيان , له نظم جيد . وكان داعية إلى الاعتزال . وقد برع في الأدب كذلك , وكان نسبة . توفي ليلة عرفة سنة 538هـ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج 20 ص 151-156 .

² الزمخشري , جار الله محمود بن عمر : الفائق في غريب الحديث . 4 مج . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجحوي . ط : 2 . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1979م ج 3 ص 418 .

³ هي : الآية (31) من سورة المائدة . والآية (52) من سورة المائدة . والآية (157) من سورة الشعراء . والآية (6) من سورة الحجرات . والآية (54) من سورة يونس . والآية (33) من سورة سبأ .

⁴ هو : الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجلي , المصري الأزهري , الشافعي , المعروف بالجميل . مفسّر , وفقه . ولد وتوفي في مصر . من تصانيفه : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الحفية , وفتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب , وغيرها من التصانيف . توفي سنة 1204هـ . انظر : كحالة , عمر رضا : معجم المؤلفين . 8 مج . بلا طبعة . بيروت : مكتبة المتسني , ودار إحياء التراث . بلا تاريخ . ج 4 ص 271 .

⁵ سورة الحجرات : الآية 6 .

⁶ الجمل , سليمان بن عمر العجلي : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحفية . 4 مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج 4 ص 178 .

⁷ سورة الحجرات : الآية 6 .

⁸ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 3 ص 174 .

¹ سورة يونس : الآية 54 .

قال: "الندم : هو ما يجد الإنسان في نفسه من الألم والحسرة عقب كل فعل ضار لمّا رأوا العذاب الشديد فصاروا مبهوتين متحيرين . وقد يجهرون بالندم كما قال : { يَحْسَرُونَ عَلَىٰ مَا فَرَّطُوا فِي جَنبِ اللَّهِ }"¹ .²

وعليه فإن الندم : حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالخطأ والذنب . وقد تصل إلى الحزن , والتحسّر , والأسى , والتوبة .

ثانيا : الندم عند علماء النفس :

عرّف علماء النفس الندم أو الشعور بالذنب بتعريفات مختلفة , إلا أنها تصب في معنى واحد , وإن اختلفت عباراتهم . فقد عرفوا الندم بأنه :

- " لوم الذات وتأنيب الضمير نتيجة الإتيان بأفعال خاطئة , أو خرق أمر أخلاقي , أو الإخفاق في تحقيق طموحات , أو العجز عن فهم الآخرين "³.

- " استعداد لا شعوري يقسر الفرد على الشعور الشاذ بالذنب , وعلى القيام بأعمال مختلفة لإيذاء نفسه وعقابها , أو إذلالها والغض من شأنها , وللتكفير عن ذنوب يتوهم أنه ارتكبها ويسمى هذا (عقدة الذنب وإدانة الذات) "⁴.

- " انفعال ينشأ عن شعور الشخص بالذنب , وأسفه على ارتكابه , ولومه لنفسه على ما فعل "¹

وقد قسّموا الندم أو الشعور بالذنب إلى قسمين هما ² :

¹ سورة الزمر : الآية 56 .

² الزحيلي , أ.د. وهبه : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . 15 مج . إعادة ط : 1 . بيروت , ودمشق : دار الفكر المعاصر , ودار الفكر . 1998 . ج 11 ص 196 .

³ مقال على الانترنت للكاتب محمد أحمد إبراهيم سغفان , بعنوان : " مقياس الشعور بالذنب " . أنظر :

<http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books>

⁴ راجح : أصول علم النفس . ص 145

¹ مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : " الانفعالات " . انظر :

<http://www.fo-z.com/vb/t4312.html>

الأول : ايجابي : وهو الشعور الذي يدفع صاحبه نحو الفعل الإيجابي الفَعَال كالذي يذنب ذنباً فيشعر بالندم ويقرر نتيجةً لهذا الشعور ألا يعود لهذا الذنب أبداً .

الثاني : سلبي : وهو شعور الفرد بلوم الذات وتأنيب الضمير .

والمقصود من القسم السلبي هو " شعور الفرد بذنب غير معروف المصدر , فترى الفرد لا يعرف لماذا يشعر بالذنب , وهي مشاعر وهمية مبالغ فيها لا ترتبط بخطأ واضح أو واقعي وأحياناً ينظر إلى أخطائه وكأنها لا تغتفر"².

وعلى ضوء هذه التعريفات فإن الندم أو الشعور بالذنب عند علماء النفس له قيمة إيجابية مثلى, لأنه ضرورة تهييية كي يقلع الفرد عن أخطائه , ويراجع نفسه ويحاسبها .

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

¹ مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف , بعنوان : " المقياس النفسي للشعور بالذنب " . انظر :

<http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775>

² مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : " فوائد من المجلات العربية " . انظر :

<http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm>

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم أو التوبة والاستغفار لبعض الأنبياء عليهم السلام , وذلك بعد ذكره لخطأ أو معصية لهذا النبي أو ذاك , وذلك للتدليل على بشريتهم . وفي هذا المبحث سأتحدث عن الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم .

المطلب الأول : مشهد الندم عند آدم عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية آدم عليه السلام :

آدم U أبو البشر¹ , وأول الأنبياء² , خلقه الله تعالى من تراب³ , ونفخ فيه من روحه⁴ وأسجد له الملائكة⁵ , وجعله خليفته في الأرض⁶ . ورد ذكره في القرآن الكريم في ثمانية سور¹ . وقد وردت قصته بجوانبها المتعددة كثيراً في القرآن الكريم مقارنة مع غيرها من قصص الأنبياء عليهم السلام .

ومن أبرز ملامح شخصيته U :

¹ لحديث الشفاعة الطويل . وفيه : " فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر , خلقك الله بيده ... " رواه البخاري . انظر : البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله عز وجل { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ**

قَوْمِهِ } [هود : 25] . رقم الحديث (3340) . ج 2 ص 135 .

² لحديث أبي أمامة أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم معلم مكرم " . رواه أحمد والحاكم . انظر : أحمد بن حنبل : المسند . ج 5 ص 266 . الحاكم : المستدرک علی الصحیحین . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي في الذيل . ج 2 ص 262 .

³ لقوله تعالى : { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ط خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } . [آل عمران : 59] .

⁴ لقوله تعالى : { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** } . [الحجر : 28] .

⁵ لقوله تعالى : { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** } . [البقرة : 34] .

⁶ لقوله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** } . [البقرة : 30] .

¹ هي : البقرة : الآيات (37,35,34,33,31) . آل عمران : الآيات (59,33) . الأعراف : الآيات (172,27,19,11) . الحجر : الآيات (33-28) . الإسراء : الآية (61) . الكهف : الآية (50) . طه : الآيات (121,120,117,116,115) . ص : الآيات (75-71) .

1- العلم : فقد علّمه الله تعالى أسماء كل شيء , قال تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }¹. وذلك ليتمكن من العيش في الأرض وخلافتها . حيث إن الغاية من خلقه U هي خلافة الأرض . قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }² .

2- قوة الحجة وفصاحة اللسان : حيث منح الله تعالى قوة الحجة في المجادلة وفصاحة اللسان في المواجهة . فقد ثبت في البخاري ومسلم حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام وفيه : فقال رسول الله p : " فحجّ آدم موسى مرتين "³ .

3- النسيان وضعف الإرادة : قال تعالى : { وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا }⁴ . يقول سيد قطب : " وعهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة , تمثل المحذور الذي لا بد منه لتربية الإرادة , وتأكيد الشخصية , والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد , فلا تستعبد الرغائب وتقهرها . وهذا هو المقياس الذي لا يخطئ في قياس الرقي البشري "⁵ .

ثانياً : ندم آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة وعصيان الله تعالى :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { وَبَتَّأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا

¹ سورة البقرة : الآية 31 .

² سورة البقرة : الآية 30 .

³ البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب وفاة موسى , وذكره بعد . رقم الحديث (3409) . ج 2 ص 145 .

مسلم : صحيح مسلم . كتاب القدر . باب حجج آدم وموسى عليهما السلام . رقم الحديث (2652) . ج 4 ص 2042 .

⁴ سورة طه : الآية 115 .

⁵ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2353 .

مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ¹

فهذا المشهد يكشف الستار عن أمرين اثنين هما :

الأول : عصيان آدم و لربه عز وجل في أكله من الشجرة : فقد أحلَّ الله تعالى لآدم و زوجته أن يأكلا من أي أشجار الجنة شاءا , بل ومن أي مأكول فيها قال تعالى : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا } ² . وحرّم عليهما شجرة بعينها . نهى أن يأكلا منها بل أن يقتربا منها , لأن " النهي عن الاقتراب أبلغ من النهي عن الأكل " ³ وهذا النهي للتحريم لقرينة { فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } .

ولما كان من ملامح شخصية آدم و النسيان والغفلة , والضعف أمام المغريات , مصداقاً لقوله تعالى : { وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُخِدْ لَهُ . عَزَمًا } ⁴ , فقد استطاع الشيطان أن يوسوس لآدم و زوجته ويغريهما ليأكلا من هذه الشجرة , مستخدماً ثلاثة أساليب هي :

1- القسم واليمين الكاذب : { وَقَاسَمَهُمَا } , والمعنى " حلف لهما بالله " ⁵ . وهذا من أخبث الأساليب للإيقاع والغواية .

2- النصح والإرشاد : { إِنِّي لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ } , والمعنى أن الشيطان " صور نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين " ¹ .

3- التدرج في خطوات الغواية : { فَدَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ } , والمعنى " استنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور " ² . " ومعلوم أن التدلية لا تكون رمياً أو قذفاً , وإنما تكون إرسالاً برفق شيئاً

¹ سورة الأعراف : الآيات 19-23 .

² سورة البقرة : الآية 25 .

³ الميداني : معارج الفكر . ج 4 ص 131 .

⁴ سورة طه : الآية 115 .

⁵ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 3 ص 153 .

¹ ابن القيم , محمد بن أبي بكر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . بلا طبع . بيروت : المكتبة الثقافية . 1989م . ج 1 ص 91 .

² أبو حيان : البحر المحيط . ج 4 ص 280 .

فشيئاً ، وهذه هي وسيلة الشيطان ، إنها قائمة على أسلوب الخطوات المتتابعات تتازلاً إلى الحضيض ، أو إلى الدرك الأسفل من الجحيم " ¹ . ولذا نهى الله تعالى عن إتباع هذه الخطوات الشيطانية قائلاً : { يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } ² .

وهذه الخطوات آنتت أكلها حين أغراها ما بان الأكل من هذه الشجرة سيوصلهما إلى الملك والخلود {إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} ³ . وهذا يدل على أن آدم ؤ وزوجه كان عندهما الرغبة الشديدة في الخلود وأن يكونا ملكين ، " ومعلوم أن شدة الرغبة تتحول إلى هوى ، ومن شأن الهوى أن يغشي على مراكز التفكير الصحيح ، ويجعل الإنسان يتصرف بموجه من رغبات نفسه ، لا بموجه من فكره وعقله وإيمانه ، ومن هنا يسقط المؤمنون في أوحال المعاصي والخطايا " ⁴ .

وفعلأ وقع آدم ؤ في المعصية {وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} ⁵ . وأكل هو وزوجه من الشجرة. ولكن الأكل كان على مرحلتين :

الأولى : التذوق : { فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءٌ لهُمَا } ¹ ، أي " وجدا طعمها " ² .

الثانية : الأكل : { فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاءٌ لهُمَا } ³ .

¹ الميداني : معارج الفكر . ج 4 ص 141 .

² سورة النور : الآية 21 .

³ سورة الأعراف : الآية 20 .

⁴ الميداني : معارج الفكر . ج 4 ص 139 .

⁵ سورة طه : الآية 131 .

¹ سورة الأعراف : الآية 22 .

² أبو حيان : البحر المحيط . ج 4 ص 280 .

³ سورة طه : الآية 131 .

وقد انكشفت سوءاتهما حين ذاقا الشجرة وقبل أن يأكلا ,بدليل قوله تعالى : { فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
بَدَتَا هُمَا سَوْءَٰهُمَا }¹ للتدليل على أن ملامسة المعصية وقبل الانغماس فيها توقع الإنسان في
المحذور والعقوبة , وللتدليل كذلك على أن المعصية قد وقعت , والعقوبة المترتبة عليها قد
حانت . وهي الخروج من الجنة , وذلك أن الله تعالى بيّن لأدم U أنه لن يجوع في الجنة ولن
يعرى قائلاً : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى }² . وما دامت سواته قد انكشفت , فلا مقام له في
الجنة .

وقد عاتب الله تعالى آدم U على هذه المعصية , وعلى عدم التزامه بأمره ونهيهِ , قائلاً: { أَلَمْ
أُهِكُّمَّا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }³ . فربنا سبحانه بيّن
لأدم U , وأعذره بهذا البيان , أن الشيطان عدوٌّ لا يؤمن جانبه , فعليه الحذر منه .

يقول سيد قطب : " وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية وعلى إغفال
النصيحة"⁴ .

الثاني : اعتراف آدم U بالمعصية وندمه عليها : فبعد هذا العتاب الإلهي , يقر آدم U وزوجه
بالذنب والخطيئة , وأنهما ظلما أنفسهما , ويطلبان من الله تعالى المغفرة والرحمة إذ بدونهما
يكونان من الخاسرين { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }⁵ .

وهذا الدعاء يدل على عمق التحسّر والندم من آدم U , وعلى مدى الاستعطاف من الله تعالى
ليغفر هذا الذنب وهذه الزلّة . وهذا الندم نتج عنه أمران :

الأول : غفران الذنب , وقبول التوبة , قال تعالى : { وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ }¹ . وقال تعالى : { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

¹ سورة الأعراف : الآية 22 .

² سورة طه : الآية 118 .

³ سورة الأعراف : الآية 22 .

⁴ قطب : في ظلال القرآن . ج 3 ص 1269 .

⁵ سورة الأعراف : الآية 23 .

{² , " وهذه الكلمات التي تلقاها الرب سبحانه من آدم U هي قوله { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }³ " 4 .

الثاني : الهبوط إلى الأرض , وإنفاذ وعد الله بالخلافة فيها , وإقامة شرعه عليها , وإنزال الهداية إليها , قال تعالى : { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁵ .

وأمام هذه المعصية من آدم U , وهذا الندم والتحسر , وهذه الرحمة والتوبة من الله تعالى , " ينكشف الجانب الآخر من طبيعة هذا الكائن المتفرد .. إنه ينسى ويخطيء . إن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان . إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم .. ولكنه يدرك خطأه , ويعرض زلته , ويندم ويطلب العون من ربه .. إنه يثوب ويتوب , ولا يلج كالشيطان في المعصية , ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية "⁶ .

وفي عصيان أبي البشر آدم U , ثم ندمه واستغفاره , بيان وإيضاح لخصيصة هذا الإنسان , والغرائز والاستعدادات والأحاسيس والمشاعر التي وضعها الله تعالى فيه , " فلا عجب إذا أن نجد آدم U بعد أن يعهد الله إليه أن ينسى , وأن يخور عزمه ويفتر عما عهد الله إليه "⁷ .

وأهم العبر المستفادة من هذا المشهد هي :

1- الكشف عن حقيقة الشيطان , وأنه عدو للإنسان , غايته وهدفه الإيقاع به , وحرف مساره نحو الشر والفساد , والمعصية والفجور . ولذا نبه الله تعالى عباده بعد معصية آدم U بقوله : { يَبْسُفُ عَادِمٌ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِيمَامًا }¹ .

¹ سورة طه : الآيتان 131,132 .

² سورة البقرة : الآية 37 .

³ سورة الأعراف : الآية 23 .

⁴ انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 1 ص 324 . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 1 ص 141 .

⁵ سورة البقرة : الآية 38 .

⁶ قطب : في ظلال القرآن . ج 3 ص 1269 .

⁷ عباس : الفصص القرآني . ص 79 .

2- إن الندم والتحسر والشعور بالذنب واتهام النفس بالتقصير والظلم ، والعزم على تصويب المسيرة ، كلها وسائل وطرق تقرب الإنسان من ربه ، وتمحو عنه السيئات ، وتجبر عنه المعاصي { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }².

3- إن هذا الإنسان ، وهذا الكائن الجديد ، وضع الله تعالى فيه نوازع الخير والشر ، فهما يتصارعان في نفسه وداخله ، فإذا غلب الهوى واستحكم فقد الإنسان أهم عنصر فيه وهو العقل والفكر والإدراك ، وأسلم قياد نفسه للشهوات والشبهات والغرائز المضلة ، مما يسبب له الوقوع في المعاصي والمحرمات . وأما إذا استكانت نفسه لنوازع الخير ، واطمأنت إليه ، كان هذا الإنسان عنصر بناء في الأرض ، وخليفة الله فيها .

المطلب الثاني : مشهد الندم عند موسى عليه السلام

ندم موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه :

تحدثت عن انفعال الغضب عند موسى ﷺ¹ المتمثل بإلقاء الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه. وكان في تصرفه هذا تحت تأثير الغضب الشديد . فقد وصف الله تعالى حالته النفسية بقوله : { غَضِبْنَا أَسْفًا }². لكن في هذا المشهد سنرى انفعالا مغايراً بادياً وظاهراً على موسى ﷺ انه انفعال الندم . ويبدأ مشهد انفعال الندم عند موسى ﷺ من قوله تعالى : {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا

¹ سورة الأعراف : الآية 27 .

² سورة الأعراف : الآية 23.

¹ أنظر صفحة : 79-80 .

² سورة طه : الآية 85 .

تُشْمِتُ بِرَبِّ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا لِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ¹.

ففي هذا المشهد نلمح انفعال الندم , والشعور بالخطأ بادياً على موسى U من خلال دعائه
{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا لِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ}. فحين تبين له أنه تسرع في إلقاء الألواح, وإيذاء أخيه .
شعر بالندم والخطأ تجاه ربه , وتجاه أخيه . فطلب المغفرة والرحمة له ولأخيه . ومن هنا
حصل الندم عنده U . قال أبو حيان : " لما اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله . قالوا:
واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه , وعجلته في إلقاء الألواح . واستغفاره لأخيه فعلته في
الصبر لبني إسرائيل "2 .

والآية {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا لِأَخِي} دالة على وقوع ذنب وخطأ من موسى U . إذ " كيف يلقي الألواح
وفيه المنهج , وكيف يأخذ برأس أخيه هذه الأخذة قبل أن يتبين وجه الحق منه "3 .

والغفران يكون من ذنب أو خطأ أو تقصير . قال ابن منظور : " وأصل الغفر : التغطية
والستر . غفر الله ذنوبه أي سترها . والغفر : الغفران . والغفور والغفار : هما من أبنية
المبالغة . ومعناها السائر لذنوب عباده , المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم "4 . وهذا يقع من
الأنبياء عليهم السلام . ولا يؤثر في عصمتهم , وذلك أنهم معصومون عن كبائر الذنوب وعن
الصغائر الخسيسة , لكنهم غير معصومين عن باقي الصغائر .

ويرى الدكتور الخالدي أن موسى U لم يخطئ , وإنما فعل خلاف الأولى . فيقول : " ودعاؤه
الله لهما بالمغفرة , ليس معناها أنهما ارتكبا ذنبا , وإنما هو ذكر منه الله , وأدب منه مع الله ,
وحاسيته وتحرجه من فعل خلاف الأولى . إنه يستغفر الله مما ظهر عليه من الغضب والانفعال

¹ سورة الأعراف: الآيتان 150,151.

² أبو حيان : البحر المحيط . ج 4 ص 395 .

³ الشعراوي: تفسير الشعراوي . ج 7 ص 4368 .

⁴ ابن منظور : لسان العرب . ج 5 ص 25 .

مع أنه لم يخطئ فيه , وإنما فعل خلاف الأولى , ويستغفر لأخيه من فعله خلاف الأولى مع بقائه مع القوم "1.

وأنا أميل إلى أن موسى U أخطأ وهو في حالة الغضب خطأين : الأول : إلقاء الألواح .
والثاني : جرّ أخيه هارون U من لحيته ورأسه . ثم ندم من هذين الخطأين , واستغفر لنفسه
ولأخيه . وهذا يدل على أمرين اثنين هما :

1- سرعة رجوعه إلى الحق والصواب .

2- عناية الله تعالى بنبيّه موسى U , حيث أرشده إلى التوبة والاستغفار , لأن الله تعالى لا
يقر أنبيائه على خطئهم , وإنما يعجل لهم سبيل التوبة .

المطلب الثالث : مشهد الندم عند نوح عليه السلام

أولاً : ملامح شخصيّة نوح عليه السلام :

نوح U أول الرسل إلى أهل الأرض¹ . وأول أولي العزم منهم² . سمّاه الله عبداً شكوراً³ .
وهو أكثر الرسل مكثاً في قومه يدعوهم إلى الله . حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً⁴ .

¹ الخالدي : مواقف الأنبياء في القرآن . ص272.

¹ لحديث الشفاعة الطويل . وفيه : " فيأتون نوحاً , فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ... " . رواه البخاري : صحيح
البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ** } . [هود : 25] رقم الحديث
(3340) . ج 2 ص 135 .

² لقوله تعالى: { **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** } . [الشورى : 13] .

من أبرز ملامح شخصيته U :

1- الصبر والتحمل في مواجهة الصعاب والمحن والابتلاءات . فقد كان U كالطود الشامخ والجبل الأشم في مواجهته للصعاب والفتن . فلقد ابتلي من قومه , وزوجته , وولده . فقومه واجهوه بشتى صنوف الأذى والاضطهاد . اتهموه بالسفه والضلال , قال تعالى : {قَالَ أَلَمَلَأْ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }³

واتهموه بالجنون, قال تعالى : {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ }⁴ . واتهموه بكثرة الجدل والافتراء على الله تعالى : {قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جِدَلْنَا فَأَكْثَرَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }⁵ . وعلى الرغم من أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً , إلا أنه لم يؤمن منهم إلا القليل , قال تعالى : {وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ }⁶ . ومع كل هذه المحن صبر عليهم . وابتلي بزوجه فقد كانت كافرة, قال تعالى : {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتِ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمَّا دُعِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْعًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ }¹ . وابتلي بولده الذي اختار طريق الكفر على طريق الإيمان , قال تعالى : {وَنَادَى نُوحٌ أُمَّهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ }² . لذا " كان جهاد نوح U , وصبره على إيذاء قومه , بما لا طاقة لأحد على تحمله , ولا قدرة له عليه , فقد كان جهاده جهاد الأبطال , وصبره صبر الجبال , أودي , وعذب , واضطهد , وهو لم يكف عن تبليغ دعوة الله لمدة تقارب ألف عام"³ .

¹ لقوله تعالى : { دُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا } . [الإسراء : 3] .

² لقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا } . [العنكبوت : 14]

³ سورة الأعراف : الآيتان 60, 61 .

⁴ سورة القمر : الآية 9 .

⁵ سورة هود : الآية 32 .

⁶ سورة هود : الآية 40 .

¹ سورة التحريم : الآية 10 .

² سورة هود : الآية 43 .

³ الصابوني: النبوة والأنبياء . ص 138-139 .

2- كان ذا نفسيةً أبيّة ، يأبى الضيم ، والذلّ ، والهوان . فقد كان U يرد عن نفسه وإخوانه سخافاتهم ، قال تعالى : { وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }¹.

3- كان صاحب همّة عالية ، لا تعرف الكلل ولا الملل ، ولا الكسل ولا الفتور . يصل الليل بالنهار في سبيل دعوته ، فقد كان " يعيش لدعوته ، فمن أجلها يواصل الليل والنهار ، والسر مع الإعلان ، ولا يتقاضى على ذلك أجرا ، أو ينتظر مغنما ، أو يطمع في جاه " ². قال تعالى : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٠١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْءَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا }³.

4- " كان حليماً ، واسع الصدر ، محباً لقومه ، لا يعرف الحقد سبيلاً إلى نفسه ، ولا يأبه من استخفاف الناس له ، ولا يقيم للأهواء والأمزجة وزناً " ⁴.

5- كان U أبا حانياً ، ذا قلب شفوق ممزوج بالرحمة والحنان . حزن واغتمّ وتحسّر لغرق ولده . ودعا ربه أن لا يجعله من الكافرين قائلاً : { رَبِّ إِنِّي أُنَبِّئُكَ أَنَّ هَذَا نَارًا وَقَدْ جَاءَ بِهَا نَارًا وَقَدْ جَاءَ بِهَا نَارًا }¹.

ثانياً : ندم نوح عليه السلام على استغفاره لولده الكافر :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { وَتَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ }¹ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْمَعِنِ مَا لَيْسَ لَكَ

¹ سورة هود : الآية 38 .

² زين العابدين : منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله . ج 1 ص 74 .

³ سورة نوح : الآيات 5-8 .

⁴ زين العابدين : منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله . ج 1 ص 74 .

¹ سورة هود : الآية 45 .

بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ¹.

فهذا المشهد يرسم شخصية نوح U الوالد ، والأب ، حيث تتحرك مشاعر وعواطف الأبوة الصادقة بهذا النداء الذي ينم عن مدى الشفقة والرحمة ، والحنان والرفقة . نداء نوح الأب لابنه الكافر العاق {يَبْنَى أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} ². فيرفض هذا العاق إجابة دعوة والده . وتتدخل بينهما موجة عاتية فتغرقه فيكون من المغرقين {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} ³. يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب : "ماذا يكون من أب نحو ابنه من حنو وإشفاق، ومن جزع وحرز . أكثر مما فعل نوح U مع ابنه هذا . لقد هتف به أن يركب السفينة معه ، وذلك حين تفقده فلم يجده بين أهله الراكبين فيها ، ثم لقد برّح به الحزن ، واشتدّ عليه الألم ، بعد أن هلك هذا الابن ، وكان من المغرقين . فجعل نوح U يندب ابنه ، ويطلب من الله تعالى العزاء والسلوان الذي حكاه القرآن بقوله : {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} ⁴. فيهذا القلب الحزين الذي يتمزق أسى وحسرة يناجي نوح ربه . وكأنه يعاتبه ، أو يراجعه فيما قضى به سبحانه في هذا الابن العاق ⁵ .

فنوح U تحركت في نفسه لهفة الوالد المفجوع حين هدأت العاصفة . فقام بمناجاة ربه في ابنه {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} . وقد وعد الله تعالى نوحاً U بنجاة المؤمنين من أهله . إذ إنه أمره بحملهم في السفينة بقوله تعالى : {قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ} ¹.

¹ سورة هود : الآيات 45-47 .

² سورة هود : الآية 42 .

³ سورة هود : الآية 43 .

⁴ سورة هود : الآية 45 .

⁵ الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 12 ص 1144 - 1145 .

¹ سورة هود : الآية 40 .

ويأتي الجواب الإلهي على صورة عتاب {يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} ¹. يقول سيد قطب: "جاء الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد، وفيما يشبه التقرير والتأنيب والتهديد ². فتبين لنوح U أنه تسرع في سؤال الله عز وجل بشأن ولده. فاستحق بذلك العتاب الإلهي، والتأنيب الرباني، بقوله: {إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} ³. وهذه الكلمات تدل على مدى العتاب والتأنيب والتهديد. مما أدى إلى وجود انفعال الخوف عند نوح U. قال محمد سرور زين العابدين: "وترتعد فرائص نوح U من شدة الخوف، وترتجف من لوم الله له. فيتوجه إلى ربه مستغفراً تائباً" ⁴.

بعد هذا العتاب الرباني ينفعل نوح U انفعال ندم، فيشعر بالذنب والخطأ، "ويرتجف نوح U ارتجافة العبد المؤمن. يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجأ إليه، يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته، {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} ⁵ ⁶.

والمتدبر لهذا المشهد يجد أن نوحاً U قد أخطأ في سؤال ربه نجاة ولده، وأنه قد جاوز بذلك حدّه الذي يجب أن يقف عنده. قال الشيخ الخطيب: "ولهذا فقد عرف أن ما كان منه من سؤال عن ابنه، وعن حكمة الله في إغراقه مع المغرقين. هو أمر جاوز به الحد الذي ينبغي أن يقف عنده مع الله عز وجل، فجاء إلى الله تائباً مستغفراً" ¹.

بينما يعتبرها رشيد رضا خطأ في اجتهاد رأي إذ يقول: "إن سؤال نوح U ما سأله لابنه لم يكن معصية لله تعالى خالف فيها أمره أو نهيه، وإنما كانت خطأ في اجتهاد رأي بنية صالحة. وإنما عدها الله سبحانه ذنباً له لأنها كانت دون مقام العلم الصحيح اللائق بمنزلته من ربه. هبطت بضعفه البشري، وما غرس في الفطرة من الرأفة والرحمة بالأولاد إلى اتباع الظن.

¹ سورة هود: الآية 46.

² قطب: في ظلال القرآن. ج 4 ص 1879.

³ سورة هود: الآية 46.

⁴ زين العابدين: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. ج 1 ص 67.

⁵ سورة هود: الآية 47.

⁶ قطب: في ظلال القرآن. ج 4 ص 1880.

¹ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن. ج 12 ص 1149.

ومثل هذا الاجتهاد لم يعصم منه الأنبياء فيقعون فيه أحيانا ليشعروا بحاجتهم إلى تأديب ربهم وتكميله إياهم آنأ بعد آن , بما يصعدون به في معارج العرفان ¹ .

لذا سارع نوح U بالاستغفار , والندم , وإظهار الافتقار إلى الله سبحانه , وأنه سيكون من الخاسرين إن لم تتداركه نعمة الله بالمغفرة . " وهذه التوبة منه U عما وقع منه , وإنما لم يقل أعود بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة , وإظهارا للرغبة والنشاط فيها . وتبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى . وهو أبلغ من أن يقول : أتوب إليك أن أسألك , لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا , لامحيص منه إلا بالعود بالله تعالى . وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك ² .

ومن هداية هذا المشهد أن الندم , والاستغفار , والشعور بالخطأ والتقصير . سبيل إلى المغفرة والتوبة.

المطلب الرابع : مشهد الندم عند يونس عليه السلام

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْنِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ } ¹ .

وفي هذا المشهد نلمح وجود انفعالين حصل لليونس U . انفعال الغضب . حيث غاضب قومه لله , وغاضبوه بعصيانهم له , وإصرارهم على عبادة الأصنام . فقرر تركهم والخروج من

¹ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 12 ص 86 .

² أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 319 .

¹ سورة الأنبياء : الآيتان 87,88 .

عندهم , دون أخذ الإذن من الله سبحانه . وقد تكلمت عن هذا الانفعال في مشهد الغضب عند يونس U¹.

وظن يونس U أن الله تعالى لن يضيق عليه الأرض بعد خروجه عن قومه . "فهى فسيحة والقرى كثيرة , والأقوام متعددة , وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة , فسبوجه الله إلى أقوام آخرين"². قال تعالى : { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ }³. يقول الدكتور فضل عباس : " وإذا كان مثل هذا الظن يمكن أن يقبل من غير أصحاب النفوس الكبيرة الذين لا يعدّون في هذه الحياة ليكونوا مصابيح هداية . فإنه لا يقبل ممن أعدمهم الله تبارك وتعالى ليحملوا رسالته . لذلك كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين . والله سبحانه الحكم العدل يأخذ كل واحد ويحاسبه على قدر ما أنعم عليه . وبمقدار ما مكنه في هذه الحياة"⁴.

ولا يجوز أن يُظن أن يونس U كان يظن بربه عز وجل أنه لا يقدر عليه . إذ " أن هذا الظن لا يجوز بضعيفة من النساء , أو بضعيف من الرجال , إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل . فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم . ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله الذي أرسله بدينه , لا يقدر عليه , وهو يرى أن آدميا مثله يقدر عليه , ولاشك في أن من نسب هذا إلى النبي الفاضل , فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه . فكيف إلى يونس U الذي يقول فيه الرسول p " لا تفضلوني على يونس بن مئى"¹ . فقد بطل ظنهم

¹ انظر صفحة 82 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج4 ص2393 .

³ سورة الأنبياء : الآية 87 .

⁴ عباس : القصص القرآني إجاؤه ونفحاته . ص350 .

¹ رواه البخاري بلفظ "ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن مئى" . انظر : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى : { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } إلى قوله : { وَهُوَ مُلِيمٌ } سورة الصافات : الآيات 139-142 . رقم الحديث (3415) . ج 2 ص 157 .

بلا شك , وضح أن معنى قوله : { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ }¹. أي لا نضيق عليه . كما قال سبحانه : { وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ }² أي ضيق عليه ³.

وبعد خروجه U عن قومه , ساقه القدر إلى مركب في البحر , ليساهم مع ركابه , فتأتي القرعة عليه , ليكون الحوت مأواه فترة من الزمن . قال تعالى : { وَإِنْ يُوشِكُمْ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ }⁴ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٢﴾⁴.

واستقر يونس U في بطن الحوت , وبدأت رحلة الابتلاء والمعاناة , ووجد يونس U نفسه في ظلمات متراكبة " ظلمة الليل , وظلمة البحر , وظلمة بطن الحوت " ⁵.

وكأن يونس U يراجع نفسه وهو في بطن الحوت ما الذي فعله ؟ وما سبب هذه المحنة والمعاناة التي وقع فيها ؟ فيلجأ إلى ربه بالتسبيح { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }⁶. ثم بالإقرار والاعتراف بخطئه وذنبه. وهذا هو الانفعال الثاني وهو انفعال الندم .

إن يونس U قد شعر بالذنب , وشعر أنه قام بفعل قد لا يرضي الله تعالى , وهو الخروج عن قومه دون أخذ الإذن من سيده ومولاه سبحانه . فما كان منه إلا أن دعا ربه باكيا متضرعا قائلا : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }¹. وقوله : { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } إقرار منه U بالذنب وشعور بالندم .

¹ سورة الأنبياء : الآية 87 .

² سورة الفجر : الآية 16 .

³ ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد : الفصل في الملل والأهواء والنحل . 5 مج . تحقيق : د. محمد نصر و د. عبد الرحمن عميرة . بلا طبع . بيروت : دار الجيل . 1985 . ج 4 ص 36 .

⁴ سورة الصافات : الآيات 139-142 .

⁵ القشيري , أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك : لطائف الإشارات . 3 مج . علق عليه : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2000 . ج 2 ص 304 .

⁶ سورة الصافات : الآيتان 143, 144 .

¹ سورة الأنبياء : الآية 87 .

يقول النيسابوري¹: " قول يونس : { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } أي بالفرار من غير إذن , وأنا الآن من التائبين "².

إن يونس U قد علم أن ما أصابه تأديب رباني . ولذا حصل له انفعال الندم , والشعور بالخطأ

والهداية والعبرة التي نستخلصها من ندم يونس U هي:

1- وجوب لوم النفس , والشعور بالتقصير والخطأ , والاعتماد على الله سبحانه وقت المحن والشدائد .

2- إن الأنبياء عليهم السلام " يؤخذون في الدنيا على ما فعلوه , مما يظنونه خيراً وقربة إلى الله عز وجل إذا لم يوافق مراد ربهم . وعلى هذا الوجه أقرّ - يونس - على نفسه بأنه كان من الظالمين . والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . فلما وضع النبي U المغاضبة في غير موضعها , اعترف في ذلك بالظلم , لا على أنه قصده وهو يدري أنه ظلم "³ . وذلك أنه غاضب قومه وأسرع بالخروج من عندهم دون أن يأخذ الإذن من الله تعالى .

المبحث الثالث

القيم الإيجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

من خلال مشاهد الندم عند الأنبياء عليهم السلام , رأينا أن القرآن الكريم قد سير غور نفسياتهم , وتوغل في أعماقها , وكشف مكنوناتها , وأظهر ما تخفي في داخلها , حتى يبين لنا

¹ هو : الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري . نظام الدين . ويقال له الأعرج . مفسر , له اشتغال بالحكمة والرياضيات , أصله من قم , ومنشأه وسكنه في نيسابور . له كتب منها : غرائب القرآن ورغائب الفرقان , ولب التأويل , وشرح الشافية في علم الصرف . توفي سنة 850هـ . انظر . الزركلي : الأعلام . ج 1 ص 216 .

² النيسابوري , الحسن بن محمد القمي : غرائب القرآن ورغائب الفرقان . 12 مج . تحقيق: إبراهيم عطوة عوض . ط: 1 . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباوي الحلبي . 1965 ج 17 ص 57 .

³ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل . ج 4 ص 37 .

"أن في الصورة النفسية وظيفة وعظ وإرشاد واعتبار وتذكير , تتضح معالمها وأبعادها في استخلاص العبر , لما تتضمنه من فوائد كثيرة " ¹ .

ومن هذه القيم والفوائد التي نستخلصها من صورة الأنبياء النفسية في مشاهد الندم والاعتراف بالخطأ هي :

أولاً : ما من شك في أن الندم الذي ينشأ عن شعور الفرد بالذنب , وأسفه ولوم نفسه على ذنب أو خطأ أو تقصير فعله , من العوامل المهمة في تقويم شخصيته , وصقلها , وتهذيبها , ودفعها إلى تجنب الأفعال أو الأمور التي يمكن أن تسبب له الم النفس مستقبلاً .

فالأنبياء عليهم السلام خطوا منهجاً لأتباعهم في صقل شخصياتهم , وتهذيب نفوسهم من خلال ندمهم , وشعورهم بالخطأ , على أفعال ظاهرها المخالفة لأوامر الله تعالى .

فهذا آدم ؑ أول البشر وأبوهم خطّ للبشرية جمعاء ولأبنائه من بعده هذا المنهج , وذلك من خلال لوم نفسه وندمها واتهامها بالظلم حين عصى ربه عز وجل وقال : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ²

وهذا موسى ؑ يخط لبني إسرائيل المنهج الأمثل في تهذيب النفس مما يعلق بها من أدران, وشبهات . فها هو ؑ يجأر أمامهم بكل جرأة وشجاعة { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } ³.

لقد أراد موسى ؑ من خلال هذا أن يعطيهم درساً في تصويب جريمتهم حين عبدوا العجل من دون الله تعالى , ويصقل نفسياتهم التي أشربت الذل والخنوع , وانسأقت كقطعان الإبل وراء شبهات ووساوس السامري الذي طلب منهم الحليّ ليصنع لهم عجلاً يعبدونه من دون الله تعالى

¹ هياجنة , د. محمود سليم محمد : الصورة النفسية في القرآن الكريم . ط : 1 . عمان , اربد : جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ,

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع . 2008 . ص 151 .

² سورة الأعراف : الآية 25 .

³ سورة الأعراف : الآية 151 .

قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا حَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلْمَزُوا أَنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾¹.

لذا فإن الندم يدفع إلى تصويب العمل , وتصحيح المسيرة , وإصلاح السلوك . وبالتالي يدفع إلى الإيجابية دائماً.

ثانياً : لا يختلف اثنان في أن الخطأ أو الذنب طبيعة البشر, كما قال الرسول p : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "². إلا أن الاختلاف يكون في الطريقة التي يمكن أن يسلكها الفرد للتكفير عن ذنبه . وقد رأينا الأنبياء عليهم السلام كيف أوضحوا لنا عملياً السبيل والطريق الأمثل والأقوم لتجاوز مرحلة الذنب أو الخطأ أو التقصير . وهي الشعور بالذنب , والاعتراف به , والتحرر من قيده , ثم العمل على تغيير الواقع الذي يعيشه .

إذ أنه لا يجوز أن يبقى الفرد حبيس ذنبه , ورهين خطأه . ولا يجوز كذلك أن يبالغ في تأنيب نفسه ولومها وتعذيبها , لأن ذلك مدعاة إلى التطرف في الفكر , والشطط في السلوك .

لقد رأينا الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم والذي جاء بعد انفعال الغضب عند موسى U , أو بعد ذنب ومعصية كما حصل لأدم U , أو بعد خطأ في حق الله كما حصل مع نوح ويونس عليهما السلام . رأيناهم ساروا طريقاً وسطاً في معالجة ما فعلوه .

فأدم U تجاوز عن معصيته لربه عز وجل بأن اعترف بها , وندم عليها , وتاب منها وطلب من الله تعالى قبول التوبة , ثم تابع مسيرة الحياة بأن تولّى خلافة الأرض وعمارتها , واكتشاف مكنوناتها .

¹ سورة الأعراف : الآية 148 .

² رواه الترمذي وقال : هذا غريب . وحسنه الألباني . انظر : سنن الترمذي . كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله p . باب ما جاء في صفة أواني الخوض . رقم الحديث (2499) . ص 563 .

وموسى U أراد أن يتجاوز عن الخطأ الذي وقع منه في إلقاء الألواح وإيذاء أخيه بأن ندم على فعله , واستغفر لنفسه ولأخيه . لكنه لم يبق حبيس خطأه , وعتاب نفسه . وإنما تابع مسيرة الدعوة والتغيير , ولم يتوقف لحظة واحدة .

وهذا نوح U ما إن شعر أنه أخطأ وتجاوز الحد المسموح له به , حتى ندم واستغفر, وطلب من الله تعالى الصفح والعفو . لكنه لم يوقف عجلة السفينة التي كان يقودها , ولم تتوقف دعوته.

وهكذا يونس U حين أقر بخطئه وهو في بطن الحوت , واعترف به , بل واتهم نفسه بالظلم حين قال { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }¹, ندم واستغفر , ثم تابع مسيرة جهاده ودعوته , ولم يترك الساحة والميدان للطغاة والطغام .

وعليه فإن الدعوة والإصلاح , والتغيير والتعمير في هذه الأرض , لا يجوز لها أن تتوقف بخطأ يرتكب هنا أو هناك . وإنما يجب معالجة هذا الخطأ أو الذنب بالندم أولاً , ثم بالاستغفار ثانياً , ثم بمتابعة نهج التغيير للأصلح والتعمير في الأرض .

ثالثاً : إن الندم أول مظهر من مظاهر التوبة النصوح , وأول شرط من شروط قبولها " لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة , بمعنى أنه يتحسر على ما سبق منه , وينكسر من أجله , ولا يرى أنه في حلّ منه حتى يتوب منه إلى الله "2 .

والمندبر لحال الأنبياء عليهم السلام , والذين حصل معهم انفعال الندم , من خلال الصورة التي رسمها القرآن الكريم لهم , سيجد حالة التحسر والحزن والأسى بادية عليهم . مما يدل على شفافية أرواحهم ورقّتها , وعظمتها في الاعتراف بالخطأ.

¹ سورة الأنبياء : الآية 87 .

² ابن عثيمين , محمد بن صالح : شرح رياض الصالحين . 4 مج . بلا طبعة . القاهرة : مكتبة الإيمان . بلا تاريخ . ج 1 ص 46 .

فانظر بعين التأمل إلى كلمات نوح U وهو يقول : { قَالَ رَبِّ إِنِّي آغُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ }¹. تجد في ثناياها التحسر والخوف والحزن والندم . وهذا من سبر القرآن غور نفوسهم . وهكذا مع موسى ويونس عليهما السلام

لذا اعتبر الرسول P الندم توبة ، فقد روى ابن ماجة في سننه وصححه الألباني عن ابن معقل قال : دخلت مع أبي على عبد الله فسمعته يقول : قال رسول الله P : " الندم توبة " . فقال له أبي : أنت سمعت النبي يقول : "الندم توبة " ؟ قال : نعم².

قال القشيري³ في رسالته : " قال أرباب الأصول من أهل السنة : لكي تصح التوبة لا بد لها من ثلاثة شروط : الندم على ما عمل من المخالفات ، وترك الزلة في الحال ، والتصميم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي"⁴. وقال ابن القيم : " فأما الندم : فإنه لا تتحقق التوبة إلا به ، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل رضاه به ، والإصرار عليه"⁵.

رابعاً : الندم طريق الخروج من المصائب والهموم ، والآلام والغموم ، ومن كل ضائقة يمكن أن يمر بها المسلم في حياته . فيونس P حين التقمه الحوت " مضيئاً عليه أشد الضيق . فلما كان في الظلمات : ظلمة جوف الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل نادى { لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }⁶ . فاستجاب الله دعاءه ، ونجاه من الغم الذي هو فيه ، ولفظه الحوت

¹ سورة هود : الآية 47 .

² ابن ماجة : سنن ابن ماجة . كتاب الزهد . باب ذكر التوبة . رقم الحديث (4252) . وقال الألباني : صحيح . ص 704 .

³ هو : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري الشافعي . فقيه . مفسر . صوفي صادق . متكلم . حافظ محدث . نحوي أديب . قال فيه البغدادي : كان ثقة ، يقصّ ، وكان حسن الموعظة ، مليح الإشارة . له مصنفات عديدة . من أهمها : لطائف الإشارات في التفسير ، والرسالة القشيرية في علم التصوف . توفي في بغداد سنة 465هـ . انظر . البغدادي ، أحمد بن علي : تاريخ بغداد . 14 مج . بلا طبعة . المدينة المنورة : المكتبة السلفية . بلا تاريخ . ج 11 ص 83 . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج 22 ص 252-255 .

⁴ القشيري ، عبد الكريم بن هوازن : الرسالة القشيرية في علم التصوف . تحقيق : معروف زريق و علي بلطجي . ط : 1 . بيروت : دار الخيز . 1991 . ص 92 . وانظر : النووي ، يحيى بن شرف : رياض الصالحين . حققه : حسان عبد المنان . ط : 3 . عمّان : المكتبة الإسلامية و مكتبة برهومة . 1413هـ . ص 35 .

⁵ الغزّي ، عبد المنعم صالح العلي : تهذيب مدارج السالكين . بلا طبعة . دبي : مكتبة كاظم . بلا تاريخ . ص 123

⁶ سورة الأنبياء : الآية 87 .

على الساحل¹. ثم أنبت الله له شجرة يقطين ليقيه من حرارة الشمس , وليأكل من ثمرها , قال تعالى : {فَتَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ} ². فبعد الغم والهم الذي أصيب به يونس ن , والظلمات التي سكنها , والضيق والشدة التي عصفت به . كان الندم والاعتراف بالخطأ أو الذنب فرجاً له . إذ : 1- نجاه الله من الغم الذي هو فيه . 2- أضاء الله له الدنيا بعد الظلمات حين لفظه الحوت على الساحل . 3- أنبت الله له شجرة يقطين . 4- فتح الله به قلوب أمةٍ بأكملها , قال تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } ³.

لذا فإن المخرج من الفتن والشدائد يكون بالندم , والاعتراف بالذنب . قال ابن كثير : " وقوله تعالى : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } ⁴ أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات , وقوله : { وَكَذَٰلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ } ⁵ أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا , ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء " ⁶.

وقد روى الترمذي في سننه عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : " دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ⁷ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له " ⁸.

¹قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2393 .

² سورة الصافات : الآيتان 146,145 .

³ سورة الصافات : الآيتان 148,147 .

⁴ سورة الأنبياء : الآية 88 .

⁵ سورة الأنبياء : الآية 88 .

⁶ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 587 .

⁷ سورة الأنبياء : الآية 87 .

⁸ الترمذي : سنن الترمذي . كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد . رقم الحديث (3505) .

وقال الألباني : صحيح . ص 795 .

الفصل السادس

انفعال اليأس

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : مفهوم اليأس ودلالاته النفسية

المبحث الثاني : مشهد انفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث : القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم اليأس ودلالاته النفسية

أولاً : اليأس في اللغة والاصطلاح :

يأتي اليأس في اللغة بمعنى القنوط¹ وقطع الرجاء² . ويأتي كذلك بمعنى العلم³ كما يدل عليه قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَأْيَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا }⁴ , أي أفلم يتبين ويعلم⁵ .

أما اصطلاحاً : فلا يختلف معنى اليأس في الاصطلاح عنه في اللغة . فالأصفهاني يعرف اليأس بقوله : " اليأس : انتفاء الطمع"⁶ .

وقد وردت كلمة اليأس ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة⁷. يدور المعنى فيها على القنوط , وقطع الرجاء والأمل .

فعند قول الله تعالى على لسان يعقوب U : {وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }⁸ , قال الإمام القرطبي : " أي لا تقنطوا من فرج الله , وقوله تعالى : { إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } دليل على أن القنوط من الكبائر , وهو اليأس"⁹.

¹ ابن منظور : لسان العرب . ج 6 ص 259 . وانظر . الجوهري : الصحاح . ج 3 ص 992 . الزبيدي : تاج العروس . ج 4 ص 376 . الفيروز آبادي : القاموس المحيطة : ج 2 ص 270 .

² ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 6 ص 153 .

³ المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة . وانظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 6 ص 260 . الرازي : مختار الصحاح . ص 740-741 .

⁴ سورة الرعد : الآية 31 .

⁵ الطبري : جامع البيان : ج 6 ص 4742 .

⁶ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 551 .

⁷ هي : في سورة المائدة : الآية (3) . وسورة هود : الآية (9) . وسورة يوسف : الآيات (80 , 87 , 110) . وسورة الرعد : الآية (31) . وسورة الإسراء : الآية (83) . وسورة العنكبوت : الآية (23) . وسورة فصلت : الآية (49) . وسورة المتحنة : الآية (13) . وسورة الطلاق : الآية (4) .

⁸ سورة يوسف : الآية 87

⁹ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 9 ص 252 .

وعند قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلُ قُنُوطًا }¹, قال أبو حيان²:
" أي فهو يؤوس قنوط . وأتى بهما صيغتي مبالغة . واليأس : من صفة القلب وهو أن يقطع رجاءه من الخير . والقنوط : أن يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل وينكسر . وبدأ بصيغة القلب , لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار " ³.

وإذا تأملنا مشتقات كلمة اليأس , وأمعنا النظر فيها . فسوف نصل إلى أن اليأس نوعان :

الأول : مذموم , وهو القنوط من رحمة الله تعالى . وذمّ لأنه يجرح صاحبه إلى كل شر , بل يجره إلى الكفر والضلال . وإلى العذاب الأليم . لذلك وصف ربنا سبحانه الكفار بقوله : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلَقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ }⁴. ووصف الله القانطين من رحمته بالضالين , فقال سبحانه : {وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ }⁵. وهذا النوع هو الغالب على هذا المصطلح .

الثاني : محمود . وهو اليأس مما في أيدي الناس , وقطع الرجاء والأمل بهم . والاعتماد على الله تعالى وحده , والرجاء مما عنده سبحانه . وهذا مقام من مقامات العبودية لله سبحانه . بل هو من أشرفها . لا يصل إليه العبد إلا بالمجاهدة ورياضة النفس . كحال يعقوب ؑ لما أخبر من أولاده بفقد ولده الثاني , لم يسعه إلا التعلق بحبل الله تعالى قائلاً : {إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }⁶. ثم بين لهم أن الأمل والرجاء بالله وحده دون سواه , قائلاً: }

¹ سورة فصلت : الآية 49 .

² هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الحَيَّانِي الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي . الإمام , العلامة, الثقة , الحجة . يكنى بأبي حَيَّان . قرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث واشتغل به في الأندلس . وقرأ النحو واللغة . بل يعتبر أمير النحاة . له مؤلفات كثيرة , من أشهرها : البحر المحيط , وعقد اللالي في القراءات السبع العوالي , والوهاج في اختصار المنهاج . توفي في مصر سنة 745هـ . انظر : ابن حجر : الدرر الكامنة . ج 4 ص 302-310 . ابن العماد : شذرات الذهب . ج 6 ص 145-147 .

³ أبو حَيَّان, محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط . 7 مج . تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 1993 م . ج 7 ص 482 .

⁴ سورة العنكبوت : الآية 23 .

⁵ سورة الحجر : الآية 56 .

⁶ سورة يوسف : الآية 86 .

يَبَيِّنُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ¹.

ثانياً : اليأس عند علماء النفس :

عرّف الدكتور فهد ناصر المطوّع اليأس بأنه : " مرض نفسي يدفع صاحبه لضيق الصدر
واشتهاء الموت , وتصور كل ما حوله بمنظار أسود قاتم , كما يسبب لصاحبه الانطواء
والانزواء , والابتعاد عن الآخرين , ويكتنفه خوف وقلق وتضجر . كما يتركه ليعيش على
هامش الحياة في تعاسة وشقاء عظيمين . كما يجعله يعاني من تدهور نفسي خطير² .

وقيل هو : " القنوط , وهي حالة مرضية لا تتعارض مع طبيعة الإنسان المحدودة , ولا تُعد
عيباً في تكوينه البشري , ولكنها مع ذلك ظاهرة خطيرة تحجب صاحبها عن الرؤية الصحيحة
للأمور , وتحصره في دائرة مظلمة لا يرى من خلالها إلا كل شر وقبيح³ .

وعلى ضوء ذلك فإن اليأس لا يعد عيباً في أصله , وإنما يمكن أن يتطور ليصبح مرضاً
نفسياً , وانفعالا حاداً يؤدي إلى الإحباط , والضجر , والقنوط , والانتكاس , والانزواء ,
والانطواء مما يفقد الفرد أثره في مجتمعه الخاص , والمجتمع العام .

وهناك عوامل وأسباب لهذا الانفعال من أهمها⁴:

1- المعاملة بقسوة .

2- غرس الخوف في نفس الفرد وانتزاع الشجاعة من قلبه .

¹ سورة يوسف : الآية 87 .

² مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوّع , بعنوان : "اليأس" . انظر :

<http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745>

³ مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : " مقاومة اليأس " . انظر :

<http://www.hawhome.com/vb/t85510.html>

⁴ مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوّع , بعنوان : "اليأس" . انظر :

<http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745>

3- تعرضه لموقف ما يجعله قانطاً يائساً من حياته.

4- خشيتُه من متاعب وهمية أو ضعيفة .

ويمكن إضافة سببين أساسيين آخرين هما :

1- الفشل في تحقيق الهدف .

2- ضغط الواقع سواء كان خاصاً بالفرد كأسرته أو عائلته أو عاماً كمجتمعه أو جماعته.

المبحث الثاني

مشهد انفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

لقد وصف القرآن الكريم انفعالا مشتركا مر به الأنبياء عليهم السلام . يكاد يكون هو الانفعال الوحيد الذي يشترك فيه الأنبياء وهو انفعال اليأس .

يأس الأنبياء عليهم السلام من تأخر نزول النصر :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }¹.

هذا المشهد يكشف عن مدى الضيق والكرب والشدة التي واجهت الأنبياء عليهم السلام . حتى وصلوا إلى حالة اليأس .

وقوله تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ} ، قال الزمخشري : " {حَتَّى} متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام . كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا من النصر"² .

ومعنى {اسْتَيْسَسَ} مبالغة في اليأس³ . ففي هذه الكلمة بيان لمدى اليأس الذي وصلت إليه حالة الأنبياء عليهم السلام . فقطع الرجاء بلغ من الأنبياء مبلغاً كبيراً ، ووقعاً عظيماً . قال الزمخشري عند قوله تعالى : {فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا}⁴ : " ينسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة"⁵ .

¹ سورة يوسف : الآية 110 .

² الزمخشري، محمود بن عمر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . 4مج . حققه: محمد الصادق قمحاوي . بلا طبعة . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى ألبي الخلي وأولاده . 1972م . ج 2 ص 347 .

³ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 6 ص 69 .

⁴ سورة يوسف : الآية 80 .

⁵ الزمخشري : الكشف . ج 2 ص 336 .

أما الشيخ الشعراوي فقد أفاد رحمه الله في توضيح المعنى الدقيق لكلمة {أَسْتَيْسُ} فقد قال "هناك فرق بين {يأس} و{استيأس} , ف{يأس} : تعني قطع الأمل من شيء . و{استيأس} : تعني أنه يلح على قطع الأمل . أي أن الأمل لم ينقطع بعد . ومن قطع الأمل هو من ليس له منفذ إلى الرجاء , ولا ينقطع أمل إنسان إلا إن كان مؤمناً بأسبابه المعزولة عن مسببه الأعلى لكن إذا كان الله قد أعطى له الأسباب , ثم انتهت الأسباب , ولم تصل به إلى نتيجة , فالمؤمن بالله هو من يقول : أنا لا تهمني الأسباب ..."¹ .

وهذا الكلام يؤكد على أن الأنبياء عليهم السلام لم يصلوا إلى اليأس الحقيقي وهو القنوط وحاشاهم أن يصلوا . ولقد توصل الشيخ الميداني إلى هذه الحقيقة من خلال تصريف كلمة

{استيأس} , فقد قال : " صيغة استفعل تأتي للدلالة على معان متعددة , منها صيرورة الشيء مشابها ببعض صفاته للشيء الآخر الذي دل عليه أصل الفعل . مثل استحجر الطين أي : صار في قساوته كالحجر ولم يصر حجرا , واستنوق الجمل أي صار في بعض صفاته كالناقة , ولم يصر ناقة في الحقيقة , واستنسر البغاث أي صار البغاث كالنسر في الاستعلاء , ولم يصر نسرا في الحقيقة "² .

وبناءً على ذلك فالأنبياء عليهم السلام طاقات الصبر عندهم قاربت على الانتهاء . ولم تنته بعد , وذلك لشدة ضغط أتباعهم المؤمنين عليهم باستعجال النصر وإنزال الهلاك والعذاب على المكذابين. لذا يقول الزمخشري : " إن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت . حتى استشعروا القنوط , وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا"³ .

لكن ما سبب هذه الحالة النفسية المتأزمة اليأس التي وصل إليها الأنبياء عليهم السلام ؟ وما هو المؤثر الحقيقي الذي أوصلهم إلى هذه النفسية ؟ .

¹ الشعراوي : تفسير الشعراوي . ج 12 ص 7136-7137 .

² الميداني : معارج الفكر . ج 10 ص 757 .

³ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 347 .

إن المتدبر والمتأمل في هذا المشهد سوف يصل إلى أن السبب في هذه النفسية اليائسة هو :

1- شدة المحن والكروب والأهوال التي تعرضوا لها من أقوامهم .

2- تأخير نصر الله تعالى عنهم . لحكمة يعلمها الله .

3- ضغط المؤمنين من أقوامهم عليهم في استعجال النصر ومحق الكافرين . قال تعالى : { أَمْ

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى

يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }¹.

يقول سيد قطب وهو يصف حالة الأنبياء عليهم السلام : " إنها صورةٌ رهيبية ، ترسم مبلغ الشدة والكرب والضيق في حياة الرسل ، وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود . وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا القليل . وتكرّر الأعوام والباطل في قوتّه ، وكثرة أهله ، والمؤمنون في عدّتهم القليلة ، وقوتهم الضئيلة . إنها ساعاتٌ حرجة ، والباطل ينتفش ويطغى وبيطش ويغدر . والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض ، فتتهجس في خواطرهم الهواجس ... تراهم كذبوا ؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا ؟ وما يقف الرسول هذا الموقف إلا وقد بلغ الكرب والحرج والضيق فوق ما يطيق البشر"².

ثم يصور لنا الأستاذ سيد رحمه الله الحالة النفسية التي يمر بها الرسل . وهول وعظم وحجم الهواجس والكروب التي ترجّ نفسياتهم . يقول : " وما قرأت هذه الآية والآية الأخرى { أَمْ

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى

يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }³ . ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا

وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ ، ومن تصور الهول الكامن

¹ سورة البقرة : الآية 214 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2035 .

³ سورة البقرة : الآية 214 .

في هذه الهواجس , والكرب المزلزل الذي يرجّ نفس الرسول هذه الرجّة , وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات , وما يحس به من ألم لا يطاق "1.

إن الأنبياء عليهم السلام بشر . تصيبهم حالات من الوجوم والكآبة والضيق والشدة . وأحيانا تتأزم نفوسهم . بل قد تخطر في نفوسهم الخواطر .

يقول الشيخ الميداني عند قوله تعالى : {حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ} : " أي حتى إذا صار الرسل واجمين , حيارى , كاليائسين من تحقيق ما أنذروا مجرمي أقوامهم به من عذاب الله , وما طمأنوا به الذين آمنوا بهم من تأييد الله ونصره . ولم يصيروا يائسين حقيقة ... ولكن قد يصلون أمام ضغط أتباعهم المؤمنين بهم إلى حالة من الوجوم والحيرة تشبه حالة اليائسين , وليسوا بيائسين , لكن طاقات الصبر عندهم قاربت على الانتهاء ولم تنته بعد "2.

فما هو اليأس الذي يأسه الأنبياء عليهم السلام ؟ وما هي الحالة النفسية التي وصلوا إليها حتى قال الله فيهم { حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ } .

لقد وصف الشيخ عبد الكريم الخطيب حالة الأنبياء عند هذه الآية بقوله : " وهكذا يظل الرسل في متلاطم الشدائد والمحن , حتى لقد يدخل اليأس عليهم , وتغيم الحياة في أعينهم عليهم طريق النجاة , ويخيل إليهم أن النصر أبعد ما يكون منهم "3 .

ولقد كان نتيجة هذا الانفعال أن الأنبياء عليهم السلام { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا } . فما هذا الظنّ الذي وصل إلى قلوبهم ؟ وما هذا التكذيب الذي اعتراهم ؟ .

¹ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2035 .

² الميداني : معارج الفكر . ج 10 ص 757 .

³ الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 13 ص 60 .

هناك قراءتان متواترتان لهذه الآية . قراءة بالتخفيف وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود والكوفيين . وأخرى بالتشديد وهي قراءة عائشة رضي الله عنها وغير الكوفيين¹ . ولكل قراءة معنى مغاير للآخر .

القراءة الأولى: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } بالتخفيف . روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس τ : " { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا }² .

خفيفة , ذهب بها هناك وتلا { حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ الْآلَ إِنَّا نَصَرُ اللَّهَ قَرِيبٌ }³ فلقبت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك⁴ . قال ابن حجر⁵ : " وزاد الاسماعيلي في رواية : ثم قال ابن عباس : كانوا بشراً ضعفوا وأيسوا وظنوا أنهم قد كذبوا⁶ .

وعلى هذه القراءة فإن الضمير في { كُذِّبُوا } عائذٌ على الرسل . " أي : وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر , وقال : كانوا بشراً , وتلا قوله تعالى : { وَرُزِّلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ }⁷ . وهذه الرواية صحيحة عن ابن عباس . قال ابن حجر وهو يردّ على الزمخشري في تشكيكه بهذه الرواية , وعلى ابن الانباري في جزمه

¹ انظر . ابن الجزري , أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي : النشر في القراءات العشر . 2 مج . أشرف على تصحيحه: علي محمد الصبّاغ . بلا طبعة . بيروت : دار الكتب العلمية . بلا تاريخ . ج 2 ص 296 . القاضي , عبد الفتاح : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة . ط : 1 . بيروت : دار الكتاب العربي . 1981 ص 168 .

² سورة يوسف : الآية 110 .

³ سورة البقرة : الآية 214 .

⁴ البخاري : صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب . { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ } . [البقرة : 214] . رقم الحديث (4524) . ج 2 ص 396 .

⁵ هو : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد الكناي العسقلاني ثم المصري الشافعي . شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه , وحافظ الديار المصرية , بل حافظ الدنيا مطلقا , قاضي القضاة . اشتغل أولا بالشعر والأدب فبلغ الغاية فيهما , ثم طلب الحديث وبرع فيه . له مصنفات كثيرة منها : فتح الباري شرح البخاري , والذي لم يصنف مثله في الأولين ولا في الآخرين , والإصابة في تمييز الصحابة , وتغليق التعليق , وتهذيب التهذيب , وتقريب التهذيب وغيرها . توفي في مصر سنة 852هـ . انظر : السيوطي : طبقات الحفاظ . ص 552 .

⁶ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري . ج 8 ص 368 .

⁷ انظر : الطبري : جامع البيان . ج 6 ص 4661 ورقم الرواية (19814, 19813, 19818) . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 9 ص 276 . القاسمي : محاسن التأويل . ج 9 ص 3614 .

بعدم صحتها : " وعجب لابن الانباري في جزمه بأنه لا يصح , ثم الزمخشري في توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس , فإنه قد صح عنه " ¹ .

وما دامت الرواية ثابتة عن ابن عباس τ وظاهرها يتناقض مع العقيدة والإيمان . فقد تأول العلماء والمفسرون كلام ابن عباس وحملوه على محمل يتوافق مع العقيدة . فمن ذلك قول الزمخشري : " ..فقد أراد ابن عباس بالظن ما يخطر بالبال , ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس . على ما عليه البشرية . وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلاً عن الرسول " ² . وقريب من هذا التأويل حمل الخطابي ³ تفسير ابن عباس للآية قال ابن حجر : " قال الخطابي : لاشك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي ولا يشك في صدق المخبر , فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم , وإبطاء النصر , وشدة استتجاز من وعدوه به , توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حساباً من أنفسهم , وظنوا عليها الغلط في تلقي ما ورد عليهم من ذلك , فيكون الذي بنى له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي , والمراد ب{كُذِبُوا} : الغلط , لا حقيقة الكذب , كما يقول القائل : كذبتك نفسك " ⁴ .

إلا أن ابن حجر ردّ على هذه التأويلات قائلاً : " ولا يظن بابن عباس أنه يجوّز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده , بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله كانوا بشراً ... من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل . وقول الراوي عنه : ذهب بها هناك , أي إلى السماء , معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف , ولا مانع أن يقع

¹ ابن حجر : فتح الباري . ج 8 ص 369 .

² الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 347 .

³ هو : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي . الإمام العلامة , الحافظ اللغوي . صاحب التصانيف الكثيرة , من أشهرها : معالم السنن , وغريب الحديث , وإعجاز القرآن . توفي بيست سنة 388هـ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج 17 ص 23-28 .

⁴ ابن حجر : فتح الباري . ج 8 ص 368 .

ذلك في خواطر بعض الأتباع . ولم يأت عن ابن عباس بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك , ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف.¹

وقال الطبري عن رواية ابن عباس : " وكانوا بشراً قد ظنوا " , ورواية سعيد بن جبير : " نعم الم يكونوا بشراً " : " وهذا تأويلٌ وقول , وغيره من التأويل أولى عندي بالصواب . وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل " ² . ثم ذكر رواية عائشة رضي الله عنها وهي القراءة الثانية للآية .

القراءة الثاني: { وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا } بالتشديد . فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ } قال قلت : أ كذبوا أم كذَّبوا ؟ قالت عائشة : كذَّبوا . قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن . قالت : أجل لعمرى , لقد استيقنوا بذلك . فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا ؟ قالت : معاذ الله , لم تكن الرسل تظن ذلك بربها . قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم , فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر , حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم , وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم , جاءهم نصر الله عند ذلك " ³ .

وعلى هذه القراءة فإن عائشة رضي الله عنها أعادت الضمير في { وَظَنُوا } إلى المرسل إليهم . ويصبح المعنى : إن الرسل حين استيأست من إيمان قومهم , ظنوا أن الذين آمنوا بهم كذبوهم . قال الفخر الرازي : " هذا أحسن الوجوه المذكورة في الآية " ⁴ .

¹ المرجع السابق : ج 8 ص 369 .

² الطبري : جامع البيان . ج 6 ص 4664 .

³ البخاري : صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا } . [البقرة : 214] . رقم الحديث

(4695) . ج 2 ص 444 .

⁴ الرازي : مفاتيح الغيب . ج 9 ص 221 .

ويمكن تلخيص أقوال المفسرين في توجيههم وتفسيرهم لهذه الآية وفق القراءتين المتواترتين بالآتي :

1- معنى الآية على قراءة التخفيف { كُذِّبُوا } أي : ظنّ القوم أن الرسل كذّبواهم فيما أخبروا به من العذاب , ولم يصدقوا . أو ظنّ القوم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من نصرهم .

ومال إلى هذا المعنى جمهور المفسرين¹ . والملاحظ أن جلّ هؤلاء المفسرين من أصحاب التفسير بالمأثور . وذلك لورود كثير من الروايات حول هذا المعنى .

2- معنى الآية على قراءة التشديد { كُذِّبُوا } أي : أيقن الرسل أن أقوامهم كذّبواهم أو حسبوا أن من آمن بهم من قومهم كذّبواهم , لا أن القوم كذبوا , ولكن الأنبياء ظنوا أو حسبوا أنهم يكذبونهم.

وقد مال إلى هذا المعنى الفخر الرازي² , وأبو حيان³ , والشوكاني⁴ .

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن حالة اليأس , والضجر , حصلت للأنبياء ولأقوامهم بحيث أن كلا الطرفين حصل عنده تجاه الآخر بعض الظنون .

فالأنبياء عليهم السلام ظنوا أن أقوامهم كذبواهم , والقوم ظنوا بالأنبياء أنهم كذبواهم فيما وعدواهم سواء بالنصر , أو بهزيمة أعدائهم , وأدى ذلك إلى الظن بالله تعالى من قبل بعض القوم . والذي يدل على هذا القول قوله تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ

¹ انظر : الطبري : جامع البيان . ج 6 ص 4663 . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 9 ص 276 . ابن الجوزي : زاد المسير . ج 4 ص 221 . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 62 . الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن . ج 2 ص 262 .

² الرازي : مفاتيح الغيب . ج 9 ص 232 .

³ أبو حيان : البحر المحيط . ج 5 ص 217, 218 .

⁴ الشوكاني , محمد بن علي : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . 5 مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . ج 3 ص 61 .

خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَأَلَا إِنَّ
نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا¹.

وظني أن سبب هذا الظن المتبادل من كلا الطرفين هو شدة وهول العذاب والاضطهاد ضد الأنبياء وأتباعهم ، وتأخر نزول النصر ، وتحكم الطغاة والجبابة في رقاب العباد . مما سبب حصول اليأس من كلا الطرفين .

وآية يأس الأنبياء ترسم الصورة النفسية للأنبياء عليهم السلام في حالات الشدة وضغط الواقع.

¹ سورة البقرة : الآية 214.

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليه السلام

لقد صور القرآن الكريم نفسية الأنبياء عليهم السلام في مرحلة من مراحل التأزم والاحتقان سواء في علاقاتهم النفسية مع أتباعهم المؤمنين ، أو في علاقاتهم الوجدانية مع خالقهم عز وجل . وذلك من خلال آية اليأس { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }¹. ومن خلال هذه الصورة النفسية للأنبياء عليهم السلام سنستلهم القيم والفوائد التربوية التي تعين المسلم في حمل رسالة الهداية للعالمين، ومنهج التعمير في هذه الأرض . ومن هذه القيم التربوية :

أولاً : لا يضير أتباع الرسل في مرحلة من مراحل سيرهم نحو الهداية والتغيير ، أن تتأزم نفوسهم ، وتضيق صدورهم . سواء من شدة ما يلاقونه من ضررٍ وأذى من أعدائهم ، أو من قلة صبر إخوانهم على مشاق الطريق ، أو من تأخر وعد الله تعالى - لحكمة - في إنجاز مهماتهم وتحقيق رغباتهم وأهدافهم .

وهذا ما نفهمه من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لآية اليأس ، فقد نظر إلى الأنبياء أنهم بشر ، يصيبهم ما يصيب البشر ، ويعتريهم ما يعتري البشر من الضيق والتأزم ، والشدة واستعجال النصر . وهذا كله في مرحلة من مراحل دعوتهم ، وليس كلها . حتى قال : " وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال : وكانوا بشرا "2 . فابن

عباس نظر إلى الجانب البشري من الرسل ، وفسر الآية على ضوء بشرية الأنبياء ، وهذا يدل على عمق التصوير النفسي للأنبياء عند ابن عباس رضي الله عنهما .

فطبيعة البشر أياً كان هؤلاء البشر ، أنبياء مرسلون ، أو أولياء مقربون ، أو مؤمنون سائرون . قد تعتريهم حالة من الضيق والشدة ، أو حالة من الاستعجال وقطف الثمر قبل بدو نضجها .

¹ سورة يوسف : الآية 110 .

² الطبري : جامع البيان . ج 6 ص 4661 .

أي حالة من اليأس بفهم ابن عباس رضي الله عنهما . والتعبير القرآني يشير إلى ذلك { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }¹.

فالضيق والشدة , واليأس والضراء . وصلت إلى مستوى بحيث زلزلت الأنبياء وأتباعهم حتى اضطرتهم إلى استعجال نصر الله .

فإذا كان الأنبياء عليهم السلام وحواريهم وصلت نفسياتهم إلى هذا الحد . فلا ينبغي اتهام أتباع الأنبياء أو المؤمنين في أي زمان أو مكان بأنهم يائسون أو قانطون من رحمة الله تعالى.

ثانياً : قرن الله النصر باليأس , والغلبة بعدم التعلق بالكلية بأسبابه الظاهرة . كي يعلم أصحاب الدعوات الصادقة أن دعواتهم لا بد أن تمر بالشدائد والكروب , والضيق والأذى . فلا يصلون إلى اليأس إلا بعد شدة وضيق , وكربات وأذى . وهذا يبشّر بالنصر .

والعلة في اقتران النصر باليأس " كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً . فلو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئاً . أو تكلفه القليل . ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً . فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج . ينبغي صيانتها وحرصاتها من الأدعياء . والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة , فإذا ادّعوا عجزوا عن حملها وطرحوها , وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون الذين لا يتخلفون عن دعوة الله , ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة"² .

فهذه إذناً سنة الله في الدعوات . لا بد من شدائد ومحن , وكروب وأذى , وضيق في الصدر وفتنة في الأموال والأنفس والثمرات , قال تعالى : { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }³ . فهذه ضريبة النصر الموعود والغلبة المنشودة .

¹ سورة البقرة : الآية 214 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2036 .

³ سورة العنكبوت : الآية 2 .

ثالثاً : على الرغم من حالة اليأس التي مر بها الأنبياء عليهم السلام , لم تتوقف منهم عجلة الدعوة إلى الله تعالى , ولم يعكفوا في ديارهم أو ينزوا بها ويتركوا الساحة والميدان للمفسدين والعاثين , أو للطغاة والطغام . بل استمروا في جهدهم وجهادهم , وعطائهم ودعوتهم . مجابهين ومتحدين كل الصعاب . فالشدة واليأس والمحن لم تقدهم عن واجبههم ووظيفتهم . وهذا يدل على أن اليأس حالة نفسية قد تمر بالإنسان نبي أو غير نبي تمر به كطائف يجول في خاطره فترة من الزمن قصيرة , ويتجاوزها بهمة وعزيمة وإرادة . متغلباً بذلك على عواطفه ومشاعره . أما إذا استحكمت في نفسه , وأخذ أو ركن إليها , وانزوى بعيداً عن مسرح الحياة والأحداث . يائساً متضجراً , ضائقاً صدره , ونفسيته متردية . فهذا هو المرض النفسي الذي حذر منه علماء الشرع والنفس .

إن اليأس يصبح ظاهرة سلبية إن أهدت الإنسان عن وظيفته في تعمير الأرض وخلافتها وتحقيق أهدافه وطموحاته , بل وتحقيق النجاح الذي رسمه لنفسه في هذا الوجود .

ويصبح اليأس ظاهرة سلبية إن كان سبباً في قطع الصلة بالله . وانعدام الثقة بنصره وتوفيقه .

ويصبح ظاهرة سلبية إن جعل الإنسان ينزوي بنفسه بعيداً عن أصدقائه وخلّانه ورفاق دربه . لأن الإنسان لا يعيش بمفرده , ولا يقيم حضارة وحده , بل لابد من تضافر الجهود , والتعاون على النهوض بالمجتمع والأمة , قال تعالى : {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ¹ .

رابعاً : إن على المصلحين والدعاة والمربين أن لا يفقدوا ضغط الواقع الذي يعيشونه , أو عدم الاستجابة المرغوبة لهم من الناس , أو عدم تحقيقهم للنجاح الذي خطّوا للوصول إليه . أن لا يفقدوا ذلك الأمل " من صلاح النفوس واستجابة القلوب , مهما واجهوا من إنكار وتعذيب , ومن

¹ سورة المائدة : الآية 2 .

عتوّ وجحود , فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب , فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة...
ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصاد القلوب "1 .

إن الأمل يجب أن يكون السلاح الذي يتسلّح به المصلحون في مواجهة اليأس والإحباط
والقنوط , وحالات الصدّ والتمرد والشرود . ولقد سلك الأنبياء عليهم السلام هذا المسلك
والطريق في مواجهة عناد أقوامهم واستعجال أتباعهم .

¹ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 2394 .

الفصل السابع

انفعاليّ التّبسم والعبوس

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التّبسم ودلالاته النفسية

المبحث الثاني : مشهد التّبسم عند سليمان عليه السلام

المبحث الثالث : مفهوم العبوس ودلالاته النفسية

المبحث الرابع : مشهد العبوس عند محمد عليه الصلاة والسلام

المبحث الأول

مفهوم التبسم ودلالاته النفسية

أولاً : التبسم في اللغة والاصطلاح :

قال ابن فارس : " الباء , والسين , والميم , أصل واحد , وهو : إيداء مقدم الفم لمسرة وهو دون الضحك " ¹ . واعتبر الزمخشري التبسم أول مراتب الضحك فقال : " وأول مراتب الضحك التبسم " ² . ويرى ابن منظور أن التبسم هو : " أقل الضحك وأحسنه " ³ .

وأما اصطلاحاً : فلا يخرج المعنى الاصطلاحي للتبسم عن معناه في اللغة . ولم ترد كلمة التبسم أو مشتقاتها في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى : { فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا } ⁴ . قال القرطبي : " تبسم مقدار الضحك , لأن الضحك يستغرق التبسم , والتبسم دون الضحك وهو أوله " ⁵ . وقال الميداني : " التبسم من درجات الضحك الخفيفة الذي لا يكون مصحوباً بصوت . وهو من آداب الكبراء والعقلاء الرازنين , الذين لا تستخفهم السارات والمعجبات . بل يعبرون عن سرورهم وإعجابهم بالتبسم " ⁶ .

ثانياً : التبسم عند علماء النفس :

" تعتبر الابتسامة إحدى لغات الجسد , ووسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي لدى الكائن البشري , كما أنها سلوك معقد , وتحتوي على أنواع ومعان , وهناك طائفة كبيرة من المشاعر والأحاسيس تعبر عنها الابتسامة " ⁷

¹ ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 1 ص 249 . وانظر : الجوهري : الصحاح . ج 5 ص 1872 .

² الزمخشري : أساس البلاغة . ص 22 .

³ انظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 12 ص 50 .

⁴ سورة النمل : الآية 19 .

⁵ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 13 ص 175 .

⁶ الميداني : معارج الفكر . ج 9 ص 66 .

⁷ مقال على الإنترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : الابتسامة " ألوان وأنواع ومعان " . انظر :

<http://arb2.maktoob.com/vb/arb181605>

المبحث الثاني

مشهد التبسم عند سليمان عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال التبسم مرة واحدة ، وفي مشهد واحد ، ولنبي واحد هو سليمان عليه السلام .

تبسم سليمان عليه السلام من كلام النملة :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾ } حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }¹.

ففي هذا المشهد يصف المولى عز وجل انفعال التبسم عند سليمان U ، وسبب هذا الانفعال ونتيجته. يقول سيد قطب : " لقد سار الموكب ، موكب سليمان U من الجن والإنس والطير . في ترتيب ونظام ، يجمع آخره على أوله ، وتضم صفوفه ، وتتلاءم خطاه ،

حتى إذا أتوا على واد كثير النمل ، حتى لقد أضافه التعبير إلى النمل فسمّاه (وادي النمل) قالت نملة . لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي ، قالت للنمل { ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }².

فهذه الكلمات من هذه النملة الصغيرة ، والتي لا تكاد ترى بالعين المجردة . هزّت سليمان U ، وانفعل معها ، ووصلت إلى فؤاده ، وانعكست على وجهه ومحيّاه ، تبسماً وضحكاً وحبوراً { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا }³.

¹ سورة النمل : الآيات . 17-19 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 5 ص 2636 .

³ سورة النمل : الآية 19 .

يقول الشيخ الميداني : " وقد أبان هذا النص أن سليمان ضحك من درجة التبسم , فلم يكن ضحكه مصحوباً بصوت قهقهة "1.

وهذا المشهد يكشف الستار عن مقدار الانفعال الذي حصل لسليمان U , فلم يكتف النص القرآني بالتبسم , بل أضاف إليه الضحك . والسر في ذلك كما يقول أبو حيان هو أنه : " لما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون : تبسم تبسم الغضبان , وتبسم تبسم المستهزئ. وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح أتى بقوله : { ضَاحِكًا } "2.

ويزيد الشيخ الميداني الأمر وضوحاً بقوله : " الضحك : انفراج الشفتين عما في داخل الفم. وله درجات بعضها أشد من بعض , وقد يكون مصحوباً بصوت خفيف أو شديد , ويثير الضحك سروراً أو إعجاباً أو استهزاءً وسخريةً أو غير ذلك . ولما كان انفراج الشفتين عما في داخل الفم قد لا يكون تبسماً من ضحك مسرةٍ أو إعجاب . جاءت كلمة { ضَاحِكًا } قيلاً لازماً. فهي حال كاشفة للمراد بالتبسم , أي : هو تبسم من الضحك "3.

وسليمان U حين انفعل تبسماً ضاحكاً " لم يخرج عن الأدب الكامل والتعجب في موضعه... فإن القهقهة تدل على خفة العقل , وسوء الأدب . وعدم التبسم والعجب , مما يتعجب منه , يدل على شراسة الخلق والجبروت . والرسول منزهون عن ذلك "4.

وأما سبب هذا الانفعال فيوضحه الإمام النسفي بقوله : " فإن قلت ما كان سبب ضحك سليمان U . قلت : شيئان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده , وشفقتهم وذلك قولها { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } يعني أنهم لو شعروا ما يفعلون . والثاني : سروره بما آتاه الله مما لم

1 الميداني : معارج الفكر . ج 9 ص 66 .

2 أبو حيان : البحر المحيط . ج 7 ص 61 .

3 الميداني : معارج الفكر . ج 9 ص 66 .

4 السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 2 ص 827 .

5 هو : عبد الله بن أحمد بن محمد حافظ الدين النسفي : فقيه حنفي , مفسر , أصولي . له مؤلفات كثيرة في علوم الشريعة المختلفة من أهمها : مدارك التنزيل , في التفسير , والكافي في شرح الواقي , في الفقه , والمنار , في أصول الفقه وغيرها . توفي سنة 710 هـ . انظر : طاش كبرى زاده , أحمد بن مصطفى : مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . 4 مج . مراجعة وتحقيق : كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور . بلا طبعة . القاهرة : دار الكتب الحديثة . بلا تاريخ . ج 2 ص 188 .

يؤت أحداً عن إدراك سمعه ما قالته النملة , وقيل إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك"¹. وقيل إن سبب هذا الانفعال هو " أنه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغاً عرفه النمل . وقيل تبسم من حذرها"² .

وأما نتيجة هذا الانفعال فقد تمثل بالآتي :

أولاً : أن سليمان ص حد بركبه عن وادي النمل " وهو يضع ابتسامه على فمه , ويرسل ضحكة رقيقة واعية من صدره"³.

ثانياً : دعا ربه عز وجل بدعوات مباركات طالباً منه سبحانه ثلاثة أشياء⁴ :

1- أن يلهمه الله ويوفقه الشكر على نعمه , التي أنعمها عليه , وعلى والديه , سيما نعمة الإسلام التي هي فوق كل نعمة . قائلًا : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ }⁵ .

2- أن يلهمه ويوفقه للعمل الصالح , المرضيَّ عنده سبحانه . قائلًا : { وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ }⁶ .

3- طلب من الله تعالى حسن العاقبة والخاتمة , لأن الصالح من عباده , من هو مختوم له بالسعادة . قائلًا : { وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }⁷ .

¹ النسفي , أبو البركات عبد الله بن أحمد : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . 2مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج 3 ص 379 .

² الطبرسي , الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن . 6مج . بلا طبعة . بيروت : دار مكتبة الحياة . 1961 . ج 5 ص 208 .

³ الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 10 ص 230 .

⁴ الأيديني , محمد بن عالم : تفسير الدعوات المباركات من القرآن العظيم . حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني . ط : 1 . دمشق : دار القلم . 1985 . ص 47 .

⁵ سورة النمل : الآية 19 .

⁶ سورة النمل : الآية 19 .

⁷ سورة النمل : الآية 19 .

وأى افتقار وذل أكبر من هذا الافتقار إلى الله تعالى , ومن هو الصالح في زمانه إذا لم يكن سليمان ٧ على قمة الصالحين , ولكن هذه الأدعية تكشف عن عظيم نفسيّة سليمان ٧ . وأن نعمة تسخير الجن والإنس والطير له لا تزيده إلا تواضعاً وذلاًّ لله سبحانه .

المبحث الثالث

مفهوم العبوس ودلالاته النفسية

أولاً : العبوس في اللغة والاصطلاح :

يدور المعنى اللغوي للعبوس على معنيين رئيسيين هما :

1- التكره والغضب من الشيء . قال ابن فارس : " والعين , والباء , والسين , أصل صحيح يدل على تكرهه في شيء . وأصله العبس وهو : ما يبس على هلب الذنب من بعير وغيره . ثم اشتق من هذا اليوم العبوس وهو : الشديد الكريه . واشتق منه عيس الرجل يعبس عبساً وهو عابس الوجه : غضبان " ¹ .

2- قَطَّب ما بين عينيه وتجهّم . قال ابن منظور : " عبس يعبس عبساً وعبّس : قَطَّب ما بين عينيه " ² . وفي المعجم الوسيط : " عيس فلان عبساً وعبوساً : جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهّم " ³ . وهذا المعنى ناتج عن المعنى الأول .

وأما اصطلاحاً : فلا يختلف معنى العبوس في الاصطلاح عن معناه في اللغة . فقد قال الأصفهاني : " العبوس : قطوب الوجه من ضيق الصدر . قال تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ⁴ . وقال تعالى : {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} ⁵ " ⁶ .

¹ ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 4 ص 210-211 .

² ابن منظور : لسان العرب . ج 6 ص 128 . وانظر . الجوهري : الصحاح . ج 3 ص 945 . الزبيدي : تاج العروس : ج 4 ص 183 .

³ مصطفى : المعجم الوسيط . ص 580 .

⁴ سورة عبس : الآية 1 .

⁵ سورة المدثر : الآية 22 .

⁶ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 323 .

ثانياً : العبوس عند علماء النفس :

لم يضع علماء النفس تعريفاً محدداً للعبوس , وذلك أنه لا يخرج عن تعريفه في اللغة , لكن الكاتبة فاطمة الشامسي قالت : إن الإنسان حين يقطب وجهه ويعبس يحس في داخله بالبوؤس والشقاء¹ إلا أن هذا الأمر بعيد عن الأنبياء , وقد يحس النبي بالضيق .

¹ مقال على الانترنت للكاتبة: فاطمة الشامسي بعنوان: "الابتسامة اشراقه تعطر الحياة". انظر :

<http://www.albayan.co.ae/albayan/2002/03/26/mnw/4.htm>

المبحث الرابع

مشهد العبوس عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

لم يذكر القرآن الكريم حصول انفعال العبوس إلا لاثنتين فقط هما : الأول : نبينا محمد ρ عند قوله تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ¹. الثاني : الوليد بن المغيرة ². عند قوله تعالى : {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} ³. والذي يعنينا في هذا البحث هو نبينا محمد ρ .

العبوس في وجه العمى :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ¹ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿١﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٢﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٣﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَى ﴿٤﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٥﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٦﴾ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٧﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٨﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿٩﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١٠﴾ ⁴ .

فهذا المشهد كشف الستار عن الأمور التالية :

1- حصول انفعال العبوس للنبي محمد ρ .

2- السبب المباشر الذي أدى إلى حصول هذا الانفعال .

3- سلبية هذا الانفعال من خلال العتاب الإلهي للنبي محمد ρ .

ذكر الرازي أن المفسرين قد أجمعوا على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ρ ⁵ .

وعبوسه ρ كان تارة بإرادته , وأخرى بغير إرادته . قال الشيخ الميداني : " تقول لغة : عبس الرجل إذا كبح وجهه وتقبض عن كراهية واستياء . وتقول أيضا : عبس الرجل وجهه إذا جعله

¹ سورة عبس : الآية 1 .

² انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 7 ص 158 .

³ سورة المدثر : الآية 22 .

⁴ سورة عبس : الآيات 1-11 .

⁵ الرازي : مفاتيح الغيب . ج 16 ص 56 . وانظر : النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان . ج 30 ص 27 .

بإرادته متقبضاً عن تكرّره واستيائه . فالفعل يأتي لازماً ومتعدياً , ويمكن حمل ما جاء في الآية على الأمرين كليهما , فوجه الرسول p عبس بحركة غير إرادية , ثم عبس الرسول p وجهه بحركة إرادية ¹ .

ويبدو أن انفعال العبوس قد وصل إلى مرحلة متقدمة في نفس الرسول p . وذلك أن النص القرآني أتبع العبوس بالتولّى . فقال: {وَتَوَلَّى} , ولم يكتف ب{عَبَسَ} ليدل على أن هذا الانفعال أخذ مداه من الضجر والضييق في نفس الرسول p وحركة جسمه .

فمعنى قوله: {وَتَوَلَّى} أي أعرض بوجهه ² . إلا أن التولّى " قد يكون بالجسم ...³ . وقد حمل السعدي التولي على المعنى الثاني قائلاً : " عبس أي في وجهه . وتولى أي في بدنه " ⁴ . وقال الميداني : " تولّى : أي أدار ظهره مدبراً . وشرح بعض المفسرين كلمة تولّى بأعرض فيه تسمح لغوي ⁵ .

وأنا أميل إلى هذا التأويل لكلمة تولّى , وذلك أن سياق سبب نزول سورة عبس دلّت على أن الرسول p عبس , وأدار ظهره ووجهه . فهما مرتبطان كارتباط الضحك بالابتسام .

وأما المسبب الحقيقي لهذا الانفعال فهو الرجل الأعمى (ابن أم مكتوم) ⁶ . قال الرازي : " وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم " ⁷ .

¹ الميداني : معارج التفكير . ج 2 ص 217 .

² القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 19 ص 211 . وانظر . ابن الجوزي : زاد المسير . ج 8 ص 180 .

³ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 540 .

⁴ السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 2 ص 1269 .

⁵ الميداني : معارج التفكير . ج 2 ص 218 .

⁶ هو : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم , ويقال اسمه عبد الله . صحابي شجاع , كان ضريح البصر , أسلم قديماً بمكة . وكان من المهاجرين الأولين , حيث قدم المدينة قبل قدوم الرسول p إليها . كان الرسول p يستخلفه على المدينة في عامّة غزواته يصلي بالناس . وقد شهد القادسية وقاتل فيها , ورجع إلى المدينة ومات فيها . انظر . ابن حجر , أحمد بن علي : الإصابة في تمييز الصحابة .

⁴ مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . بلا تاريخ . ج 2 ص 523 .

⁷ الرازي : مفاتيح الغيب . ج 16 ص 56 . وانظر : الصوّاف , محمد محمود : فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان .

ط : 1 . جدّة : دار العلم للطباعة والنشر . 1985 . ص 109

وأما قصة مناسبة حصول هذا الانفعال فهي : ما رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أنزل {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ¹ في ابن أم مكتوم الأعمى , أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني , وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول : " أتري بما أقول بأسا ؟" فيقول : لا ففي هذا أنزل ².

لقد كان رسول الله ﷺ مشغولاً بدعوة هذا الرجل العظيم من المشركين , واضعاً جل اهتمامه عليه , حريصاً على إدخاله الإسلام , لأن في ذلك فتحاً لهذا الدين , واختراقاً لحصون المشركين. فيأتي ابن أم مكتوم في هذه اللحظة الحاسمة , وهذه الساعة المصيرية . جاء يطلب من الرسول ﷺ أن يرشده . فتخطر في نفس الرسول ﷺ الخواطر والظنون أن هذا التابع المسلم - ابن أم مكتوم - يريد الاستمتاع بمحادثة الرسول ﷺ ومجالسته . دون حاجة داعية أو ملحة إليه. فيعبس النبي ﷺ , ويقطب وجهه , ويعرض ويتولى , ويدير ظهره عن ابن أم مكتوم . ليتابع دعوته لهذا المشرك .

وأمام هذا الموقف من الرسول ﷺ يأتي العتاب الإلهي بقوله : { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي } ³ أو يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ³. " وهذه أول مرة ينزل فيها قرآن فيه عتاب للنبي ﷺ . وروح الآيات ومضمونها يلهمان أن العتاب إنما كان على مخالفة النبي لما هو الأولى . فالنبي ﷺ كان في موقف المجتهد فيما رآه الأولى , والمستغرق في دعوته ونشرها , والحرص على النجاح فيها. وليس في موقف الممتنع عن تعليم الأعمى وتتويره . وليس في هذا شيء يناقض العصمة النبوية ⁴ .

¹ سورة عبس : الآية 1.

² الترمذي : سنن الترمذي . كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ . باب ومن سورة عبس . رقم الحديث (3331) وصحح إسناده الألباني . ص 755-756 . الحاكم : المستدرک علی الصحیحین . وقال : صحیح علی شرط الشيخین ولم یخرجاه . ووافقه الذهبي في الذيل . ج 2 ص 514 .

³ سورة عبس : الآيتان 3,4 .

⁴ دروزة , محمد عزة : التفسير الحديث . 3 مج . بلا طبعة . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . 1962 . ج 1 ص 235 .

وهناك عتاب آخر نستلهمه من خلال أسلوب الخطاب الإلهي للنبي ρ . " فتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى نبيه ρ أولاً بضمير الغائب {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ¹, فيه عتب وفيه إعراض " ².

وقال الميداني عند قوله تعالى: { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي } ³ أو { أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } ³ : " في هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب , فبعد أن كان الكلام بأسلوب الحديث عن الغائب , لتقديم لمسة تربوية ضاغطة , التفت النص إلى أسلوب المواجهة بكاف خطاب الحاضر , لبيان العناصر التي اقتضت تربية الله لرسوله بالعتاب , وبالكلام عنه بأسلوب الحديث عن الغائب .

ففي الحديث عن الرسول بأسلوب ضمير الغائب عتاب على ظاهرة السلوك بالعبوس والتولي , وفي مواجهة الرسول بكاف الخطاب المباشر مراعاة لمقتضى العتاب على الدافع النفسي لما كان من الرسول من سلوك ظاهر . إن قول الله تعالى لرسول الله ρ : { وَمَا يُدْرِيكَ } موجّه لخواطر وظنون نفسية كانت هي الدافع لعبوسه وتوليه عن المسلم الأعمى ⁴.

وما دام هناك عتاب من الله تعالى . فإن انفعال العبوس الذي حصل للرسول ρ لم يكن محموداً , إذ لو كان محموداً لما نزل العتاب .

العبر المستفادة من هذا المشهد :

أولاً : " بيان مقام النبي ρ وأنه أشرف مقام وأسماء , دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه , ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة فيخاطبه { وَمَا يُدْرِيكَ } ⁵ .

ثانياً : " ليس من الأدب الإسلامي أن نواجه العميان بما يكرهون من أعمال وحركات لو كانوا مبصرين لرأوها " ⁶ .

¹ سورة عبس : الآية 1 .

² الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 30 ص 1449 .

³ سورة عبس : الآيتان 3, 4 .

⁴ الميداني : معارج الفكر . ج 2 ص 218 .

⁵ الجزائري : أيسر التفاسير . ج 4 ص 622 .

⁶ الميداني : معارج الفكر . ج 2 ص 217 .

ثالثاً : كان للعتاب الإلهي أثره البالغ في نفسية الرسول ρ , وكذلك على تعامله مع أتباعه ومنهم عبد الله بن أم مكتوم , يقول سيد قطب : " ولقد انفعلت نفس الرسول ρ لهذا التوجيه , ولذلك العتاب , انفعلت بقوة وحرارة , واندفعت إلى إقرار هذه الحقيقة في حياته كلها وفي حياة الجماعة المسلمة ... كان رسول الله ρ بعد هذا العتاب يهش لابن أم مكتوم ويرعاه ويقول له كلما لقيه : " أهلاً بمن عاتبني فيه ربي " ¹ ² . وكذلك كان ρ لا يلقى أحداً من أصحابه أو يلقونه إلا مبتسماً , من ذلك ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن الحارث قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ρ ³ .

رابعاً : وضع هذا المشهد للمسلم ميزاناً يزن به الناس , وهذا الميزان لا يستند إلى موروثات الناس أو موازينهم ومقاييسهم , وإنما يستند إلى ميزان السماء , يقول سيد قطب : " إن الميزان الذي أنزل الله للناس مع الرسل ليزنوا به القيم كلها هو {إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنَكُمُ} ⁴ . هذه هي القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس أو يشيل , وهي قيمة سماوية بحتة , لا علاقة لها بمواصفات الأرض وملابساتها إطلاقاً ⁵ .

¹ لم أجد هذه الرواية في كتب الحديث , وإنما الرواية التي ذكرها الطبري في تفسيره هي : " ... فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ρ وكلمه وقال له : " ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ وإذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة في شيء " . انظر : الطبري : جامع البيان . ج 10 ص . وقد حكم ابن كثير على رواية الطبري بالنكارة والغرابة وقال : " وقد تكلم في إسناده " . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 7 ص 212-213 .

² قطب : في ظلال القرآن . ج 6 ص 3826-3827 .

³ الترمذي : سنن الترمذي . كتاب المناقب . باب في بشاشة النبي ρ . وقال : حديث حسن غريب . وقال الألباني : صحيح . رقم الحديث (3641) . ص 728 .

⁴ سورة الحجرات : الآية 13 .

⁵ قطب : في ظلال القرآن . ج 6 ص 3823 .

الفصل الثامن

انفعال الحزن

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الحزن ودلالاته النفسية

المبحث الثاني : مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث : القيم الإيجابية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الحزن ودلالاته النفسية

أولاً : الحزن في اللغة والاصطلاح :

اتفقت معاجم اللغة على أن الحزن هو : نقيض الفرح , وخلاف السرور¹ . ويأتي بمعنى : الهم² , وذلك أن الحزن غالباً ما يقترن بالهمّ والغمّ . كما يأتي بمعنى : خشونة الشيء . قال ابن فارس : " الحاء والزاي والنون , أصل واحد , وهو خشونة الشيء وشدة فيه"³ . وهذه الخشونة والشدة تحصل في النفس بسبب الهمّ والغمّ . قال تعالى : { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ }⁴ , أي الغمّ⁵ .

أما اصطلاحاً : فقد تركّزت تعريفات العلماء للحزن على الجانب النفسي منه , وليس على آثاره الظاهرة فقط . قال رشيد رضا : " الحزن : هو ضرب من آلام النفس يجده الإنسان عند فوت ما يحب"⁶ . وعرفه النسفي بأنه : " ألم القلب بفراق المحبوب"⁷ . وعرفه رشيد رضا بتعريف جامع فقال : " الحزن : ألم يلّم بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب أو حدوث مكروه"⁸ .

¹ انظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 13 ص 111 . الجوهري : الصحاح . ج 5 ص 2098 . الرازي : مختار الصحاح . ص 134 . الزبيدي : تاج العروس . ج 9 ص 174 .
² انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط . ج 4 ص 215 . البستاني : قطر المحيط . ج 1 ص 396 .
³ ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 2 ص 54 .
⁴ سورة فاطر : الآية 34 .
⁵ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 123 .
⁶ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 6 ص 387 .
⁷ النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . ج 3 ص 7 . وانظر : أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 370 . الطبرسي : مجمع البيان . ج 4 ص 23 .
⁸ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 7 ص 371 . وانظر : الزحيلي : التفسير المنير . ج 7 ص 182 . الميداني : معارج التفكير . ج 10 ص 723 .

ثانياً : الحزن عند علماء النفس :

عرّف الدكتور محمد عبد العليم الحزن بأنه : " مشاعرٌ عاطفيةٌ لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى , وأنه رد فعل لظرف سلبي " ¹ .

وأحياناً يطلق علماء النفس الاكتئاب على الحزن ² . ومعلوم أن الاكتئاب انفعال يختلف عن الحزن , لكن قد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن .

وقد فرق الدكتور محمد عبد العليم بين الاكتئاب وبين الحزن بأن الاكتئاب : " جملة من الأعراض التي تفقد الإنسان فعاليته , وتؤثر سلباً على عواطفه وتفكيره وتواصله , وحتى قيمته كإنسان " ³ .

وحيث إن الحزن انفعال اعتيادي في حياة الفرد بشكل عام , بل وانفعال واقعي متعدد الأسباب , رأينا أن علماء النفس لم يتعمقوا في تعريفه أو توصيفه كما فعلوا مثلاً مع انفعال الخوف أو الغضب أو القلق .

ومن أهم مسببات الحزن ⁴ :

1- القلق الشديد من المستقبل .

2- تعرض الفرد أو أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو وفاة أو إصابة بمرض .

3- الهاجس النفسي : وهو الحزن بدون سبب .

¹ مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم , بعنوان : "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يجنون فيها الحزن؟.انظر:

<http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>

² مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان " الاكتئاب " . انظر :

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

³ مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم , بعنوان: "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يجنون فيها الحزن؟.انظر:

<http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>

⁴ مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "الكآبة... مرض العصر. انظر:

http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_Wellbeing/270990

4- العقل الباطني . وذلك من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو لخبر محزن , وهذا حزن مؤقت سرعان ما يزول .

ثالثاً : أقسام الحزن :

بالنظر إلى ما يخالط الحزن أو ينتج عنه يمكن تقسيمه إلى قسمين هما :

الأول : حزن مباح , هو الحزن الذي فطر الله تعالى الخلق عليه , وجعله من الغرائز التي لا تتفكّ عنهم . وقد ينتج عنه " دمع العين ورقّة القلب من غير سخط لأمر الله " ¹ . وقد أثبتّه الله تعالى لنبيّه محمد ρ في غير ما موضع من القرآن الكريم , منها قوله تعالى : { قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ } ² . كما ثبت في البخاري أن النبي ρ حزن وبكى حين مات ابنه إبراهيم ν وقال : " إن العين تدمع , والقلب يحزن , ولا نقول إلا ما يرضي ربنا , وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " ³ .

الثاني : حزن مذموم أو حرام , هو الحزن الذي لا صبر لدى صاحبه , ولا رضى بقضاء الله وقدره . ويخالطه في الغالب أو ينتج عنه ما حذرّ منه الشارع الحكيم من لطم الخدود وشقّ الجيوب وغيرها من السلوكيات التي تنم عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره .

¹ ابن حجر : فتح الباري . ج 3 ص 174 .

² سورة الأنعام : الآية 33 .

³ البخاري : صحيح البخاري . كتاب الجنائز . باب قول النبي ρ " إنا بك محزونون " . رقم الحديث (1303) . ج 1 ص 250 . وقد رواه مسلم في صحيحه بلفظ : " تدمع العين ويحزن القلب , ولا نقول إلا ما يرضي ربنا , والله يا إبراهيم إنا بك محزونون " . انظر : مسلم : صحيح مسلم . كتاب الفضائل . باب رحمة ρ الصبيان والعيال , وتواضعه وفضل ذلك . رقم الحديث (2315) . ج 4 ص 1808 .

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند بعض الأنبياء عليهم السلام , وبين أسباب هذا الحزن , فمن هذه الأسباب ما كان لفقد حبيب , ومنه ما كان لغياب الإسلام عن واقع الأمة وهذا الحزن لا يظهر إلا من أصحاب الكمالات . وفي هذا المبحث سأتكلم عن انفعال الحزن عند يعقوب U وعند نبينا محمد P .

المطلب الأول : مشاهد الحزن عند يعقوب عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند يعقوب U في ثلاثة مشاهد من سورة يوسف. وتعدّ هذه السورة أكثر سور القرآن إبرازاً وإظهاراً لانفعال الحزن . كما أنها السورة الوحيدة التي صورت نفسية يعقوب U على حقيقتها , ورسمتها بواقعيته كوالد ملهوف على ولده ينفعل حزناً وخوفاً عليه , وكنبي موصول بربه متفائل ثقة به¹ . والمشاهد الثلاثة هي:

أولاً : حزن يعقوب عليه السلام على فراق يوسف عليه السلام :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٢﴾ } قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ }².

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال يعقوب U انفعال حزن مقرون بالخوف على ولده يوسف U , كما يكشف عن مدى تعلق يعقوب U به .

فما إن راود أولاد يعقوب U أباهم لاصطحاب أخيهم يوسف U معهم في رحلة الرعي حتى بدأ الحزن عليه ظاهراً , بل إنه صرح لهم أنه " يحزنني أن تذهبوا به لأنني لا أصبر عن رؤيته

¹ انظر ملامح شخصية يعقوب U . ص 58 .

² سورة يوسف : الآيات 11-13 .

, ولا أطيق على فرقة ... هذا إذا كان الحال سلامته .. فكيف ومع هذا أخاف أن يأكله الذئب" ¹

وقوله {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي} , أي " حزناً ظاهراً محققاً . بما أشار إليه إظهاره النون وإثباته لام
الابتداء" ² . واللام في {لَيَحْزُنُنِي} " لام الابتداء كقوله { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ } ³

ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة" ⁴ . وأتى بهذه اللام " للتأكيد , ولتخصيص
المضارع بالحال , أخبرهم أنه يحزن لغيبه يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه" ⁵ .

وهذا يؤكد حصول انفعال الحزن عند يعقوب U لحظة طلبهم يوسف U منه . كما يؤكد على
مدى تعلق الوالد بولده .

بينما نجد أن أبا حيان ينكر حصول انفعال الحزن عند يعقوب U في هذا المشهد حيث يقول
: " {لَيَحْزُنُنِي} , مستقبل لا حال , لأن المضارع إذا أسند إلى متوقع تخلص للاستقبال لأن ذلك
المتوقع مستقبل , وهو المسبب لأثره , فمحال أن يتقدم الأثر عليه , فالذهاب لم يقع فالحزن لم
يقع" ⁶ .

وقد ردّ الألوسي على هذا الرأي , مؤكداً حصول انفعال الحزن عند يعقوب U قائلاً: " فإن
الحزن والغم كالسرور والفرح يكون بالشيء قبل وقوعه كما صرح به ابن هلال ⁷ في فروقه ,
ولا حاجة إلى تأويل , أو تقدير , أو تنزيل للوجود الذهني منزلة الخارجي على القول به , أو

¹ القشيري : لطائف الإشارات . ج 2 ص 69.

² البقاعي : نظم الدرر . ج 4 ص 15.

³ سورة النحل : الآية 124.

⁴ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 306 .

⁵ الشوكاني : فتح القدير . ج 3 ص 10.

⁶ أبو حيان : البحر المحيط . ج 5 ص 287 . وانظر : الميداني : معارج التفكير . ج 10 ص 627 . ابن عاشور : التحرير والتنوير .
ج 5 ص 231 .

⁷ هو : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري , أبو هلال . عالم بالأدب , له شعر . نسبته إلى " عسكر مكرم " من كور
الأهواز . من كتبه في اللغة : التلخيص , والفروق . وله : جمهرة الأمثال , والفرق في المعاني , وغيرها . توفي سنة 395هـ . انظر :
الزركلي : الأعلام . ج 2 ص 196 .

الاكتفاء به فإن مثله لا يعرفه أهل العربية ، أو اللسان ، فإن أُبَيِّتَ إلا اللجاج فيه فليكن من التجوّر في النسبة إلى ما يستقبل لكونه سبباً للحزن الآن " 1 .

وأنا أميل إلى أن يعقوب U انفعل حزناً وغمماً على يوسف U في هذا المشهد وذلك للأسباب

التالية :

أولاً : أن لام الابتداء في {لَيَحْزُنُنِي} قصرت الفعل على الحال . وهذا ما رجّحه الزمخشري²

والشوكاني³ ، والآلوسي⁴ . والمعنى : أن حالة يعقوب U النفسية انتابها الحزن في الوقت الذي طلب أولاده ذهاب يوسف U معهم .

ثانياً : إن فرط محبة يعقوب U لولده ، وشدة تعلقه به ، وعدم قدرته أو تحمله فراقه ، أو الابتعاد عنه ، لا يمنع من حصول الحزن عنده .

ثالثاً : ما دام أن الحزن ألم نفسي يحدث لفقدان محبوب أو وقوع مكروه ، فإن يعقوب U توقع حصول المكروه على يوسف U من إخوته ، لكنه كتم الحزن مع الهمّ والغمّ كي لا يزيد الأمر تعقيداً مع أولاده ، حيث إنه لو أظهر لهم الحزن لتغلغل الحسد واشتعل في نفوسهم التي أضمرت ليوسف U الشر مسبقاً ، وخططت لإبعاده عن أبيه .

ثانياً : حزن يعقوب عليه السلام على فقدان يوسف عليه السلام :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ} ﴿١٢٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٢٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ حَمِيلٌ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٢٩﴾⁵ .

¹ الآلوسي : روح المعاني . ج 12 ص 195 .

² الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 306 .

³ الشوكاني : فتح القدير . ج 3 ص 10 .

⁴ الآلوسي : روح المعاني . ج 12 ص 195 .

⁵ سورة يوسف : الآيات 16 - 18 .

فهذا المشهد ، وهذه الكلمات التي خرجت من فم يعقوب U تخفي في داخلها الحسرة والأسى ،
والهمّ والغمّ ، والحزن العميق على فقدان ولده يوسف U .

ويعقوب U " أدرك من دلائل الحال ، ومن نداء قلبه ، أن يوسف لم يأكله الذئب ، وأنهم
دبروا له مكيدة ما ، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع ، ويصفون له حالاً لم تكن ، فواجههم بأن
نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكرًا ، ودلّته ويسرت لهم ارتكابه ، وأنه سيصبر متحملاً متجملاً لا
يجزع ولا يفزع ولا يشكو ، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيلٍ وأكاذيب ¹

وقوله : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ^ط } ، أي " فأمرني الذي أعتصم به تجاه مكيدتكم هو صبر جميل على
حزني الذي لا أبدي فيه تضجراً ولا جزعاً ، ولا أقول فيه إلا ما يرضي ربي " ² . وقال
القاسمي : " الصبر : قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت . والجميل منه هو
ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع ، رضاً بقضاء الله ، ووقوفاً مع مقتضى العبودية " ³ .

وقوله : { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } ⁴ ، " من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره
أحداً منكم ولا من غيركم " ⁵ .

فالحاصل أن يعقوب U حزن حزناً عميقاً ، لكنه كتمه وكظمه في نفسه ، وكأن الحزن لم
يظهر على قسماط وجهه ، واكتفى بالشكوى إلى الله تعالى والصبر والاحتساب على مصابه .

ويبدو من قول يعقوب U : { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } بعد قوله : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ^ط } ، ما
يدل على قوة المغالبة بين دواعيه النفسية المتحرقة حزناً وهمّاً على يوسف U والتي تدعوه

¹ قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ص 1976 .

² الميداني : معارج الفكر . ج 10 ص 634 .

³ القاسمي : محاسن التأويل . ج 9 ص 3521 .

⁴ سورة يوسف : الآية 18 .

⁵ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 12 ص 267 .

لإظهار الجزع ، وبين داعي الرحمن الذي يأمره بالصبر والرضا . فكان لا بد من الاستعانة بالله تعالى على لجم دواعيه النفسية ¹ .

ثالثا : حزن وبكاء يعقوب عليه السلام على فاجعة يوسف وأخيه :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى على لسان إخوة يوسف U : { أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا ۗ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }².

وهذا المشهد هو أبرز مشاهد انفعال الحزن في القرآن الكريم على الإطلاق . فقد جمع مع الحزن الكمد والهم ، والبكاء والبث والشكوى إلى الله تعالى . ونتج عنه ضعف البصر جدا . وقد كشف هذا المشهد عن تطور انفعال الحزن عند يعقوب U حتى وصل إلى أربع مراحل هي :

المرحلة الأولى : مرحلة الهم المكبوت في داخل النفس ، وهي مقدمة للحزن بل جزء منه :

فيعقوب U ما إن أخبره أولاده بما جرى لأخيهم مع عزيز مصر من احتجازه بسبب سرقة المكيال ، حتى قال نفس الكلمات التي قالها حين جاؤوا بخبر أكل الذئب لأخيهم يوسف { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا }، وهذه الكلمة تخفي في داخلها الشك من كلام أولاده والهم والغم المكبوت في القلب .

¹ انظر : الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 107 .

² سورة يوسف : الآيات 80 - 86 .

المرحلة الثانية : مرحلة الحزن الشديد المقرون بتذكر أحزان الماضي وأشجانه :

يقول الدكتور أحمد نوفل وهو يصف هذه المرحلة : " لقد هجر الناس واعتزل ، أو انصرف عنهم ، تاركا قولهم وتأكيداتهم ، خاليا إلى نفسه ، ممتلئا حزنا ، قائلا : {يَتَأَسَفُ عَلَى يُوسُفَ} ، ويا لها من كلمة تقطر حزنا ومرارة ، وحرقة ولهفة ، وهذه الكلمة ومثيلاتها في اللغة العربية مثل يا حسرتي ، ويا ويلتي ، لا يقصد بها حقيقة النداء ، وإنما هي مجاز كأنه ينادي الأسف أن يسعفه

1.

وقال محمد جواد مغنية : " اعتزل الناس ليندب وحده من لن ينسأه أبداً ، يندبه بهذه الصرخة الحزينة {يَتَأَسَفُ عَلَى يُوسُفَ} ، وزاده فراق ولده الثاني حزناً على حزن ، وبكاءً على بكاء {وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} ، أصيبتنا بالقرحة من آثار البكاء فهو يتنفس منهما بالدموع ، كما يتنفس من رثيته بالآهات والحسرات { فَهُوَ كَظِيمٌ} ، يتجرع الغيظ ويتجدد ولكن على حساب جسمه وأصابه "2. وأما سبب إعراضه عن أولاده فهو " كراهة لما سمع منهم "3.

وقوله {يَتَأَسَفُ عَلَى يُوسُفَ} ، الأسف : " أشد الحزن والحسرة إلى نفسه ، والألف بدل من ياء الإضافة "4. ونداء الأسف " مجاز . نزل الأسف منزلة من يعقل فيقول له : أحضر فهذا أو ان حضورك ، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف "5. وقيل معناه : " يا رب ارحم أسفي على يوسف "6.

قال الشوكاني : " قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبالغة بسبب فراقه يوسف وانضمام فراقه لأخيه "7 .

¹ نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية . ص 517.

² مغنية : التفسير الكاشف . ج 4 ص 349 .

³ أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 423 .

⁴ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 338.

⁵ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 6 ص 42 .

⁶ الجمل : الفتوحات الإلهية . ج 2 ص 475 .

⁷ الشوكاني : فتح القدير . ج 3 ص 48.

ولكن ما الذي ذكّر يعقوب U بولده يوسف U , وجعل شدة حزنه ووجده عليه دون أخيه مع أن المشهد جاء في سياق الحديث عن ولده وليس عن يوسف U ؟

والسبب كما يقول الزمخشري : " أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غصاً عنده طرياً , ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده , فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به ¹ . وأما الرازي فقد ذكر أربعة وجوه لعظم حزنه على مفارقة يوسف U عند هذا المشهد وهي ² :

1- أن الحزن الجديد يقوّي الحزن القديم الكامن . والقرح إذا وقع على القرع كان أوجع .

2- أن يوسف وأخاه كانا من أمّ واحدة , وربما كانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل فكان يعقوب يتسلّى برؤيته عن رؤية يوسف , فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الألم والوجد .³

3- لأن المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتبت سائر المصائب والرزايا وكأن الأسف عليه أسفاً على الكل .

4- أن المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها أضف إلى أن مكان من فقد مؤخراً معلوم , أما يوسف فلما يعلم يعقوب له مكانا , ولا للمصيبة فيه كيفية .

وهذه المرحلة من الحزن فيها تجانس جميل بين كلمتي {الأسف} و{يوسف} , وكأن النص يشير إلى أن الحزن الشديد والكبير والعظيم والفاجمة الكبرى بفقدان يوسف . وهذا " مما يزيد النظم الكريم بهجة ⁴ , " ويقع مطبوعاً غير مستعمل فيملح ويبدع ⁵ .

¹ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 338 .

² الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 197 .

³ هذا السبب بحاجة إلى دليل , وحيث لا يوجد هذا الدليل فإن هذا السبب يكون من الإسرايليات المسموح التعامل معها لعدم معارضتها نصوص الوحيين على منهج كثير من المفسرين , منهم ابن كثير . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 1 ص 8 .

⁴ أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 423 .

⁵ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 338 .

المرحلة الثالثة : ذهاب البصر من شدة الحزن والبكاء والكمد .

فقوله تعالى : { وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ } ، قال ابن عاشور : " وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار . وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر ، فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عصب الإبصار ، على أن البكاء من الحزن أمر جبلي فلا يستغرب صدوره من نبي " ¹ .

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب وهو يصف هذه المرحلة من الحزن : " وهكذا تهجم لوعات الأسى والحسرة على الشيخ الكبير ، حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين ، الذي أبى على عينيه أن تبللها قطرات الدموع ، وأن تطفئ النار المشتعلة فيهما ، حتى أتت على فحمة سوادهما ، وأحالته رمادا " ² .

وقوله تعالى : { فَهُوَ كَظِيمٌ } ، الكظم في اللغة : الردّ والحبس ³ . وقال الأصفهاني : " الكظم : مخرج النفس " ⁴ . والمعنى : " فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم " ⁵ . في حين نجد أن جمهرة المفسرين يفسرونها بامتلاء القلب من الحزن الشديد الذي لا يظهره للناس ⁶ .

ولا يمنع أن يكون قلبه مملوءاً بالحزن على يوسف ، والغیظ الشديد على أولاده الذين تسببوا له هذه المواجه والأحزان . وكظم الحزن الشديد في القلب وحبسه في الصدر هو "الحزن أفدح الحزن ، وأشدّه قسوة " ⁷ .

¹ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 6 ص 43 .

² الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 7 ص 34 .

³ الفيروز آبادي : القاموس المحيط . ج 4 ص 173 .

⁴ الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 434 .

⁵ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 339 .

⁶ انظر : الطبري : جامع البيان . ج 6 ص 4609 . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ج 9 ص 249 . الشوكاني : فتح القدير .

ج 3 ص 48 . السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 1 ص 539 . الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 200 .

⁷ الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 7 ص 35 .

وهذه المرحلة أظهرت : " أن أشرف أعضاء الإنسان كانت غريقة في الغمّ , فاللسان كان مشغولاً بقوله {يَتَأَسَفُ} , والعين بالبكاء والبياض , والقلب بالغمّ الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شدّ ولا يمكن خروج الماء منه , وهذا مبالغة في وصف ذلك الغمّ"¹.

المرحلة الرابعة : قطع الشكاية بالحزن والبثّ إلا إلى الله تعالى .

فإن الحزن والأسى يمكن أن يخفّ أو ينتهي ببثّه إلى الناس , وإفراغ الهموم والأحزان والغمّ والهمّ وأسبابها إليهم مما يريح النفس ويجلي الصدر خاصة إذا بثّه إلى أهل الصلاح أو التخصص . أما إذا بقيت هذه الأحزان مأسورة في القلب بعد أن جفت العين من البكاء , فهذا قمة مراحل الحزن .

وقوله : {إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي} , قال أبو السعود : " البثّ : أصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثّه إلى الناس , أي ينشره"². وقال الميداني : " والبثّ : الشكوى التي يصرح بها الشاكي بلسانه عن أوجاعه وآلامه المادية والمعنوية"³.

لكن هل هناك فرق بين البثّ والحزن ؟ أم أن بينهما اشتراك ؟ يجيب على ذلك الإمام الرازي بقوله : " فالحزن إذا ستره الإنسان كان همّاً , وإذا ذكره لغيره كان بثّاً , وقالوا : البثّ أشدّ الحزن , والحزن أشدّ الهمّ"⁴.

فقوله : {إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} , فقد حصر الشكاية إلى الله وحده دون سواه وكأنه يقول : " إنما أشكو حزني العظيم , وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس"⁵. وذلك أن البثّ هو الحزن العظيم والحزن ما دونه .

¹ الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 200 .

² أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 424 .

³ الميداني : معارج الفكر . ج 10 ص 723 .

⁴ الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 202 .

⁵ الشوكاني : فتح القدير . ج 3 ص 49 .

وقال الميداني : " وعطف الحزن على البثّ يقتضي المغايرة , فالمعنى : ما أشكو حالي وضعفي ومرضي وحزني إلا إلى الله بيني وبينه , ولا أشكو لأحد سواه " ¹ .

إلا أن ابن عاشور لا يرى وجود هذه المغايرة حيث يقول : " البثّ : الهمّ الشديد وهو التفكير في الشيء المسيء . والحزن : الأسف على فائت . فبين الهمّ والحزن العموم والخصوص الوجهي , وقد اجتمعا ليعقوب U لأنه كان مهتماً بالتفكير في مصير يوسف U وما يعترضه من الكرب في غربته وكان أسفاً على فراقه " ² .

وهكذا نرى أن هذا المشهد أكثر مشاهد القرآن الكريم حزناً , وأنه جمع مراحل الحزن كلها.

المطلب الثاني : مشاهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

بين القرآن الكريم في أكثر من عشر آيات حصول الحزن عند نبينا محمد p , وكان سبب هذا الحزن أمرين اثنين هما :

الأول : حزنه عليه الصلاة والسلام على افتراءات وتقولات المكذبين والجاحدين عليه

قال تعالى : { قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَئِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } ³ .

يقول رشيد رضا عند هذه الآية : " وقد أثبت تعالى لرسوله p هذا الحزن إثباتاً مؤكداً بتعلق علمه التجيزي به في بعض الأحيان , أي عندما كان يعرض عليه p , وبان مع ضمير الشأن وباللام " ⁴ .

وقوله تعالى : { قَدْ نَعَلِمُ } , " تحقيق للخبر الفعلي " ⁵ , " وتأکید العلم بما ذكر " ⁶ .

¹ الميداني : معارج الفكر . ج 10 ص 724 .

² ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 6 ص 45 .

³ سورة الأنعام : الآية 33 .

⁴ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 7 ص 371 .

⁵ ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 3 ص 196 .

⁶ أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 2 ص 347 .

وقوله تعالى: {الَّذِي يَقُولُونَ} , من قولهم عن النبي ρ إنه " ساحر كذاب " ¹ .

كما قال تعالى: {وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ² . وقوله تعالى: { فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } ³ .

ومعنى الآية " قد نعلم أيها الرسول إنه ليحزنك ويؤلم نفسك ما عليه هؤلاء القوم , وما يقولونه لك من تكذيب وطعن , وتنفير للعرب عن دعوتك , وهذه نفسك الطاهرة تتألم " ⁴ .

وقد ذكر الإمام الطبري رواية صحيحة في سبب نزول الآية , قال : " حدثنا هناد , قال : حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد , عن أبي صالح , في قوله : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ } ⁵ قال : جاء جبريل إلى النبي ρ ذات يوم وهو جالس حزين فقال له : ما يحزنك ؟ فقال : كذّبي هؤلاء .

قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق , { وَلَيَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } ⁶ .

وقد جاءت هذه الآية تسليّةً وتأنيساً للنبي ρ عن الحزن الذي أصابه بسبب هذا التكذيب وهذه النقولات والإشاعات حوله وحول دعوته , وكأنها تقول له يا محمد " هم لا يكذبونك في الحقيقة

¹ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 14 .

² سورة يونس : الآية 65 .

³ سورة يس : الآية 75 .

⁴ حجازي , محمد محمود : التفسير الواضح . 3 مج . ط : 6 . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى . 1969 . ج 7 ص 50 .

⁵ سورة الأنعام : الآية 33 .

⁶ الطبري : جامع البيان . رقم الرواية (13226) . ج 4 ص 3167 . وهذه الرواية صحيحة السند إلى أبي صالح . فهتاد هو ابن السري بن مصعب الدارمي التميمي : ثقة . من شيوخ البخاري ومسلم . انظر : حلاق , محمد صبحي بن حسن : رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً . ط : 1 . بيروت : دار ابن حزم . 1999 . ص 273 . وأبو معاوية هو محمد بن حازم , أبو معاوية الضرير الكوفي . ثقة . روى له الجماعة . انظر : ابن حجر , أحمد بن علي : تقريب التهذيب . 2 مج . حققه وعلّق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف . ط : 2 . بيروت : دار المعرفة . 1975 . ج 2 ص 157 . وإسماعيل بن خالد . من كبار التابعين . ثقة ثبت . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب . ج 1 ص 68 . وأبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب . تابعي ثقة . انظر : حلاق : رجال تفسير الطبري . ص 273 .

وإنما يكذبون الله ببحود آياته . فإله عن حزنك لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صادق وليشغلك
عن ذلك ما هو أهم "1 .

الثاني : حزن النبي عليه الصلاة والسلام لعدم إيمان قومه بدعوته

قال تعالى : { لَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُؤْمِنِينَ }² . وقال تعالى : { وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا
يَمْكُرُونَ }³ . وقال تعالى : { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ }⁴ .

وهذه الآيات تنهى النبي p عن الحزن على الكافرين " لكفرهم وعدم هدايتهم " ⁵ . كما قال
تعالى : { يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ
تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ }⁶ .

والمعنى " لا تهتم ولا تبال بهؤلاء المنافقين الذين يسارعون في الكفر أي في إظهاره
بالتحيز إلى أعداء المؤمنين من أهله " ⁷ .

وقد وصل الأمر بالنبي p أن يهلك نفسه غمًا وهمًا وحزنًا وألمًا على عدم استجابة الكفار
لدعوته , كما قال تعالى : { فَلَعَلَّكَ بِنِخَعِ نَفْسِكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا }⁸ .

¹ الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 14 .

² سورة الحجر : الآية 88 .

³ سورة النحل : الآية 127 .

⁴ سورة النمل : الآية 70 .

⁵ القاسمي : محاسن التأويل . ج 10 ص 3880 .

⁶ سورة المائدة : الآية 41 .

⁷ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 6 ص 387 .

⁸ سورة الكهف : الآية 6 .

وذلك أن النبي ρ " كان حريصاً على هداية الخلق , ساعياً في ذلك أعظم السعي , فكان ρ يفرح ويسرّ بهداية المتدينين , ويحزن ويأسف على الكافرين الضالين شفقةً منه عليه السلام عليهم , ورحمةً بهم " ¹ .

ومعنى {بَنَحِجُّ نَفْسَكَ} , " مهلك نفسك بحزنك عليهم " ² .

وفي الآية " يعاتب الله تعالى رسوله ρ ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب , وما يقترحوه عليه من الآيات . أي فلعلك يا رسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وما جئت به من الهدى , حزناً عليهم , وجزعاً منهم , فلا تفعل " ³ .

وقد تضمنت الآية ذكر الأسف وهو: شدة الحزن بقوله تعالى : {أَسْفًا} , وهو " فرط الحزن والغضب " ⁴ .

وقد نهى الله تعالى نبيه ρ في أكثر من موضع في القرآن الكريم عن إهلاك نفسه الشريفة حزناً على الكافرين , منها قوله تعالى : {لَعَلَّكَ بَنَحِجُّ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ⁵ . وقوله تعالى : {فَلَا تَذَهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} ⁶ .

وهذه الآيات تؤكد على أن الحزن غير مرغوب فيه , لأن الله تعالى نهى نبيه ρ عنه . حتى قال رشيد رضا : " والحزن مذموم طبعاً وشرعاً مهما كان سببه , لهذا نهى الله عنه " ⁷ .

¹ السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 1 ص 632 .

² ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 366 . وانظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 8 ص 5 .

³ الجزائري , أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . 4 مج . ط : 2 . حدة : راسم للدعاية والإعلان . 1987 . ج 2 ص 634 .

⁴ القاسمي : محاسن التأويل . ج 10 ص 4024 . وانظر : الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 27 .

⁵ سورة الشعراء : الآية 3 .

⁶ سورة فاطر : الآية 8 .

⁷ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 6 ص 387 .

وأنا لست مع هذا التعميم , لأن الحزن انفعال فطري وطبعي في المخلوقات , وإنما الذي
ينهى عنه هو لوازمه ونتائجه المخالفة للشرع , وكذلك الحزن المؤدي إلى هلاك النفس كما
حصل للنبي محمد μ , وليعقوب ν حتى إن أولاده شعروا بأن أباهم في خطر بسبب حزنه
ووجهه على يوسف ν قائلين له : {تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ} ¹.

¹ سورة يوسف : الآية 85 .

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم حزن بعض الأنبياء عليهم السلام , وكشف عن مكونات نفوسهم تجاه سبب هذا الحزن , فمنهم من كان حزنه عاطفياً بحثاً كحزن يعقوب U , ومنهم من كان حزنه على واقع أمته ومآل قومه في الدنيا والآخرة كحزن نبينا محمد P , وكلا النوعين يفيد أبناء هذه الأمة , كما يجعل منهما وسيلة تأس وإقتداء في التربية , فمن هذه القيم التي نستفيدها من حزن الأنبياء عليهم السلام هي :

أولاً : أصل الحزن جائز, وذلك أنه انفعال طبيعي فطر الله الإنسان عليه, وجعله غريزة فيه, بل جعله والضحك آيتان من آياته , قال تعالى : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى }¹ فهو سبحانه خالق الضحك والبكاء وخالق أسبابهما , والبكاء لا يأتي عادة إلا بعد حزن² . قال سيد قطب: " وهما (الضحك والبكاء) من أسرار التكوين البشري لا يدري أحد كيف هما, ولا كيف تقعان في الجهاز المركب المعقد , الذي لا يقل تركيبه وتعقيده النفسي عن تركيبه وتعقيده العضوي, والذي تتداخل المؤثرات النفسية والمؤثرات العضوية فيه وتتفاعلان في إحداث الضحك وإحداث البكاء"³ . بل إن الحزن مظهر من مظاهر قدرة الله عز وجل, وسر من أسرار خلق هذا الإنسان.

¹ سورة النجم: الآية : 43 .

² قسّم ابن القيم البكاء إلى أنواع عشرة, حيث قال : " والبكاء أنواع : أحدها : بكاء الرحمة والرأفة. والثاني : بكاء الخوف والخشية . والثالث : بكاء الحبة والشوق. والرابع : بكاء الفرح والسرور. والخامس : بكاء الجزع من ورود المولم وعدم احتمال . والسادس : بكاء الحزن. والفرق بينه وبين بكاء الخوف, أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه, أو فوات محبوب, وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك, والفرق بين بكاء السرور والفرح, وبكاء الحزن, أن دمعة السرور باردة, والقلب فرحان, ودمعة الحزن حارة, والقلب حزين ولهذا يقال لما يفرح به : هو قرّة عين, واقر الله به عينه, ولما يحزن: هو سخينة العين, وأسخن الله عينه به. والسابع : بكاء الخوف والضعف. والثامن: بكاء النفاق. والتاسع: بكاء المستعارة والمستأجر عليه. والعاشر: بكاء الموافقة. ابن القيم, محمد بن أبي بكر الزرعي : زاد المعاد في هدي خير العباد . 6 مج. حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط. ط: 3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998. ج 1 ص 177- 178 .

³ قطب: في ظلال القرآن . ج 6 ص 3415 .

وأنبىء الله ورسله عليهم السلام _ لكونهم بشراً _ أصابهم الحزن على أنواعه وأشكاله، وتعدد مسبباته.

فهذا يعقوب ٥ حزن حزناً شديداً، وملك الحزن ذاته وكيانه. حتى كان كلما ذكر يوسف ٥ بكى بكاءً شديداً لشدة وجده وحزنه عليه حتى كاد البكاء يؤدي به { قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ }¹ .

ونبينا محمد ٥ حزن حزناً شديداً، وكاد الحزن يقتله كمدأ وأسى على قومه الكافرين { قَالَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا }² .

ثانياً : الحزن لا يحمل على الركون والقيود والضعف والدعة. وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ لا يجوز أن يلازم الإنسان وخاصة المسلم . لأن الحزن إن لازم الإنسان أياماً وأسابيع يصبح أسى " والأسى حالة مزاجية "³ تقعد الإنسان عن العمل، وتثبط همته، وتشغل فكره فترته غير قصيرة من الزمن .

من هنا جاء النهي عن الحزن الذي يؤدي إلى القعود أو النكوص على الأعقاب ، قال تعالى: { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁴ . ومعنى { وَلَا تَحْزَنُوا } أي " لا تحزنوا على من قتل منكم "⁵ . وقال رشيد رضا : " وقد يقال هنا : لماذا نهاهم عن الوهن بما عرض لهم والحزن على ما فقدوا في أحد وكل من الوهن والحزن كان قد وقع وهو أمر طبيعي في مثل الحال التي كانوا عليها ؟ والجواب : أن المراد بالنهي ما يمكن أن يتعلق به الكسب من معالجة وجدان النفس بالعمل ولو تكلفاً ، كأنه يقول انظروا في سنن من قبلكم تجدوا أنه ما اجتمع قوم على حق وأحكموا أمرهم وأخذوا أهبتهم وأعدوا لكل أمر عدته ، ولم يظلموا أنفسهم في العمل لنصرته ، إلا وظفروا بما طلبوا ، وعوضوا مما خسروا ، فحولوا وجوهكم عن جهة ما خسرتم

¹ سورة يوسف : الآية 85 .

² سورة الكهف : الآية 6 .

³ راجح : أصول علم النفس . ص 154 .

⁴ سورة آل عمران : الآية 139 .

⁵ القاسمي : محاسن التأويل . ج 4 ص 988 .

وولوها جهة ما يستقبلكم , وانهضوا به بالعزيمة والحزم , مع التوكل على الله عز وجل والحزن إنما يكون على فقد ما لا عوض منه وإن لكم خير عوض مما فقدتم " ¹ .

ويحق لنا نتساءل , لماذا أقعد الحزن يعقوب U حين أخبره أولاده بأكل الذئب يوسف U؟
أليس من الواجب عليه أن يذهب ويبحث عن ولده يوسف U ؟ ثم أليس من واجبه أن يتحقق من خبر أولاده ؟ ثم يقيم القصاص عليهم بسبب فعلتهم ومكيدتهم ومحاولة قتل أخيهم ؟.

ويجيب على هذا التساؤل الفخر الرازي حيث يقول: " لا جواب عنه إلا أن يقال إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديداً للمحنة عليه , وتغليظاً للأمر عليه , وأيضاً لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوياء وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص , وأنه لو بالغ في البحث فربما أقدموا على إيذائه وقتله , وأيضاً لعله U علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وإن أمره سيعظم بالآخرة , ثم لم يرد هناك أستار سرائر أولاده وما رضي بإلقائهم في السنة الناس لأن أحد الوالدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن انتقم فإنه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه , فلما وقع يعقوب U في هذه البليّة رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر إلى الله تعالى بالكلية " ² .

وأنا أميل إلى أن السبب في عدم القيام بواجب البحث عن يوسف U والتحقيق مع أولاده بشأنه أحد أمرين اثنين:

الأول: إما أن الله تعالى منعه عن البحث والعمل على استنقاذ يوسف U . وهذا الأمر مرجوح لأنه لا يوجد نص قرآني أو نبوي يؤكد ذلك , وهذه قضية غيبية تحتاج إلى نص , ثم إن هذه القضية المهمة متعلقة بحياة إنسان فلو منعه الله تعالى لبين ذلك سريعاً لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة , والحاجة هنا ماسّة, ولم يبينها الله سبحانه.

¹ رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 4 ص 145-146 .

² الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 106-107 .

الثاني: إن يعقوب U لم يرغب قطع الصلة بالكلية بينه وبين أولاده , فيعقوب U كان يستشعر أن علاقة أولاده به متوترة ويسودها الشك والريب وعدم الثقة , فمن هنا لو أراد يعقوب U التحقيق معهم , وتكذيب راويتهم صراحة , والقيام بالبحث عن يوسف U لهدم هذه العلاقة بالكلية , ولقطع جسر الوصل بينه وبينهم , من هنا لازم الصبر والحزن, مع تيقنه أن الله تعالى سيحفظ ولده ويرعاه , وسيكون له شأن عظيم , بدليل قوله ليوسف U وهو يطمئنه على مستقبل مشرق : { وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُكُّنًا وَنُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رُكَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }¹

أما نبينا محمد p فقد كان الحزن دافعاً له على العمل والدعوة والنشاط والهمة والتحرك المستمر .

صحيح أن الحزن أوشك أن يقتله p , إلا أن هذا الحزن بقي داخلياً في نفسه , ومع ذلك جاءه النهي الإلهي {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }² . وهذا الحزن القاتل كان من أجل هداية الناس وإدخالهم إلى الإسلام .

ثالثاً : من أهم وسائل دفع الحزن التي نتلمسها من انفعال الحزن عند الأنبياء هي :

1- التوجه إلى تعالى , والاتصال به , والاطمئنان إليه , والاستعانة به , والصبر على قضاءه واستشعار معية الله معه .

فهذا يعقوب U يعطينا أروع الأمثلة في دفع أجزائه والتخفيف من آلامه , من خلال صلته بربه عز وجل , وتوكله عليه , والاستعانة به , فحين جاءه خبر أكل الذئب ولده يوسف U قال : {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }³ , أي أصبر وأستعين بالله والتجأ إليه .

¹ سورة يوسف : الآية 6 .

² سورة فاطر : الآية 8 .

³ سورة يوسف : الآية 18 .

وحين وصله نبأ فقد ولده الثاني كرّر نفس الوسيلة لنجاتها وأهميتها , مضيفاً إليها بارقة أمل باللقاء ولم الشمل قائلاً : {فَصَبِّرْ حَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} ¹ , ثم بيّن أن الشكاية لله تعالى , واحتساب الأحزان والهموم عند خالقها مما يخفف عن المصاب , ويهون عليه الأحزان قائلاً: {إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ} ² .

وحين انفعّل النبي ﷺ حزناً على عدم إيمان قومه , وجهه ربه سبحانه أن يجعل صبره في ذلك عليه , ولا يحزن , قائلاً : { وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } ³ , ولقد وجه الرسول ﷺ رفيق دربه في الهجرة الى هذه الوسيلة الناجحة بقوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} ⁴ .

2- **المكاشفة والمصارحة** . وهي من الوسائل العملية في التخفيف من الأحزان , حيث إن المحزون إن نفس عن أحزانه ببيان سبب حزنه , وكشف ما في نفسه والإفصاح عنه , فإنه يخفف عنه حزنه .

لقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب كثيراً , فما كان يُسأل عن حزن حزنه أو دمة نزلت منه إلا وصرح للسائل عن سببها .

فقد جاء في سبب نزول قوله تعالى : {قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} ⁵ , " أن جبريل U جاء إلى رسول الله ﷺ وهو حزين فسأله عن سبب حزنه , فكشف له وصرحه بقوله : " كذبني قومي " , فخفف عنه جبريل بقوله : إنهم لا يكذبونك ... " ⁶ .

كما ثبت في البخاري في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ أنه ﷺ ذرفت عيناه , فقال له عبد الرحمن بن عوف مستغرباً ومستفسراً : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : " يا ابن عوف إنها رحمة " ⁷ .

¹ سورة يوسف : الآية 83 .

² سورة يوسف : الآية : 86 .

³ سورة النحل : الآية 127 .

⁴ سورة التوبة : الآية 40 .

⁵ سورة الأنعام : الآية 33 .

⁶ رواه الطبري : جامع البيان . ج 4 ص 3167 . وانظر لتحقيق الرواية : مشهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ص 159 .

⁷ البخاري : صحيح البخاري . كتاب الجنائز . باب قول النبي ﷺ : " إنا بك محزونون " رقم الحديث (1303) . ج 1 ص 250 .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على نبي الرحمة المهداة. محمد بن

عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

في ختام هذه الرسالة , وبعد استعراض الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, وتجولت في بطون الكتب وأمات كتب التفسير , للبحث والتنقيب والتحقيق والتدقيق في أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الانفعالات , من خلال نصوص الكتاب الكريم خاصة , أود أن أخص النتائج التي توصلت إليها وهي:

1- الأنبياء عليهم السلام بشر, لكنهم خلاصة الجنس البشري , صنعهم الله على عينه , وخصّهم بمزايا وخصائص , ومع ذلك يعترهم ما يعترى البشر, ويصيبهم ما يصيب البشر من ضررٍ وأذى , ومن مرض وصحة, ومن أكل وشرب , ومن زواج وأولاد , وينفعلون كما ينفعل البشر, فيضحكون ويبكون , ويغضبون ويفرحون , ويخافون ويأمنون , ويحزنون ويبتسمون. وبذلك يكونون أقرب إلى التواصل مع أقوامهم , وأدعى إلى استجابة أقوامهم لهم.

2- انعقد الإجماع على عصمة الأنبياء عليهم السلام من تعمدّ اقتراف كبائر الذنوب ومن صغائر الذنوب الخسيسة, لأن الأنبياء عليهم السلام أسمى وأكرم وأعلى منزلةً وقدرًا من ذلك. لكنهم غير معصومين من الصغائر غير الخسيسة. إلا أن الله سبحانه يصوبهم حين يخطئون, وهذا قول عامة أهل العلم.

3- الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام لا تتنافى مع العصمة مطلقاً , لأنها من العوارض البشرية التي لا تنفك عن البشر في العادة.

4- الانفعالات النفسية هي عبارة عن حالات وجدانية داخلية مفاجئة , يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً , وهذا التعريف يتوافق مع التعريف الاصطلاحي للانفعالات وهو حالة تغيير نفسي تعترى الإنسان بفعل مؤثر, وعليه فالانفعالات عملية طبيعية في الإنسان , ولكن ما ينتج عن هذا الانفعال يمكن أن يقيم أو يصوب .

5- ذكر القرآن الكريم الانفعالات التي حدثت للأنبياء عليهم السلام من خلال استعراضه للقصص النبوي، في ثنايا سوره وآياته، وبيّن المؤثرات والأسباب لهذه الانفعالات وذكر الآثار المترتبة عليها.

6- انفعال الخوف الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام ، وكان أبرز وأكثر الانفعالات ذكراً في القرآن الكريم ، هو من النوع المشروع الذي لا يلام عليه البشر في العادة ، ولا أحد معصوم منه لكونه مغروزاً في الإنسان .

7- خوف الأنبياء عليهم السلام لم يكن من قبيل الجبن والخور ، وإنما كان له هدف سام ، فمثلاً خوف يعقوب U على ولده يوسف U من إخوته ، وخوف لوط U على ضيوفه من قومه الشذاذ . ووجس إبراهيم U من ضيوفه الملائكة . بل إن خوفهم كان دافعاً للعمل والهمة والنشاط .

8- انفعال الغضب الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام كان غضباً لله ، ومن أجل الله وحين انتهكت محارم الله عز وجل ، ولم يكن لحظوظ النفس منه شيء .

9- كان في بعض نتائج هذا الغضب مخالفة وخطأ، منها مثلاً إلقاء موسى U الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة ، وإمساكه برأس ولحية أخيه هارون U يجره إليه. أو مغاضبة يونس U لقومه . وبعد هذا الخطأ مباشرة أتبعوه ندماً واستغفاراً وتوبة ، ليعطوا بذلك درساً لكل من يفعل غضباً أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوها ويعالجوا آثار غضبهم .

10- الندم والشعور بالذنب والخطأ والتقصير، ولوم النفس ومعاتبتها انفعال نفسي مهم ، بل غاية في الإيجابية ، حصل للأنبياء عليهم السلام ، وكان من العوامل المهمة في صقل شخصياتهم ، وتهذيب نفوسهم ، وقد خط الأنبياء عليهم السلام بهذا الانفعال منهجاً مهماً للتأباع ورافداً راقياً من روافد تهذيب النفس وصلها .

11- انفعال اليأس الذي حصل للأنبياء عليهم السلام هو من أبرز الانفعالات في إظهار الجانب البشري والعنصر الإنساني لهم عليهم السلام ، وأنهم يصابون بالبأساء والضراء والهموم

والغوم , ويستعجلون نصر الله لشدة الضراء والبأساء التي تقع عليهم وعلى أتباعهم . وذلك كي يكونوا نماذج يحتذى بها في الصبر على البلاء والشدة . فالأنبياء أكثر الناس بلاءً.

12- الأمل والاستبشار بقرب الفرج كانا الشعاع الذي أضاءه الأنبياء عليهم السلام في فضاء البأساء والضراء , واليأس والإحباط , والدماء والأشلاء , والاضطهاد الذي تعرضوا له هم وأتباعهم .

13- العبوس في الغالب انفعال غير ايجابي عوتب الرسول ρ بسببه , وكان أول عتاب يعاتب بسببه وبعد هذا العتاب كانت منهجية الرسول ρ في علاقته بأتباعه ملؤها البسمة والاستبشار والبش في الوجوه , وأصبحت ابتسامته الدائمة شعاراً ونموذجاً تحتذي بها الجماعة المسلمة في علاقتها العضوية وحتى في علاقتها مع غيرها .

14- انفعال الحزن وألم النفس انفعال طبيعي, فطر الله الخلق عليه, وجعله من الغرائز التي لا تتفكّ عن البشر. وقد انفعال الأنبياء عليهم السلام حزناً وبكاءً . إلا أن هذا الانفعال يمكن أن يتحول إلى مرض إذا داوم عليه الإنسان أو إذا لم يكن له سبب .

15- الحزن لا يقعد الإنسان عن مهمته في الحياة, ووظيفته في هذا الوجود, وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ. والله عز وجل أمرنا بعمارة الأرض, واستثمار كنوزها في خدمة بني الإنسان بالحق والعدل والميزان. من هنا فلا يجوز أبداً أن يجعل الإنسان نفسه رهينة لانفعال عابر كالحزن. ويصبح حراماً إذا خالطه أو نتج عنه ما ينم عن عدم الرضا بالقدر .

16- الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام هي من الأمور المهمة التي ينبغي إظهارها وإبرازها لاستكمال الحديث عن القصص النبوي في القرآن الكريم. حيث إن القصص في القرآن أخذ حيزاً مقدراً له فيه , وأخذ بالمقابل حيزاً كبيراً في كتابات العلماء والباحثين والمفسرين والدارسين , لكن أفراد الانفعالات النفسية عند الأنبياء لم تأخذ الحيز المطلوب خاصة أننا نعيش اليوم ضمن منظومة العولمة التي تحاول أن تجعل العلوم كلها حكراً على الغرب وخاصة علمي النفس والاجتماع .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الآيات

الصفحة	الآية	الآية	السورة	
114،112	30	{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... }	البقرة	
114	31	{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ... }		
112	34	{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ... }		
115	35	{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... }		
118	37	{ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ... }		
118	38	{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى... }		
25	87	{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ... }		
71	133	{ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ... }		
147، 142	214	{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا... }		
62	251	{ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ... }		
51	258	{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... }		
29	33	{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ... }		آل عمران
113	59	{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ... }		
65	93	{ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرٰٓءِيلَ... }		
24	101	{ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ... }		
183	139	{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ... }		
19	144	{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... }		
77	173	{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ... }		
37	175	{ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ... }		
45	196	{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ... }		
27	31	{ إِنَّ تَجَنُّبُوا كِبٰٓرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ... }		النساء

35	35	{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ... }	
46	82	{ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ... }	
49	125	{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ... }	
46	164	{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ... }	
85	185	{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ... }	
147	2	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ... }	المائدة
109	31	{ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ... }	
180	41	{ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... }	
45	54	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ... }	
29	67	{ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... }	
176، 118	33	{ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ... }	الأنعام
48	74	{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ... }	
44	81	{ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ ... }	
76، 33	90	{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... }	
114	19	{ وَيَتَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... }	الأعراف
116	20	{ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ... }	
117	22	{ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ... }	
117، 115	23	{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ... }	
130	25	{ قَالَ فِيهَا تُحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ... }	
119	27	{ يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ... }	
121	60	{ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِيءَ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ... }	
55	80	{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِيءَ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ... }	
27	138	{ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ... }	
91	142	{ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَا بِعَشْرِ ... }	

39	144	{ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي ... }	
16	145	{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ... }	
86	148	{ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا ... }	
16، 1	150	{ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ... }	
120	151	{ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا لِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ... }	
103	154	{ وَلَمَّا سَكَتَ عَنِ مُوسَىٰ الْأَغْصَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ... }	
76	176	{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ... }	
105	200	{ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ... }	
169	40	{ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ... }	التوبة
110	54	{ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ... }	يونس
179	65	{ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ... }	
95	98	{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ ... }	
113، 86	25	{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ... }	هود
122	32	{ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَنْزَلْنَاهُ جِدَارًا ... }	
123	38	{ وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ ... }	
121	40	{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ ... }	
123	42	{ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ... }	
23	43	{ قَالَ سَقَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ... }	
124	45	{ وَتَادِي نُوحٌ رَيْهٌ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ... }	
123	46	{ قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... }	
123	47	{ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ... }	
109	65	{ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ... }	

50	69	{ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلِمًا ... }	
30	70	{ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ... }	
69	71	{ وَأَمْرًا تُهْرَقَابِمُ فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ... }	
57	77	{ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلْنَا لُوطًا سِئَاءَ مَا يَحْكُمُ بِإِسْمِهِمْ دَرَجًا ... }	
57	78	{ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ ... }	
60	80	{ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ... }	
67	4	{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ... }	يوسف
67	5	{ قَالَ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ ... }	
185	6	{ وَكَذَلِكَ نَحْنُ نَكْتُبُكَ رَبُّكَ وَنُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... }	
66، 58	7	{ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ ... }	
69	11	{ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا لَكِ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ ... }	
171	16	{ وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ... }	
171	18	{ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ... }	
33	32	{ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمتُنِّي فِيهِ ... }	
19	33	{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ... }	
27	42	{ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِثْلَهُمَا أَذْكُرَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ... }	
140	80	{ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ... }	
171	83	{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ... }	
173	84	{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ ... }	
183	85	{ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذْكُرُ يُوسُفَ ... }	
173	86	{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ... }	
138	87	{ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ... }	

71	94	{ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَتْ أَبُوهُمُ ... }	
136، 28	110	{ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ... }	
71	111	{ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ... }	
135	31	{ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ... }	الرعد
18	38	{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ... }	
26	11	{ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... }	إبراهيم
113	28	{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ ... }	الحجر
53	51	{ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ... }	
137	56	{ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ... }	
55	61	{ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ... }	
59	67	{ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ... }	
59	68	{ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ... }	
57	70	{ قَالُوا أَوْلَمْ نُنهَك عَنِ الْعَلَمِينَ ... }	
59	71	{ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ... }	
63	78	{ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ... }	
180	88	{ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ... }	
49	123	{ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... }	النحل
164	124	{ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِيهِ ... }	
186	127	{ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ... }	
121	3	{ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ... }	الإسراء
68	55	{ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... }	
43	57	{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ... }	
21	94	{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ... }	

180	6	{ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ تَفْسَاكُ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ ... }	الكهف
105	24	{ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَأَذْكُرَنَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... }	
39	75	{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ... }	
28	82	{ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ... }	
26	110	{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ... }	
37	31	{ أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرَىٰ ... }	طه
46	39	{ أَنِ اقْذِيبِهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِيبِهِ فِي الْيَمِّ ... }	
46	41	{ وَأَصْطَلَعْتَكَ لِتَفْسِي ... }	
44	65	{ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ... }	
42	67	{ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ... }	
44	68	{ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ... }	
87	85	{ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ... }	
85	86	{ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ... }	
92	93	{ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتُ أَمْرِي ... }	
94	94	{ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ... }	
114	115	{ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ... }	
117	118	{ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ... }	
117	121	{ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تَهُمَا ... }	
116	131	{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ... }	
18	8	{ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ... }	الأنبياء
49	58	{ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ ... }	

75	60	{ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ ... }	
49	68	{ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُم إِن كُنْتُمْ فاعِلِينَ ... }	
55	74	{ وُلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ ... }	
96	79	{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ... }	
105	87	{ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ... }	
93	88	{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ... }	
54	78	{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... }	الحج
29	34	{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... }	المؤمنون
115	115	{ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ... }	النور
21	7	{ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ... }	الفرقان
18	20	{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ... }	
181	3	{ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ أَكْبَرُ ... }	الشعراء
76	60	{ فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ ... }	
76	62	{ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ... }	
19	79	{ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ... }	
109	157	{ فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ... }	
56	165	{ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ... }	
56	167	{ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ... }	
42	9	{ يَمْوَسِيٰٓ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... }	النمل
63	15	{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ... }	
96	16	{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ۗ وَقَالَ يَتَّابِئُهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقًا ... }	
96	17	{ وَحَشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ... }	
48	18	{ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ... }	

149	19	{ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ... }	
98	20	{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ ... }	
102	21	{ لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْخَبَهُ ... }	
98	35	{ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ ... }	
99	36	{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُنْعِمْدُونَنِي بِمَالٍ ... }	
98	37	{ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ... }	
62	56	{ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ... }	
173	70	{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ... }	
35	15	{ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِّنْ أَهْلِهَا ... }	القصص
39، 28	18	{ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ... }	
53، 52	21	{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي ... }	
76	23	{ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ... }	
76	25	{ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ... }	
28	26	{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَاءٌ ... }	
49	31	{ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ... }	
171	75	{ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ... }	يس
56	77	{ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا الْبَاقِينَ ... }	الصفات
79	97	{ قَالُوا آتَيْنَا لَهُ بَنِينَ فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ... }	
94	139	{ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... }	
95	142	{ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ... }	
127	143	{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ... }	
132	145	{ فَتَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ... }	
92	147	{ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ... }	

149	2	{ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا ... }	العنكبوت
121	14	{ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... }	
137	23	{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ... }	
54	26	{ فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ... }	
58	33	{ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِـءَ سِيمًا ... }	
35	16	{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... }	السجدة
39	7	{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ... }	الأحزاب
25	21	{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... }	
66	90	{ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجِزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ... }	
62	8	{ أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ... }	فاطر
166	34	{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... }	
68	17	{ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عِبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ... }	ص
62	20	{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ... }	
64	21	{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... }	
64	22	{ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ... }	
36	24	{ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ... }	
28	25	{ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ... }	
96	30	{ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ... }	
120	35	{ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ... }	
96	36	{ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ... }	
44	16	{ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ... }	الزمر
27	30	{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ... }	
110	56	{ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ... }	
137	49	{ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ... }	فصلت

39	13	{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... }	الشورى
105	37	{ وَالَّذِينَ سَخَّرَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... }	
39	35	{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ... }	الأحقاف
110	6	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُمُ فَاسْقُ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا ... }	الحجرات
158	13	{ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ... }	
1	21	{ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ... }	الذاريات
50	24	{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ... }	
56	25	{ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ... }	
41	28	{ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ... }	
37	50	{ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... }	
37	48	{ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ... }	الطور
27	32	{ الَّذِينَ سَخَّرَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... }	النجم
182	43	{ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ... }	
122	9	{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ... }	القمر
29	24	{ فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ... }	
65	37	{ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ... }	
56	10	{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ ... }	التحريم
94	48	{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ... }	القلم
123	5	{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ... }	نوح
158	22	{ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ... }	المدثر
31	1	{ عَبَسَ وَتَوَلَّى ... }	عبس
156	3	{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ... }	
81	4	{ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ... }	البروج
29	6	{ سَتُفْرُطُكَ فَلَا تَنْسَى ... }	الأعلى

49	19	{ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ... }	
127	16	{ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ... }	الفجر

فهرس الأحادسث

الرقم	طرف الحدسث	المصدر	الصفحة
1	أترى بما أقول بأساً	الترمذي المستدرك	162
2	إذا رأيت أمتي تهاب	المستدرك	38
3	إذا غضب أحدكم وهو قائم. . .	أبو داود مسند أحمد	106
4	ألا وإن الغضب جمرة في القلب	الترمذي	82
5	اللهم أنجز لي ما وعدتني	مسلم	45
6	اللهم إنما أنا بشر	مسلم	104
7	أنزل [عبس وتولى] في ابن أم مكتوم الأعمى	الترمذي	161
8	إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً	الترمذي	96
9	إن داود النبي عليه السلام	البخاري	63
10	إن ربي قد غضب اليوم	البخاري	84
11	إن العين تدمع, والقلب يحزن	البخاري	168
12	إني لأعلم كلمة لو قالها	البخاري	105
13	أو ما علمت ما شارطت عليه ربي	مسلم	104
14	تدمع العين ويحزن القلب	مسلم	168
15	حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم	البخاري	76
16	خرج الرسول على أصحابه وهم يختصمون	ابن ماجه مسند أحمد	80
17	دعوة ذي النون إذ دعا	الترمذي	134

48	مسلم	عرض عليّ الأنبياء	18
114	البخاري و مسلم	فحجّ آدم موسى	19
121	البخاري	فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح	20
113	البخاري	فيقول بعض الناس: أبوكم آدم	21
78	البخاري	قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل	22
76	البخاري	كان ينفخ على إبراهيم	23
66	البخاري	الكريم ابن الكريم ابن الكريم	24
131	الترمذي	كل بني آدم خطاء	25
63	الترمذي	لما خلق الله آدم	26
31	مسند أحمد	ليس الخبر كالمعاينة	27
164	الترمذي	ما رأيت أحداً أكثر تبسماً	28
92	البخاري	ما ينبغي لعبد أن يقول أنا	29
133	ابن ماجه	الندم توبة	30
113	مسند أحمد المستدرک	نعم معلم مكرم	31
172	البخاري	ولا أقول إن أحداً أفضل	32
20	البخاري	وهل من نبي إلا وقد رماها	33
84	البخاري الترمذي مسند أحمد	لا تغضب	34
102	أبو داود ابن ماجه	لا طلاق ولا عتاق	35

101	البخاري	لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان	36
63	البخاري مسلم	يا أبا موسى لقد أوتيت مزمراً	37
19	مسلم	يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي	38
59	البخاري الترمذي	يرحم الله لوطاً	39
91	مسند أحمد المستدرک	يرحم الله موسى	40

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
1	إبراهيم بن عمر أبو بكر البقاعي	65
2	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية	27
3	أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني)	144
4	أحمد بن فارس الرازي	64
5	أحمد بن محمد بن محمد (الخطّابي)	145
6	إسماعيل بن عمر بن كثير	18
7	بطرس بن يونس (البستاني)	109
8	الحسن بن عبد الله العسكري	170
9	الحسن بن محمد بن الحسين (القميّ النيسابوري)	128
10	الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)	11
11	سليمان بن عمر (الجمل)	110
12	سيد قطب	13
13	عبد الله بن احمد (النسفي)	155
14	عبد الله بن الحارث بن جزء	12
15	عبد الله بن عباس	53
16	عبد الرحمن بن أبي الحسن (ابن الجوزي)	52
17	عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي	102
18	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	98
19	عبد الرحمن بن الحسن بن علي الأسنوي	25
20	عبد الرازق جمال الدين بن أحمد القاشاني	67
21	عبد الكريم بن هوازن (القشيري)	133
22	علي بن أبي علي (الأمدي)	27
23	عمرو بن قيس بن أبي مكنوم	161
24	المبارك بن محمد الجزري	109
25	محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)	35

52	محمد بن أحمد القرطبي	26
52	محمد جمال الدين بن محمد	27
51	محمد رشيد رضا	28
43	محمد الطاهر بن عاشور	29
106	محمد بن عبد الرؤوف (المناوي)	30
102	محمد بن عبد الله بن محمد (ابن العربي)	31
63	محمد بن عمر (الفخر الرازي)	32
87	محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود)	33
137	محمد بن يوسف الأندلسي (أبو حيان)	34
52	محمود بن عبد الله (الألويسي)	35
109	محمود بن عمر (الزمخشري)	36

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب باللغة العربية :

ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: **أسد الغابة في تمييز الصحابة**. 5مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1989 .

ابن الجزري، أبو الخير بن محمد الدمشقي: **النشر في القراءات العشر**. 2مج. أشرف على تصحيحه: علي محمد الصبّاغ. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمي. بلا تاريخ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**. 8مج حققه: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله وخرج أحاديثه السعيد زغلول. ط: 2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1978 .

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله : **أحكام القرآن** . 4مج . تحقيق : علي محمد البجاوي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة، دار الجيل. 1987.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** . 4مج. بلا طبعة. بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة. بلا تاريخ.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. 4مج. راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** . 37مج . جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد النجدي. ط: 1. بيروت: مطابع دار العربية 1398هـ .

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد: **الإصابة في تمييز الصحابة**. 4مج. بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ .

ابن حزم, أبو محمد علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. 5مج. تحقيق: محمد نصر, د. عبد الرحمن عميرة. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. 1985

ابن حنبل, أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقال والأعمال**. ط: 2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1978

ابن خلكان, أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**. 8مج. حققه: د. إحسان عباس. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ

ابن رجب, عبد الرحمن بن أحمد: **جامع العلوم والحكم**. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.

ابن عاشور, محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**. 12مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن عبد الهادي, أبو عبد الله محمد بن أحمد: **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**. حققه: محمد حامد الفقي. بلا طبعة. بيروت: دار اكتب العلمية. بلا تاريخ.

ابن عثيمين, محمد بن صالح: **شرح رياض الصالحين**. 4مج. بلا طبعة. القاهرة: مكتبة الإيمان. بلا تاريخ.

ابن فارس, أبو الحسين أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. 6مج. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. ط: 2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1971.

ابن كثير, إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**. 7مج. تحقيق: أحمد فيتح. ط: 6. القاهرة دار الحديث. 2002.

- ابن ماجه, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه** . حكم على أحاديثه الألباني
اعتنى به مشهور آل سلمان: ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.
- ابن منظور, جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار صادر.
بلا تاريخ.
- أبو السعود, محمد بن محمد بن مصطفى: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. 6مج.
وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999.
- أبو حجلة, عماد الدين بن أحمد: **النجوم اللامعة في ثقافة المسلم الجامعة**. ط:1. عمّان: دار
الرازي. 1999
- أبو حيّان, محمد بن يوسف: **تفسير البحر المحيط**. 8مج. دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود
وآخرون. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1993.
- أبو داود, سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**. حكم على أحاديثه: الألباني. اعتنى به : مشهور
آل سلمان. ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ
- أبو صفية, عبد الوهاب بن رشيد: **شرح الأربعين النووية في ثوب جديد**. ط:2. عمان: دار
البشير للنشر والتوزيع. 1993
- أبو عزيز, سعد يوسف: **صحيح وصايا الرسول** p. 3مج. بلا طبعة . القاهرة: المكتبة
التوفيقية. بلا تاريخ.
- الأسنوي, جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن: **نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول** 4مج. بلا
طبعة . بيروت: عالم الكتب. بلا تاريخ.
- الأشقر, د. عمر سليمان: **الرسل والرسالات**. ط:8. عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
1999 م .

إغاثة اللفهان في حكم طلاق الغضبان . اعتنى بتصحيحه: محمد عفيفي. ط:2. بيروت, الرياض: المكتب الإسلامي, مكتبة فرقد الخاني 1988.

إغاثة اللفهان من موائد الشيطان . بلا طبعة . بيروت : المكتبة الثقافية. 1989.

الألباني, محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته. 3مج . ط : 3. بيروت, دمشق: المكتب الإسلامي. 1982.

الآلوسي, شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, 15مج, بلا طبعة.بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ .

الأمدي, أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. 2مج.بلا طبعة. القاهرة: دار الحديث. بلا تاريخ .

الأميري , أحمد البراء : فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم . ط : 1. دمشق: دار القلم. 2000 .

أندروز, ت.ج : مناهج البحث في علم النفس . 2مج . ترجمة : د. يوسف مراد . بلا طبعة. القاهرة: دار المعارف. طبعة 1961

الأنصاري , عبد العلي محمد بن نظام الدين : فواتح الرحموت . بهامش المستصفي من من علم الأصول . 2مج . ط : 2 . بيروت : دار الكتب العلمية . بلا تاريخ .

الأيديني, محمد بن عالم: تفسير الدعوات المباركات من القرآن العظيم. حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني. ط:1. دمشق: دار القلم . 1985 .

البخاري, محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند(صحيح البخاري).3مج. بتبويب وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003.

البستاني, بطرس: قطر المحيط . 2مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة لبنان. بلا تاريخ .

البغدادي, أحمد بن علي: تاريخ بغداد . 14مج. بلا طبعة. المدينة المنورة: المكتبة السلفية. بلا تاريخ .

البقاعي, أبو الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 8مج . خرج آياته ووضع حواشيه: عبد الرزاق المهدي . ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995.

بني يونس, د. محمد محمود: سيكولوجية الدافعية والانفعالات . ط:1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007

الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي. حكم على أحاديثه الألباني. اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط:1, الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ .

تفسير القرآن العظيم . 7مج. ط :2. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر. 1970 .

التفسير القيم. حققه محمد حامد الفقي. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية . بلا تاريخ.

تقريب التهذيب . 2مج . حققه وعلق عليه : عبد الوهاب عبد اللطيف . ط :2. بيروت: دار المعرفة. 1975 .

الثعالبي, أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن . 4مج. بلا طبعة. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بلا تاريخ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 10مج. تحقيق : أحمد البكري وآخرين. ط:2. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. 2007

الجزائري , أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي القدير . 4مج . ط : 2 . جدّة : راسم للدعاية والإعلان . 1987 .

جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام . بلا طبعة. القاهرة: مكتبة المنتبى. بلا تاريخ.

الجمال, سليمان بن عمر العجلي: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.
4مج. بلا طبعة. بيروت.: دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ .

الجوهرى, إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. 7مج. تحقيق: أحمد عبد
الغفار عطار. ط:2. بيروت: دار العلم للملايين. 1979.

الحاكم, أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرک على الصحيحين وبذيليه التلخيص. 5مج.
إشراف د. يوسف المرعشلي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.

حجازي, محمد محمود: التفسير الواضح. 3مج . ط : 6 . القاهرة : مطبعة الاستقلال
الكبرى . 1969 .

حلق, محمد صبحي: رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً. ط:1. بيروت: دار ابن حزم 1999.

الحموي , ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان . 5 مج . بلا طبعة . بيروت : دار إحياء التراث
العربي . بلا تاريخ.

حوّى, سعيد: الأساس في التفسير. 11مج. ط:1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر
والتوزيع. 1985.

الخالدي, د. صلاح: سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. ط:1. بيروت, دمشق: الدار الشامية,
دار القلم. 1991.

الخطيب, عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ

دبابنة, د. ميشيل: سيكولوجية الطفولة. بلا طبعة. عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع. 1984

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.

دروزة, محمد عزة : التفسير الحديث . 3مج . بلا طبعة . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه. 1926

الدميري, محمد بن موسى بن عيسى: **حياة الحيوان الكبرى** . 2مج . اعتنى بتصحيحه: عبد اللطيف سامر بيته. ط:3. بيروت: دار حياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. 1999.

الذهبي, محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**. 25 مج. حققه بشّار عواد, ومحي السرحان ط:8. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1992.

راجح, د. أحمد عزت : **أصول علم النفس** . ط : 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع. 1982.

الرازي, فخر الدين محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب** . 16مج . ط:1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1981

الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**. ط:1. بيروت. دار الكتاب العربي. 1979

الراغب الأصفهاني , أبو القاسم الحسين بن محمد : **المفردات في غريب القرآن** . راجعه: وائل أحمد عبد الرحمن . بلا طبعة . القاهرة : المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ .

رضا, محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم** . 12مج. ط:2. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ

زاد المعاد في هدي خير العباد. 6مج. حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط. ط:3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998.

الزبيدي, محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**. 10مج . ط:1. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. 1306هـ

الزحيلي, أ.د. وهبة : **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** . 15مج . ط : 1. بيروت, دمشق: دار الفكر المعاصر, دار الفكر. 1998

- الزركلي، خير الدين: الأعلام . 8 مج . ط 6. بيروت : دار العلم للملايين . 1984
- الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود . بلا طبعة. بيروت:
دار المعرفة للطباعة والنشر. بلا تاريخ.
- زين العابدين، محمد سرور: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. 2مج. ط:3. لندن. دار الأرقم
للنشر والتوزيع. 1988
- سابق، السيد: العقائد الإسلامية . ط 2. بيروت : دار الفكر. 1982 .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. 2مج. ط:1.
فلسطين: مطبعة النور. 1997
- سلطان، ناظم محمد: قواعد وفوائد من الأربعين النووية. ط:5. الرياض: دار الهجرة للنشر
والتوزيع. 1997
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات الحفاظ. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1994
- شرح العقيدة الوسطية. خرج أحاديثه احمد بن علي. ط:1. القاهرة: دار ابن الهيثم . 2002.
- الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي. 18مج. بلا طبعة. القاهرة. أخبار اليوم. بلا تاريخ.
- الشتتاوي، أحمد وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة.
بلا تاريخ.
- الشوكاني، محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . 2مج . تحقيق
وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل. ط:1. القاهرة: دار الكتبي. 1991
- الصابوني، محمد علي : النبوة والأنبياء . ط 1. القاهرة : دار الحديث . 1986 .
- صحيح مسلم بشرح النووي. 9مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1983.

الصوّاف, محمد محمود : فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان . ط:1.جدة: دار العلم للطباعة والنشر. 1985

طاش كبرى زاده , أحمد بن مصطفى : مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. 4مج. مراجعة وتحقيق : كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور بلا طبة. القاهرة: دار الكتب الحديثة. بلا تاريخ .

طبّارة, عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن الكريم . ط :22. بيروت : دار العلم للملايين. 2003

الطبرسي, الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. 6مج. بلا طبة. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1961

الطبري, محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك . 6مج . بلا طبة . بيروت: دار الفكر. 1979.

الطنطاوي, علي : تعريف عام بدين الإسلام . بلا طبة . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1981

عباس, د. فضل حسن: القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته. ط:1. عمان: دار الفرقان. 1987.

عبد الخالق, عبد الغني : حجية السنة . ط:1. بيروت : دار القرآن الكريم . 1986

العزي, عبد المنعم صالح بن علي: تهذيب مدارك السالكين . بلا طبة . دبي : مكتبة كاظم. بلا تاريخ.

العلي, إبراهيم محمد: الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء. ط:1. دمشق , بيروت: الدار الشامية دار القلم. 1995.

الغزالي, محمد بن محمد : إحياء علوم الدين. 5مج. ط:4. بيروت: دار الكتب العلمية. 2005

- فائز, أحمد: **طريق الدعوة في ظلال القرآن**. 2مج. بلا طبعة . بيروت:مؤسسة الرسالة. 1981.
- الفائق في غريب الحديث**. 4مج. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمود الجاوي. ط:2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1979 .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 13مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه محب الدين الخطيب . بلا طبعة . بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر. بلا تاريخ .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** 5مج. بلا طبعة . بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.
- الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : **كتاب العين** .ط:1. بيروت : دار إحياء التراث العربي. 2001.
- في ظلال القرآن**.6مج. ط:17. بيروت, القاهرة: دار الشروق. 1992.
- الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** . 4مج . بلا طبعة . بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.
- القاسمي, محمد جمال الدين : **محاسن التأويل** . 10مج . رقمه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. بلا تاريخ.
- القاضي عياض, عياض بن موسى اليحصبي : **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى** . 2مج . تحقيق: محمد أمين قرّة علي وآخرين. ط:2. بيروت: مؤسسة علوم القرآن, دار الفيحاء. 1986.
- القاضي, عبد الفتاح : **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** .ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1981 .
- القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** . 22مج . بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

القشيري, عبد الكريم بن هوازن : الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق : معروف زريق
وعلي بطجي. ط: بيروت: دار الخير. 1991

قصص الأنبياء . ط:1. كانو: مكتبة أبو بكر أيوب. 2001.

قطب, سيد : التصوير الفني في القرآن . ط: 4 . بيروت : دار الشروق . 1978 .

قطب, محمد: منهج التربية الإسلامية. ط:2. بيروت, القاهرة: دار الشروق. بلا تاريخ.

القوصي, عبد العزيز: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية . ط:8. القاهرة: مكتبة النهضة
العصرية.

كحالة, عمر رضا: معجم المؤلفين. 8مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة المتنبى, دار إحياء التراث.
بلا تاريخ.

الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 4مج. حققه: محمد الصادق
قمحاوي. بلا طبعة. القاهرة: شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

1972

لطائف الإشارات. 3مج. علّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط:1. بيروت: دار الكتب
العلمية. 2000.

الماوردي, علي بن محمد بن حسين: أدب الدنيا والدين. ط:1. القاهرة: جنة الأفكار. 2006.

مخلوف , محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. بلا طبعة . بيروت:
دار الكتاب العربي. بلا تاريخ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . 3مج. تحقيق : محمد حامد الفقي. ط:2.
بيروت دار الكتاب العربي. 1972.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**. 5مج. رقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع. طبعة 1983 .

مصطفى، إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط**. بلا طبعة. القاهرة: مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ.

مع قصص السابقين في القرآن . ط : 4. دمشق : دار القلم. 2004

معالم في الطريق. بلا طبعة. بيروت: دار الشروق. بلا تاريخ.

مغنية، محمد جواد : **التفسير الكاشف** . ط : 2. بيروت : دار العلم لملايين . 1980.

المناعي، محمد عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. 6مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.

مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه . ط : 1. دمشق : دار القلم . 2003.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة : **معارج التفكير ودقائق التدبر** . 15مج . ط : 1. دمشق: دار القلم. 2002.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** . 2مج . بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ.

النهاية في غريب الحديث. 5مج . تحقيق: محمود الطناجي. بلا طبعة. بيروت: المكتبة الإسلامية. بلا تاريخ .

نوفل، د. أحمد : **سورة يوسف دراسة تحليلية** . ط : 1. عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1989م.

النوي، يحيى بن شرف: **رياض الصالحين**. حققه : حسّان عبد المنان ط: 3. عمان : المكتبة الإسلامية، مكتبة برهومة. 1413هـ .

النيسابوري, الحسن بن محمد القمي: غرائب القرآن ورغائب الفرقان. 12مج. تحقيق إبراهيم عطوة عوض. ط:1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965.

هياجنة, د. محمود سليم محمد: الصورة النفسية في القرآن الكريم . ط:1. عمان, اربد: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع, عالم الكتب للنشر والتوزيع. 2008.

الهيتمي, أبو العباس محمد بن أحمد بن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر . 2مج بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. طبعة 1983.

الهيتمي, علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. 10مج. ط:2. بيروت: دار الكتاب العربي. 1967.

ثانياً: المقالات:

مقال على الانترنت للكاتب محمد أحمد إبراهيم سـعفان , بعنوان : "مقياس الشعور بالذنب".
<http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books>

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "الانفعالات" .
<http://www.fo-z.com/vb/t4312.html>

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: " فوائد من المجالات العربية " .
<http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm>

مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف, بعنوان: " المقياس النفسي للشعور بالذنب " .
<http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775>

مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوع, بعنوان: "اليأس".

<http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745>

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "مقاومة اليأس".

<http://www.hawhome.com/vb/t85510.html>

مقال على الانترنت بعنوان استشارات: "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟".

<http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان "الاكتئاب".

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "الكآبة... مرض العصر".

http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_Wellbeing/270990

مقال على الإنترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "الابتسامة" ألوان وأنواع ومعان".

<http://arb2.maktoob.com/vb/arb181605>

**An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Affective Emotion of Prophets in the Holy Quran

**by
Ibrahim A.Mohammed Mustafa**

**Advisors
Dr. Odeh Abdallah and Dr. Rasmiyah Abedelqader**

**Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the
Degree of Master of Usool e-Deen , Faculty of Graduate Studies,
at An- Najah National University, Nablus, Palestine.**

2009

Affective Emotion of Prophets in the Holy Quran
By
Ibrahim A. Mohammed Mustafa
Advisors
Dr. Odeh Abdallah & Dr. Rasmiyah Abedelqader

Abstract

Prophets, may peace be upon them, are considered examples or models for people to follow and imitate. They are the beacons of guidance and lights in times of darkness. Their sayings and traditions and good deeds are sources of inspiration for people. In their missions, the prophets had faced a lot of events which aroused their feelings and emotions. All these together had left their marks on their course of life. The prophets' unpleasant strong emotions included anger, fear, repentance, despair and anxiety. This study sought to understand these affective emotions from a Qur'anic perspective, and diagnose the personalities of the prophets through these agitations. Further, the study aimed at identifying the extent of these prophets' infallibility and the educational values which we can draw from these incidents of emotions.

The study began with a definition of affective emotions according to psychologists and religious scholars. Then it provided a classification of these emotions. It also dwelt on the human side of the prophets as well as their infallibility. The study emphasized that the emotions which the prophets had experienced did not affect their infallibility in their conveyance of the divine message. After that, the study moved to detail the most outstanding emotions which the prophets had experienced. Of these, the study highlighted the emotion of fear and its psychological significance. The researcher, in this regard, introduced the scenes which illustrated this emotion of the prophets. The researcher then provided a discussion of the

most important educational values we can learn from these emotional scenes.

The study also tackled other unpleasant emotions which the prophets had lived. These included anger, repentance, despair, smiling, grimness and sadness. The researcher also showed the psychological significance of these emotions and their Qur'anic scenes. This was in addition to the positive educational values of these emotions.